منهج النبي ﷺ في دعوة نصارى عصره (دراسة عقدية)

إعداد

ساري محمد سالم الضروس

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في العقيدة

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار، ٢٠١٠

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (منهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة نـــصارى عصره (دراسة عقدية) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٠/٤/١٢م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيـــــــــــع
الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب / مشرفا أستاذ –العقيدة–أصول الدين	....
الدكتور أحمد عبد الحسين العوايشة /عضوا أستاذ مساعد – العقيدة – أصول الدين	....
الدكتور إبراهيم "محمد خالد" برقان / عضوا أستاذ مساعد – العقيدة– أصول الدين	....
الدكتور بهجت عبد الرزاق الحباشنة /عضوا أستاذ مشارك– العقيدة – (جامعة آل البيت)	....

الإهداء

إلى سيدي رسول الله محمد ﷺ

إلى والدتي الحبيبة، التي سهرت على تربيتي، ورعتني صغيراً،

ودَعَتْ لي بالتوفيق

إلى والدي الحبيب، الذي علّمني الصدق والإخلاص، وحب هذا الدين

العظيم ،أَحُسُّ دعواته تسري إلى روحي في كل لحظة

(فحديث الروح للأرواح يسري فتفهمه القلوب بلا عناء)

إلى زوجتي رفيقة دربي . . .

وأولادي الذين أرجو الله أن يكونوا من الصالحين

شكر وتقدير

يقول ﷺ "مَن لا يشكر الناس لا يشكر الله" رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٦٥٤١) .

أحمد الله تعالى الذي وفقني لإخراج هذا البحث على هذه الصورة، وإني لأسأل الله أن يجعلني ممن يحملون دينه وينشره بالحكمة والموعظة الحسنة .

ثم أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الخطيب حفظه الله ورعاه، الذي أكرمني بقبوله الإشراف على هذه الرسالة، وأثراني بعلمه الغزير وملحوظاته القيمة، وأكرمني بتوجيهاته وإرشاداته الدقيقة التي أسهمت في إثراء بحثي هذا، فلا يسعني إلا أن أقول له جزاك الله عني وعن الإسلام والمسلمين وطلبة العلم كل خير .

وأتقدم بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة، الكرام الذين تفضلوا بقراءة هذه الرسالة، ومناقشتها، وتقويمها .

وأشكر كذلك أساتذتي الكرام في كلية الشريعة وكُل مَنْ أعانني على إنجاز هذا البحث .

فهرس المحتويات

منهج الرسول ﷺ في دعوة نصارى عصره (دراسة عقدية)

عرض ودراسة

إعداد

ساري محمد سالم الضروس

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان، وسار على هديه، واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه رسالة تهدف إلى بيان المنهج النبوي في دعوة النصارى، وفي التأصيل لهذا الموضوع من خلال دراسة الواقع العملي الذي مارسه رسول الله ﷺ وصحبه الكرام في دعوتهم آنذاك.

والقرآن الكريم هو أساس العقيدة الإسلامية وأصلها، قد إتبع منهجاً سهلاً وأسلوباً فريداً وعرضا ميسرا لأصول العقيدة الإسلامية، يترك أثره على الناس كلهم مسلمهم وكافرهم، عالمهم وجاهلهم، مثقفهم وأميهم، وفي بيان ما عليه النصارى من عقيدة حّرفت أصولها ونُقضت أركانها فقد سلك القرآن منهجا رائعا متميزا تنوعت أساليبه للدلالة على توحيد الله تعالى، وعدم اتخاذه ولداً، فتارة تستثير أساليبه العواطف والوجدان، وتارة تخاطب العقول والأفئدة، فهي تقنع الباحث عن الحق، ولو كان كافراً، وتوقظ الغافل من المسلمين ولو كان نائماً.

فكان منهج القرآن في عرض أصول العقيدة، وفي تأصيل منهجه في التعامل مع النصارى هو عنوان البحث في هذه الرسالة، وثمرات هذا المنهج الفريد، وقد اشتملت على فصل تمهيدي وثلاثة أبواب تحت كل باب عدد من الفصول والمباحث.

ففي التمهيد قمت بتعريف المنهج لغة واصطلاحاً، وتعريف الدعوة لغة واصطلاحاً، وتعريف النصارى والنصرانية لغة واصطلاحاً، وبيان متى صارت النصرانية علماً على دين النصارى.

وجاء الباب الأول بعنوان: المسيحية وأحوالها في الجزيرة العربية، ويتبعه فصلان، تحت كل فصل عدد من المباحث، الفصل الأول:دراسة تاريخية وعقدية موجزة للنصرانية وأحوالها في الجزيرة العربية وفيه ثلاثة مباحث: الأول: نشأة المسيحية والثاني: بداية الانحراف

في المسيحية وأسبابه، الثالث: النصارى في الجزيرة العربية قبل البعثة، والفصل الثاني: بعنوان: بشارات التوراة والإنجيل ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه خمسة مباحث: الأول: تمهيد في معنى البشارة، والثاني: الآيات الدالة على اشتمال الكتاب المقدس على الإشارة لبعثة الرسول ﷺ، والثالث والرابع بشارات العهدين (القديم، والجديد) على بعثة الرسول ﷺ. والمبحث الخامس: ترقب شخصيات نصرانية لبعثة الرسول ﷺ.

والباب الثاني: بعنوان: معالم منهج الرسول ﷺ في دعوة نصارى عصره (دراسة عقدية) وفيه فصلان اثنان: الفصل الأول: الأسس التي اعتمدها رسول الله في دعوة نصارى عصره وفيه عدة مباحث، يتبع بعضها مطالب: المبحث الأول: اعتماد الحوار والجدال بالحسنى: (وفيه مطالب متنوعة هي: أساليب حوار النصارى في القرآن، وحوار جعفر رضي الله عنه للنجاشي ووفد نجران وحوار الرسول عليه السلام معهم، والمبحث الثاني، حرية الاعتقاد ويحتوي على مطالب متعددة: ، الحرية الدينية لوفد نصارى نجران، ولأهل بيت المقدس، وللقبط، والمبحث الثالث :التسامح واحترام إنسانية الإنسان.

والفصل الثاني: دعوتهم للإسلام والتواصل الحواري معهم (الرسائل والوفود)، وفيه مباحث، الأول: رسائل الرسول عليه السلام للملوك والأمراء، والثاني: المضامين العقدية لرسائل الرسول عليه السلام وحواراته للوفود، والثالث: الحراك الذي أحدثته رسائل الرسول عليه السلام والرابع: تمييز طوائفهم، ومراعاة الفوارق في مواقفهم.

والباب الثالث: اعتماد الضوابط الشرعية في بناء العلاقات بينهم وبين المسلمين، وفيه أربعة فصول: الأول: الانصاف معهم في التعامل، والثاني:بناء العلاقات الاجتماعية والإقتصادية، حيث تضمن مباحث هامة: (التزاوج بين المسلمين وأهل الكتاب، وأكل طعامهم، وتبادل الهدايا معهم، وعيادة مريضهم، وشهود جنائزهم، وتعزيتهم، ومشاركتهم، وتهنئتهم بأعيادهم والسلام عليهم، والإحسان لهم) ؛ وأخيرا، الفصل الثالث: نتائج المنهج النبوي في دعوته للنصارى، وفيه أربعة مباحث: الإسلام المبكر لأغلب نصارى العرب والمناطق المحيطة، وحسن استقبال النصارى للفاتحين المسلمين، ومشاركة العديد من الشخصيات النصرانية في بناء الحضارة، وإدراك واجب المسلمين نحو النصارى اليوم.

وفي الخاتمة عرضت أبرز نتائج البحث، والتي صيغت على شكل نقاط مفصلة.

وأهم ما توصلت إليه في هذه الدراسة هو أصالة المنهج الإسلامي في التعامل مع الآخر، في زمنٍ تداعى على الإسلام كتاب يتهمون الإسلام بالتطرف لسلوكٍ غير منضبطٍ من مسلم لم يفقه دينه ولا مباده، ولا أصوله، فإذا هم يعتبرون هذا المسلم هو الإسلام، والحقيقة أن

الإسلام دين كلّه رحمة، ورسوله صلى الله عليه وسلم رسول الرحمة وصفه الله بقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [1].

وقد ثبت لنا أن هذا المنهج الفريد في تعامله مع الآخر أدى إلى ثمرات جمة على مـدار التاريخ من حسن استقبال للإسلام وتعايش معه بسلام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ولي النعم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه ذوي النفوس الزكية، والأخلاق المرضِية، وعلى من وقفوا أنفسهم لخدمة الدين، وإعلاء شأن المسلمين، ففازوا بالنعيم المقيم، وبعد:

فإن الله تعالى قد أكمل دينه، وأتم نعمته على المؤمنين بما أنزله من القرآن الكريم على خاتم رسله محمد ﷺ ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [(١)].

ولقد كان نزول القرآن رحمة بالغة من الله بعباده وهداية لهم، ونوراً يمشون به، وصراطاً مستقيماً تنتظم عليه أمورهم، ويصلح به معاشهم ومعادهم.

وبنزول القرآن الكريم وتمامه، كمل الدين، ووضح المنهج، وتمت النعمة الإلهية ولقد نزل القرآن الكريم في فترة ضلت فيها الإنسانية سبل الرشاد، والْتوت بها الأهواء، فمزقتها كل ممزق." وشاء الله تعالى القدير رحمة منه وفضلاً أن يتدارك هذه المجتمعات، وأن يسعدها بوحي السماء فكانت رسالة الإسلام منْقِذةً من الهاوية، فردت الإنسان إلى فطرته، وجعلت منه بشراً يعرف طريقه إلى الله"[(٢)].

يقول سيد قطب رحمه الله: "ولقد تسلم الإسلام قيادة البشرية بعدما فسدت الأرض وأسنَتِ الحياة، وذاقت البشرية الويلات ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم﴾ [(٣)].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥-١٦.
(٢) يوسف عبد الهادي الشال، (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)، **الإسلام وبناء المجتمع الفاضل**، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ص: ٣ بتصرف يسير.
(٣) سورة الروم، الآية: ٤١.

تسلّم الإسلام القيادة بهذا القرآن، وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن، وبالشريعة المستمدة من هذا التصور، فكان ذلك مولداً جديداً للإنسان، أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته. ولقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصوراً جديداً عن الوجود والحياة، والقيم، والنظم، كما حقق لها واقعاً اجتماعياً فريداً، ما كان يخطر للبشرية على بال، لولا أن الله تعالى أراده لها، وحققه في حياتها، في ظلال القرآن ومنهج القرآن وشريعة القرآن) (١).

ولقد سعدت الأمة الإسلامية في ظلال القرآن ببرد العيش، وسعادة الحياة، فكانت قوية لا تعرف الضعف، عزيزة لا تعرف الذل، فدانت لها الشعوب، وخضعت لها الدول، وعاش المخالف في العقيدة بأمان وسلام.

وإذا نظرنا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وجدنا رسماً لصورة التعامل التي يجب أن تكون بين المسلمين مع بعضهم البعض، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ (٢) كما نجد صورة التعامل التي يجب أن تكون بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان الأخرى، والمخالفين لهم في العقيدة، ففي كتاب الله آيات مطلعها: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾ (٣)، وآيات مطلعها: ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ....﴾ (٤).

وفي خضم رسم منهج للتعامل مع أهل الكتاب كانت هناك الدعوة لهم بأن لا يتجاوزوا الحد، وكانت هناك توجيهات لردهم إلى العقيدة الصحيحة والمنهج القويم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ (٥).

ونحن اليوم بأمس الحاجة لاستجلاء معالم منهج الإسلام في تعامله مع النصارى، ليتسنى لنا معرفة كيف ندعوهم إلى الله وإلى منهج الله تعالى.

---

(١) سيد قطب إبراهيم (ت:١٩٦٦م)، **في ظلال القرآن**، ط١٠، بيروت: دار الشروق ج١/ ص ١٥-١٦
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.
(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٨.
(٤) سورة الممتحنة، الآية: ٩.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٧١.

آملاً أن تخرج هذه الرسالة للقارئ في صورة واضحة المعالم، بارزة الملامح بإذن الله تعالى، والله ولي التوفيق.

أهمية الدراسة (أسباب اختيار الموضوع):

يكتسب هذا الموضوع أهميته وتمييزه بالأمور الآتية:

أولاً: في جو مشحون بالعداء بيننا وبين الآخر كادت بعض الثوابت الإسلامية أن تتلاشى في أذهان كثير من المثقفين في عالمنا الإسلامي فضلا عن عامة الناس، وبخاصة فيما يتعلق بالتعامل مع أهل الكتاب؛ لأجل هذا كان لزاماً على الباحثين أن يبذلوا وسعهم في تأصيل القيم الإسلامية، والمرتكزات الحضارية، والثوابت الفكرية، وأن يدعموها بالأدلة القاطعة وبالأسلوب الذي يفهمه أهل كل عصر ومصر، ليحفظوا على الأمة دينها، ويوضحوا منهج الإسلام الرشيد في التعامل مع أهل الكتاب، ونخرج من حالتي الإفراط والتفريط إلى الحالة التي تناسب الأمة الوسط.

ثانياً: إبراز اعتناء القرآن بعقائد النصارى وتقريرها على الهيئة التي استقرت عليها في حالة البعثة النبوية.

ثالثاً: بيان غموض العقائد النصرانية وعدم قدرتها على الإجابة عن كثير من تساؤلات الفطرة لدى النصراني، وأن (النصرانية) في صورتها المثالية لا تحمل رسالة حضارية، حيث إنها في صلب تعاليمها لا تهتم بالحياة، ولا تحتكم للعقل، ولا تدعو إلى العلم، ولا تحنو على فطرة الإنسان، في الوقت الذي نجد فيه العقيدة الإسلامية واضحة وسهلة تتجاوب مع العقل والفطرة مما أسهم في سرعة دخول النصارى بأعداد هائلة في الإسلام مبكراً.

رابعاً: إبراز منهج الرسول ﷺ في التعامل مع أهل الأديان وبخاصة نصارى عصره، وتميز هذا التعامل عن التعامل مع اليهود الذين بادروه بالعداء وضعفَت الرغبة في دخولهم للإسلام، أو وجود قواسم مشتركة للتعامل السلمي معهم.

خامساً: دراسة عقدية لرسائل الرسول ﷺ لملوك النصارى، والمضامين العقدية التي تناولتها محاوراته ﷺ مع وفودهم.

سادساً: إظهار أسباب سرعة توجه النصارى في زمن البعثة إلى رحاب الإسلام حتى يومنا هذا مع إظهار صورة الإسلام المشرقة في استيعابه للآخر وتعامله الحضاري معه، والذي اعترف به رجال الدين والفلاسفة منهم.

وستجيب هـذه الدراسة إن شاء الله تعالى عن الواقع العملي الذي عايشه الرسول ﷺ مع نصارى عصره بكافة أطيافهم ومستوياتهم سواء كان ذلك على مستوى الأفـراد، أو العلمـاء أو الملوك.

كما ستوضح هذه الدراسة العجز المطبق الذي خيم على أجواء النـصارى، ومجامعهـا المتعددة، وخلافاتهم التي لا تنقضي، فانفك الناس عن كل ذلك، والتفوا إلـى صـاحب الديانـة الجديدة مما ساهم في سرعة دخول أتباع المسيح في الإسلام، وبخاصة جمهور نصارى العـرب ونصارى بلاد الشام، والحبشة، وما جاورها من بلدان إلى وقتنا الحاضر.

هذا وإنني سوف أحاول الإفادة من منهجه ﷺ في وقتنا المعاصر عند مخاطبـة الآخـر والتعامل معه.

الدراسات السابقة:

يحاول الباحث تسليط الضوء على أبرز الدراسات السابقة المتصلة بموضـوع (مـنهج الرسول ﷺ في دعوة نصارى عصره) دراسة عقدية من خلال اختيار جملـة مـن الدراسـات وعرضها عرضا تحليلياً:

١- أحمد محمد العقيلي، الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى الملـوك والقـادة، ط١، مطبعة خزام، الرياض، ١٩٩٣م، تناول الباحث موضوع رسائل الرسول ﷺ إلـى ملوك النصارى داخل الجزيرة العربية وخارجها، وكذلك رسائله ﷺ إلى عماله وولاتـه وربط ذلك كله بالجانب الإعلامي، مع بيان حرص الرسول ﷺ على إيـصال الـدعوة للآخرين من الناحية الإعلامية البحتة، حيث ذكر الباحث نصوص الرسائل بلا تفـصيل لمضامينها العقدية، ولا الإشارة إلى أسلوب مخاطبة الرسـول ﷺ لأصـحاب الـديانات الأخرى.

وهذا يختلف عما سيقوم به الباحث، حيث سيعمل على دراسة مضامين الرسـائل التـي أرسلها رسول الله صلّى الله عليه وسلم لملوك النصارى، وما إحتوته من مضامين عقدية كانت منهجا في مخاطبة الآخر ودعوته، ومثل هذا الكتـاب فـي موضـوعه (كتـاب السفارات النبوية إلى ملوك العالم، محمد العقيلي، وكتاب الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي، علي الأسطل).

٢- عبد اللطيف بن عبد العزيز آل الشيخ، رسالة دكتوراه بعنوان أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني ومظاهرها في العصر الحاضر، وهي رسالة تبين أساليب الخصوم الـذين

واجههم ﷺ من:(يهود، ومنافقين، ومشركين، ونصارى) في المدينة وطبيعـة العلاقـة معهم.

وهذه الرسالة تتناول أساليب الرسول ﷺ في دعوة النصارى في عصره .

٣- سالم محمد الحميد، سيرة النبي ﷺ - الفترة المكية- إهتمت هذه دراسة ببيان الوضع العام للبلاد العربية قبل الإسلام وما عليه أهل الأديان من عقائد، وتطَرق إلى سيرة الرسول الكريم، ومراحل تطور الدعوة الإسلامية من سرية إلى جهرية، ولم يتطرق الكاتب لتعامل الرسول ﷺ مع نصارى عصره،فلم تتجاوز الدراسة العرض التاريخي فقط.

٤- عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، تعرض الكاتب لحالة النصارى زمن البعثة،وأوضاعهم العامة، وورود الإشارة إلى نبي سيبعث في كتب النصارى والهجرة إلى الحبشة لكن لم يتطرق إلى دراسة عقدية لحالة النصارى، وفرقهم وتعامل الرسول ﷺ معهم، ومنهجه في ذلك.

٥- الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، تناول هذا الكتاب طبيعة المـسيحية كما جاء بها المسيح عليه السلام، ودعوتها للتوحيد، ثم حالة الإنحراف بعد المـسيح ﷺ، وإلقاء نظرة على الأناجيل وما فيها،والمجامع المسيحية: تاريخها وأسبابها وقراراتها، إلا أن الكتاب لم يدرس حالة النصارى في عصر الرسول ﷺ، وطبيعة العلاقة القائمة بينـه وبينهم، والمضامين العقدية التي دار فيها النقاش معهم،لأن الكتاب اقتصر على دراسـة النصرانية فقط دراسة تاريخية عقدية بعيداً عن تعامل الرسول معهم.

وقد استفاد الباحث من دراسة النصرانية تاريخياً وعقديا وأسباب انحرافهم عن التوحيد إلى التثليث، وأثر ذلك في سرعة توجههم للإسلام.

الخلاصة من هذا العرض التحليلي للدراسات السابقة:

بالرغم من تعرض بعض الباحثين لبعض موضوعات هذه الأطروحـة، إلا أنهـم لـم يتعرضوا لهذا الموضوع بالمنهجية المراد اتباعها في هذا البحث متسلسلة، حيث سيكون عرض هذه الأطروحة لعقائد النصارى مع بيان حالة الانحراف عن التوحيد إلى التثليـث؛ ممـا جعـل الديانة النصرانية لا تجيب عن كثير من الأسئلة التي تدور في عقول أصحابها، فصارت عاجزة عن استيعاب أفرادها؛ مما أدى إلى سرعة توجههم للإسلام.

ثم إن الدراسات السابقة لم تتطرق لدراسة رسائله ﷺ لملوك النصارى دراسة عقدية، ولا لمضمون حواراته مع وفودهم، بحيث نستجلي منهجه ﷺ في دعوتهم وهدايتهم، ولم تتطرق تلك الدراسات إلى ما ذُكِر عن تَرقبِ النصارى لقدوم نبي ذُكِرت أوصافه عندهم في كتبهم؛ مما أسهم في سرعة إسلام عدد لا يستهان به منهم.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في إبراز جوانب متناثرة وغير واضحة من المنهج الأصلي الذي نص عليه القرآن الكريم وطبقه النبي ﷺ مع نصارى عصره حيث سيقّدم الباحث في هذه الأطروحة دراسة تأصيلية عقدية لمنهج الإسلام في خطاب الآخر ومد جسور الدعوة إليه بشكل يسهلُ على الدعاة اليوم معرفة هذا المنهج الأصيل في دعوة الآخرين وستجيب هذه الدراسة علـى الأسـئلة التالية:

١- ما مدى إنحراف العقيدة النصرانية عن الوحي السماوي؟

٢- ما هي مناشئ الإنحراف في الديانة النصرانية؟

٣- ما هي أحوال النصارى قبل البعثة؟

٤- ما هي أحوال النصارى في زمن البعثة؟

٥- ما هي المعالم الأساسية لمنهج الرسول ﷺ في معاملته لنصارى عصره؟

٦- ما هي أبرز المسائل العقدية التي إحتوتها رسائل الرسول ﷺ لملوك النصارى وحواراته مع وفودهم؟

٧- ما هي الضوابط الشرعية في بناء العلاقات الإجتماعية والإقتصادية مع أهل الكتاب.

٨- ما هي نتائج المنهج النبوي في دعوة النصارى ومدى الإستفادة منها في الوقت الحاضر.

منهجية البحث

يقوم البحث في هذه الدراسة على المناهج التالية:

١- سيعتمد الباحث المنهج الإستقرائي وذلك بالرجوع إلى كتب السيرة والتاريخ التي تُبـرز الجوانب العملية التي مارسها رسول الله وأقواله تجاه النصارى

٢- سيعتمد الباحث المنهج الاستنباطي حيث يتم دراسة النصوص التي إستخلصها من كتب العقيدة والسيرة والفقه لمعرفة ملامح المنهج النبوي في تعامله مع نصارى عصره.

٣- المنهج التحليلي وذلك بتحليل النصوص الواردة للوصول إلى المنهج الذي تعامل به الرسول عليه الصلاة والسلام مع نصارى عصره.

كما سوف نحاول دراسة الواقع المعاصر لمعرفة مدى أهمية منهج الإسلام في دعوة نصارى عصره ومدى إحتياجه لذلك المنهج.

الفصل التمهيدي: تعريف مصطلحات البحث

المبحث الأول: المنهج لغةً وإصطلاحاً

المبحث الثاني: الدعوة لغةً وإصطلاحاً

المبحث الثالث: النصرانية معناها ومتى أُستُعمِلَتْ

الفصل التمهيدي: تعريف مصطلحات البحث

المبحث الأول: تعريف المنهج لغةً وإصطلاحاً:

المنهج لغة :

بالعودة إلى قواميس اللغة نجد أن المنهج أو المنهاج يعني: الطريق الواضـح، ونَهـج الطريق: أي أبانه وأوضحه، ونَهجه أيضاً: سلَكه، ونَهج الطريق: وضح واستبان، وصار نهجـاً واضحاً بيناً[(١)].

وفي القرآن الكريم: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [(٢)] أي طريقاً واسعاً واضحاً فـي الدين[(٣)].

وقال ابن الجوزي: المنهاج الطريق الذي لا يكون إلا واضحاً ذكره ابن الأنبارى[(٤)].

قال الشوكاني: الشرعة والشريعة في الأصل: الطريقة الظاهرة التي يتوصل بهـا إلـى الماء، ثم استعملت فيما شرعه الله لعباده من الدين، والمنهاج: الطريقة الواضحة البينة. وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الشريعة: ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر[(5)].

وقال سيد قطب: (إن الله لو شاء لجعل الناس أمةً واحدة، ولكنه جعل لكل منهم طريقـاً ومنهاجاً، وجعلهم مبتلين مختبرين فيما آتاهم من الدين والشريعة، وما آتاهم في الحياة كلها مـن عطايا، وأن كلاً منهم يسلك طريقه، ثم يرجعون كلهم إلى الله فينبئهم بالحقيقة، ويحاسبهم علـى ما اتخذوا من منهج وطريق) [(٦)].

يتضح مما سبق أن النهج والمنهج والمنهاج شيء واحد وهو الطريق، وهو متصفٌ بما يلي: الإستقامة، الوضوح التام، البيان، الظهور، الإستمرار.

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، (ت:٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ط١، إعتنى به محمد معوض، وفاطمـة أصلان، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠١م: ص٩٦٤. وانظر ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكـرم (ت:٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط١ دار صادر، بيروت ١٩٩٠م: ج٢،ص٣٨٣.

(٢) سورة المائدة :الآية ٤٨ .

(٣) الآلوسي، شهاب الـدين الـسيد محمـود، (ت: ١٢٧٠هـ)، **روح المعـاني**، دار الفكـر، بيـروت ج٣،ص١٥٣.

(٤) ابن الجوزي، جمال الدين بن علي بن محمد، (ت:٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفـسير** ط١،(تحقيـق محمد بن عبد الله) دار الفكر، بيروت ١٩٩٧م: ج٢،ص٢٨٥.

(5) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت:١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، ط١، دار الخير، بيروت ١٩٩١م: ج٢، ص٥٦.

(٦) سيد قطب، **في ظلال القرآن**: ج٢،ص٩٠٣ .

معنى المنهج إصطلاحاً :

للمنهج في الاصطلاح تعاريف متعددة، نختار منها تعريف عبدالرحمن بدوي حيث يقول إنه :

(فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون عارفين)[(١)].

أما تعريف المنهج النبوي في الدعوة:

(هو الكيفيات العملية المنظمة التي كان النبي ﷺ يعرض بها الإسلام على الناس، ويواجه بها مشكلات الواقع والدعوة، ويحرك بواسطتها الأحداث من حوله بما يضمن حماية المحتوى الرسالي لدعوته، ويحافِظُ على منجزاتها وسيحقق أهدافها في الخلق) [(٢)].

وتتجلى خصائص هذا المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ في تعامله مع الآخرين وهو يدلهم على الله تعالى أنه : منهج مسدد بالوحي من منطلقه وأهدافه، وثوابته وأصوله، وأُسسه ومرتكزاته، ومنهج شامل ومتكامل يستقصي جميع قضايا الدعوة علماً وعملاً وفكراً وسلوكاً، وعقيدة وشريعة. كما يضبط السلوك ويحكم الحركة أثناء التعامل مع واقع الأمور وحقائق الأشياء.

ومنهج يعلّم الداعية كيف يتعامل مع الواقع بالمعرفة العميقة والفحص الدقيق لاستقراء المناط الحقيقي ليتنزل عليه حكمه الصحيح لإصابة الحكم الشرعي المطالب به إزاء هذا الواقع[(٣)].

المبحث الثاني: تعريف الدعوة لغةً واصطلاحاً

الدعوة لغة :

جاء في مختار الصحاح : دعا بمعنى الدعوة إلى الطعام، ويقال: كنا في دعوة فلان[(٤)]، ودعوتُ فلاناً، وبفلان ناديته وصِحتُ به، ودعاه إلى القتال دعوه[(٥)].

---

(١) د عبدالرحمن بدوي، (١٩٧٧م)، **مناهج البحث العلمي**، (ط٣)، الكويت، وكالة المطبوعات الكويتية :ص٥

(٢) الطيب برغوث، (١٩٩٦م)، **منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة**(ط١):ص ٦٩

(٣) أ.د محمد أمحزون (٢٠٠٣م)، **منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة**،(ط٢) القاهرة، دار السلام :ص١١.

(٤) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (ت:٥٣٨هـ)، **مختار الصحاح**، (ط١)،(تدقيق عصام الحرستاني) دار عمار، عمان ١٩٩٦م: ص ١٠٨.

(٥) الزمخشري، جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر، (ت:٥٣٨ :هـ)، **أساس البلاغة**، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، ١٩٨٥ :ج١، ص٢٧٢.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ معناه : داعياً إلى توحيد الله[١].

الدعوة إصطلاحاً :

وردت تعريفات متعددة للدعوة ذكرها العلماء كلٌ حسب نَظْرته ومفهومه لحقيقتها، فتناولت التعريفات طبيعة الدعوة وموضوعها، ومهامها، وأهدافها، وأساليبها، ووسائلها، وأنا اخترت تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث يقول:

(الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أنَ يعبد العبد ربه كأنه يراه) [٢].

وقال في موضع آخر: (وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب، من باطن وظاهر، فمِن الدعوة إلى الله الأمر به، وكل ما أبغضه الله ورسوله، من باطن وظاهر، فمِن الدعوة إلى الله النهي عنه، ولا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفْعلَ ما أحبه الله، ويتْرك ما أبغضه الله، سواء كان من الأقوال أو الأعمال الباطنة والظاهرة)[٣].

واختصره آخر بقوله: (حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل) [٤].

ونخرج من هذه التعريفات بأن الدعوة إلى الله هي : تبليغ الناس جميعاً دعوة الإسلام، وهدايتهم إليه قولاً وعملاً في كل زمان ومكان، بأساليب ووسائل تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم.

(١) ابن منظور، **لسان العرب** :ج١،ص٩٨٦.
(٢) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، (ت:٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمن قاسم كتاب التفسير :ج١٥،ص ١٥٧.
(٣) المصدر نفسه: ج٦/ص:١٥.
(٤) علي محفوظ، **هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة**، بيروت، دار المعرفة : ص١٧ .

المبحث الثالث: معنى النصرانية

ينص القرآن على أن عقيدة المسيح عليه السلام هي التوحيد الكامل، وصـرح القـرآن بإطلاق اسم الإسلام على أمم سابقة في كثير من الآيات منهـا قولـه تعـالى: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) [1].

ولقد أنزل الله تعالى على عيسى عليه السلام كتاباً سماوياً هوالإنجيل مـصدقاً للتـوراة ومؤيداً لصحيحها، ومبيناً لما حرف منها، وفي الإنجيل هدىًونوروموعظة وحكمة[2] جـاء بهـا عيسى ﷺ إلى بني إسرائيل منذ ما يزيد على ألفي عام، ثم تحول على يد بولس[3] (اليهودي) إلى دين عالمي. واسم النصرانية يعود إلى السببين الآتيين:

الأول: إما أن تكون من النصر، حيث سمى حواريو عيسى ﷺ في القـرآن بأنـصار الله، قال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾.[4]

---

(١) سورة المائدة، الآيـة :١١١. وقولـه تعـالى: (وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ) سورة القصص، الآية :٥٣.

(٢) محمد أبو زهرة، (٢٠٠٦م) **محاضرات في النصرانية**،(ط٣)،القاهرة:دار الفكر :ص١٦

(٣) بولس وأسمه شاؤول، وهو رجل يهودي ولد في طرسوس، كان ينتمي لفرقة الفريسيين اليهودية مثل والده، فقد نشأ على عقائد ومبادئ هذه الفرقة اليهودية المتشددة، وكان قد تشرب التراثين اليهودي واليوناني معـاً وكان موقفه العداء والاضطهاد العنيف للمسيحية كما في الكتاب المقدس، سفر أعمال الرسل إصـحاح ٩، فقرة ١ .

ويبدو أن بولس بعد أن عجز عن محاربة المسيحية بالعنف والإضطهاد قرر أن يلجأ إلى سـلاح الـدس والتدمير الداخلي ودخل في النصرانية واستطاع بذكائه ونشاطه وقوة تأثيره أن يجعل نفسه محور الـدعاة للمسيحية، وأن يفرض ما ارتآه على المسيحية، فيعتنقوه ديناً وكان مما أحدثه بولس في المسيحية أنه نقلهـا من التوحيد إلى التثليث، وقال بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس، واخترع قصة الفـداء للتكفيـر عـن خطيئة البشر، ونقلها من ديانة إلى بني إسرائيل إلى ديانة عالمية، وأهمل يوم السبت اليوم المقـدس عنـد اليهود وجعل عطلة الأسبوع يوم الأحد، وألغى المعالم الهامة التي نادى عيسى عليه السلام نفسه، كالختان، وعدم أكل الخنزير.

انظر **الكتاب المقدس** أعمال الرسل :٢٢، ٦-٢٠، ٢٣، ٦.

انظر: محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية** :ص٦٩ .

انظر: د. أحمد شلبي **المسيحية**، (ط١٢)، القاهرة :مكتبة النهضة:ص١٢٥ .

وانظر: د. محمد ملكاوي(١٩٩٢م)، **اليهودي شاؤول بولس الطرطوشي**،(ط١) .عمان . دار الإسراء .

وانظر: محمد عزت الطهطاوي، **النصرانية والإسلام**، القاهرة : دار الأنصار :ص ٢٤٤ .

انظر: بطرس عبدالملك وآخرون، (١٩٩٤م)، **قاموس الكتاب المقـدس**، (ط٩)، القـاهرة : دار الثقافـة: ص١٩٧ .

(٤) سورة الصف :الآية، ١٤.

الثاني: أنها تكون مشتقه من مدينة (الناصرة) في فلسطين باعتبارها المدينة التي عاش فيها المسيح عليه السلام، وقيل إسمها نَصرانةُ[١].

والنصرانية هي التسمية التي استخدمها القرآن لهذا الدين، وقد أطلق عليهم القرآن والسنة أنهم نصارى، وأهل الكتاب، كما سماهم القرآن أهل الإنجيل.

ولا ينبغي إطلاق المسيحية على النصارى؛ لأن هؤلاء في الواقع لا يتبِعون المسيح عليه السلام، إذ لو اتبعوه لسارعوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ، ولذلك لا نجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله تسميتهم مسيحيين.

أما متى صارت النصرانيةَ علَماً على دين النصارى، فمِن التاريخ (أنه وجدت هذه اللفظة بهذا المعنى في أوائل القرن الثاني الميلادي،إذ كتب " بلين " وكان والياً في آسيا إلى الإمبراطور ترجان الموجود عام (١٠٦م) كتاباً يشرح فيه طريقة تعذيبهم للمسيحيين، فقال: جربتُ مع من آتهموا بأنهم نصارى على الطريقة التالية[٢] ثم إستطرد في طريقِة تعذيبه لهم.

---

(١) الأصفهاني، الراغب، (ت:٤٢٥هـ) **مفردات ألفاظ القرآن**، ط١، (تحقيق صفوان عدنان داوودي)، دار العلم، دمشق١٩٩٢م: ص٨٠٩. انظر، جواد علي،(١٩٧٣م)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (ط١)، بيروت: دار العلم للملايين: ج ٦،ص٥١-٥٢.

(٢) عبد القادر شيبة الحمد، (١٩٩٩م)، **قصص القرآن**، (ط١) الرياض: مكتبة المعارف :ص٣٧٩.

الباب الأول: المسيحية وأحوالها في الجزيرة العربية

الفصل الأول: دراسة تاريخية وعقدية موجزة للنصرانية وأحوالها في الجزيرة العربية، وفيه عدة مباحث

المبحث الأول: نشأة النصرانية

المبحث الثاني: بداية الانحراف في النصرانية وأسبابه

المبحث الثالث: النصارى في الجزيرة العربية قبل البعثة

الباب الأول: النصرانية وأحوالها في الجزيرة العربية

الفصل الأول: دراسة تاريخية وعقدية موجزة للنصرانية وأحوالها في الجزيرة العربية

المبحث الأول: نشأة النصرانية

ولد المسيح عليه السلام - بطريقة معجزة وغير مألوفة – وبعد أن اتهم القوم أُمه مريم عليها السلام بالبهتان، كان المسيح الذي ظنوا أنه دليلُ الاتهام، هو دليل البراءة، فنافح ودافع عن نفسه وعن أمه وهو في المهد، وشاء الله تعالى أن يكون هذا الدفاع جزءاً من الذكر الحكيم الذي يتلى إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾[١].

شاء الله أن يرسله إلى بني إسرائيل مكملاً للتوراة ومتمماً شريعة موسى عليه السلام، فأنزل عليه الإنجيل، وأمره أن يرد بني إسرائيل إلى عقيدة التوحيد بعدما ارتكسوا في حياة الوثنية بعد وفاة كليم الله موسى عليه السلام .

ويبين الله تعالى لنا في القرآن ملامح تلك الرسالة التي تتلخص في الإنجيل الصحيح كتاباً مقدساً، والعقيدة الصحيحة وهي عبادة الله وحده، والدعوة إلى الأخلاق الحميدة،وبخاصة جوانب اللين والتسامح، والعفو، والمحبة، وليس أمامنا مصدر يعطي معلومات صادقة عن دين المسيح عليه السلام وكتابه سوى القرآن الكريم[٢].

---

(١) سورة مريم: الآية (٣٠-٣٤) .

(٢) ونحن نتحدث عن نشأة النصرانية فإن المصدر العلمي التاريخي الصادق الذي يعطينا الحقيقة هو كتاب الله (القرآن الكريم)، ولقد أشار موريس بوكاي إلى كتاب الله الذي وقف صامداً أمام العلم الحديث، وأنه لم يستطع أحد إلا أن يقول بثبوته القطعي يقول بوكاي : (وثمة فرق رئيسي آخر بين المسيحية والإسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة، ذلك هو غياب النص الموحى به، والمحدد في الوقت نفسه عند المسيحية بينما يملك الإسلام القرآن الذي يحقق هذا التعريف :إن القرآن هو نص الوحي المنزل على محمد ﷺ من سيد الملائكة جبريل وقد كتب في الحال، ثم حفظه المؤمنون عن ظهر قلب ورددوه أثناء صلاتهم....).
وهذا التعريف لا ينطبق على الكتاب المقدس عند النصارى، فيقول بذلك: (وخلافاً لما جرى في الإسلام فإن الوحي المسيحي انبنى على شهادات إنسانية متعددة وغير مباشرة، لأننا لا نملك أية شهادة من شاهد عاين=

ولقد ورد ذكر الإنجيل في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، يتبين من خلالها أن هذا الإنجيل كتاب منزل من السماء على نبي الله عيسى عليه السلام، وأن الله تعالى هو الذي علمه هذا الكتاب، بل علمه التوراة والحكمة قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾(1). وقال تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾(2). كما أن القرآن وصف هذا الكتاب بخمسة أوصاف جليلة في سورة المائدة، يقول تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(3).

وعلى الجملة فهذا الكتاب كان يشتمل على توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة وتنزيهه عن الضد والمِثل والصاحبة والولد، كما كان يشتمل على النبوة، والمعاد، ثم على الأحكام الشرعية، وتفاصيل التكاليف الإلهية الخاصة ببني إسرائيل، كما كان يحتوي على الدلالات

=حياة المسيح خلافاً لما يتصوره كثير من المسيحيين، وهكذا تجدها مطروحة: (مسألة أصالة نصوص الوحي المسيحي والوحي الإسلامي). موريس بوكاي،(١٩٧٧م)، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، (ط٤)، دار المعارف ص١١. ولقد عرض بوكاي فصولاً في كتابه بين فيها تاريخية النصوص في العهدين القديم والجديد، وبين التناقضات التي حوتها وتناقضها مع العلم الحديث لما بين عدم أصالة هذه النصوص.

هذا وهناك مئات الشهادات في هذا الأمر، شهد بها باحثون غربيون على عظمة هذا القرآن وإعجازه وأنه ليس من كلام البشر، وهذا كله كان تأييداً لاعتباره المصدر العلمي الوحيد في الحديث عن الأديان السابقة وتاريخها. إن التناقضات الصارخة التي تملأ كتبهم المقدسة ومصادرهم المزيفة، والتي أصبحت حديث المتخصصين في علم مقارنة الأديان من المسيحيين وغيرهم، وما كان ينبغي لدين أن تتصادم رواية مصادره وتختلف نصوصه.

(يقول شارل جينبر :إن أغلب الفقرات التي يظهر فيها أنها من الأناجيل يبدو أنها صدرت عن محرري الأناجيل لا عن عيسى، أما تلك التي ترجح على أنها مبنية على حديث صحيح له فلا تعدو الأربع أو الخمس فقرات، ولا يمكن أن نصفها بأقل من أنها خاصة أساساً في ترجمتها للنص الأصلي، ويجب إبدال تعبير " ابن الإنسان " فيها بكلمة "إنسان" .شارل جنيبير،**المسيحية**،بيروت:المكتبة العصرية، ص٤٠.

ويقول: بولتمان (لا يمكن أن نثبت صحة أي كلمة من كلام المسيح، وكل ما يمكن أن نقول عن حياة يسوع وشخصيته هو ألا نقول شيئاً يرجع ذلك إلى عدم التأكد من الوثائق التي لدينا).

الدكتور القس حنا جرجس الخضري، **تاريخ الفكر المسيحي**،القاهرة: دار الثقافة المسيحية، ج ١،ص١٦ وانظر متولي يوسف شلبي، (١٩٨٦م)، **أضواء على المسيحية**،(ط١)، دار الكويتية، حيث تكلم تحت عنوان: (لماذا كان القرآن الكريم هو المصدر_ كلاماً طيباً - إذ قال: (إن الأناجيل لم تنل حظها من الثقة التاريخية، وتعرضت للنقد الشديد من العلماء المسيحيين الذين أسلموا عن رغبة، وتعرضت للنقد من علماء باحثين مسيحيين لم يسلموا مثل د. نظمي لوقا، وأشار أن القرآن إتخذ مكانته العلمية بين الأوساط المسيحية نفسها ....) :ص١٧.

(١) سورة الحديد :الآية ٢٧.

(٢) سورة آل عمران:الآية ٤٨.

(٣) سورة المائدة :الآية ٤٦.

الظاهرة على نبوة نبينا الكريم محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٢).

وفي سورة مريم ينطق عليه السلام بهذه الحقيقة وهو طفل في المهد، فتكون أول قضية يواجه بها الناس، فقال تعالى في هذا الإطار:

﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾(٣).

وهكذا يعلن عليه السلام عبوديته لله، فليس هو ابنه كما تدعي فرقة، وليس هو إله كما تدعي فرقة أخرى، ليس هو ثالث ثلاثة هم إله واحد وهم ثلاثة كما تدعي فرقة ثالثة، ويعلن أن الله جعله نبيا لا ولداً ولا شريكاً، وبارك فيه وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته، والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته(٤).

ونحن نتحدث عن نشأة المسيحية لابد من القول : إن المسيح عليه السلام قد حاول أن يبقي من البناء اليهودي حوائطه السليمة بعد أن يغْسِلَها مما شابها من أرجاس، ولقد قال المسيح عليه السلام: (لم أُرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة)(5)، ولكنه في داخل هذا النطاق مضى في دعوته الإصلاحية فارتقى بالعقيدة الدينية حيث أعطى للألوهية صفاتها الأسمى: (ونزع عن الإله ما إنحرف به اليهود حينما وصفوا الله بالغلظة والجبروت)(٦)، وركز الأضواء على الصفات الإلهية المحببة، فهو الإله الرحيم البار ناصر الضعفاء ومواسي المكروبين وسعت رحمته كل شيء في ملكوته، ففي إنجيل لوقا: (طوبى للرحماء لأنهم يرحمون، طوبى

---

(١) سورة الصف: الآية ٦.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٩ .
(٣) سورة مريم: الآية (٣٠-٣٢).
(٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن**:ج٤، ص٢٣٠٨.
(٥) **الكتاب المقدس**، إنجيل متى: ٢٤/١٥.
(٦) يقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وتصوير الله بأنه آلة الحرب والمجازر فالرحمة مفقودة والدعوة إلى القتل والتدمير هي الأساس وسفر (يوشع) ملئ بهذه المفاهيم القاسية التي تدعوا إلى الوحشية بكل معانيها، ومن ذلك مثلاً ما أورده عند دخولهم لمدينة أريحا عندما قتلوا كل الرجال والنساء والأطفال حتى البهائم. (**الكتاب المقدس**: يوشع ٢٤/٦).

للأنقياء لأنهم يعاينون الله، طوبى للمطروديـ ـن من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات.... افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات)[١].

وصحح المسيح العقيـ ـدة اليهوديـ ـة فيما يختص بالثواب والعقاب واليوم الآخر، فقال بالبعث والحياة الآخرة... وأن الناس جميعـ ـاً سيحاسبون على ما قدمت أيديهم في الحياة الدنيا، ويلقون جزاء وفاقاً على كل كبيرة وصغيرة مـ ـن أعمالهم : (ولكن أقول لكم أن كل كلمة بطّالة يتكلم بهـ ـا الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الـ ـديـ ـن، لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تُدان)[٢].

ولقد ظلت المسيحية دعوة خاصة بالإسرائيلية أو حركة إصلاحية لتصحيح ما طرأ على اليهودية من مفاسد طوال حياة المسيح في الأرض، ولكن الموقف العدائي الفظ الذي وقفه كافة اليهود من هذه الدعوة والذي كانت خاتمته مؤامرة دنيئة[٣] دبرها اليهود لهذا النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم تمثلت في عملية الصلب[٤].

---

(١) **الكتاب المقدس**: إنجيل لوقا:٢١/٦.

(٢) **الكتاب المقدس**: إنجيل متى: ٣٦/١٢.

(٣) لقد رفض اليهود دعوة المسيح والتي قامت على التوحيد والزهد، وأن الناس سواسية أمام الله أكرمهم عنده أتقاهم فلا سلطة للأحبار على الناس، فنظراً لطبيعة اليهود المادية حتى عنـ ـد أحبـ ـارهم ورهبـ ـانهم هـ ـذه الطبيعة التي لا تتفق مع الدعوة إلى الإيمان والصفاء والتسامح وعدم الغش والخداع والإستعداد للآخـ ـرة، ولا ننسى حالة الإستبداد الديني وصورته أن بعض الحاخامات أمره مقدم على أمر الرب وقوله وهذا مـ ـا ندد به المسيح عليه السلام ودعا إلى التسوية بين البشر فناصبوه العداء .
ونضيف عاملاً آخر يكمن في الأساس وهو أن دعوة عيسى عليه السلام جـ ـاءت بالتوحيـ ـد الخـ ـالص لله تعالى، واليهود أشركوا بالله كثيراً وجحدوا رسله وكفروا بآياته لهذا وغيره من مبادئ الحق والخير أغـ ـروا به الحاكم الروماني وكذبوا عليه وتقولوا بعض الأقاويل فأعلن الحاكم الروماني حكم إعدامه صلباً .
انظر محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص٢٦. بتصرف

(٤) يتحدث القرآن عن قضية صلب المسيح عليه السلام حيث ذكر دعوى اليهود بقتل عيسى وصلبه في معرض الوصف لتاريخ اليهود مع الرسل والأنبياء عليهم السلام، حينما طلبوا من رسولهم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، فكان الرد الإلهي: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ..... وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾. سورة النساء الآيات: (١٥٣-١٥٦).
فنحن نجد أن القرآن يقرر أن الله ألقى شبه المسيح على أحد حواريه المسمى: يهود الإسخريوطي، وهـ ـو الذي تقول عنه الأناجيل بأنه دس عليه، ليرشد اليهود والرومان عليه، إذ كانوا لا يعرفونه، انظر:أعمـ ـال الرسل: ١٥/١-٢٦ .
يقول الله تعالى في سورة آل عمران الآيـ ـة :55 ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ وفـ ـي سـ ـورة النساء الآية: ١٥٨ ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ وجمهور أهل السنة والجماعة علـ ـى أن الله رفـ ـع المسيح إليه بجسده وروحه، ويفسرون التّوفي بأنه إلقاء النوم عليه إلى أن رفعه الله إلى السماء على حـ ـد قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ . بيد أن هناك رأياً للشيخ شلتوت يقول فيـ ـه حول موضوع الصلب: (إن كل ما تفيده الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله لعيسى بأنـ ـه متوفيـ ـه=

وجعلت حوارييه[1] المخلصين يجِدون للنجاة برقابهم في الهرب بعيداً عن ظلم اليهود ووحشيتهم، وتفرق هؤلاء الحواريون في أنحاء الأرض يلتمسون الملجأ والأمان في سائر بقاعها لدى كل من يجدون عنده استعداد للعطف عليهم، والتصديق بدعوتهم، والاعتراف بمبادئهم.

=أجله ورافعه إليه، وعاصمه من الذين كفروا وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه، ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه) .

والمقصود أن الله تعالى أماته: (حيث انتهى أجله ونجاه من أعداءه ورفعه الله ميتاً). انظر محمود شلتوت، **الفتاوى الكبرى**، دار الشروق: دمشق، ص٥٩-٦٥.

وانظر قصة الصلب في الطبري، محمد بن جرير (ت:٣١٠:هـ) **تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ج١،ص٤٣٥، حيث ذكر الطبري التأويل في صفة التشبيه الذي شبه اليهود في أمر عيسى عليه السلام، ومعنى التوفي والرفع في شأن عيسى عليه السلام .

وانظر ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨ت:هـ) **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** ط٢(تحقيق علي بن حسن بن ناصر وآخرون)، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ج٢ص١٠٨ وانظر: عبدالرحمن الصمادي، **موقف الغزالي من عقائد النصارى من خلال كتابه الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل**، وهي رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان.

وانظر محمد متولي الشعراوي (٢٠٠١م)، **قصص الأنبياء والمرسلين**، (ط١)، بيروت :المكتبة العصرية: ص ٤٣٣، وانظر محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**: ص٢٧ .

وانظر د. أحمد شلبي **المسيحية**، ص ١٧٠

وفكرة الصلب والفداء أو الخلاص ومفهومها في عقيدة النصارى تتمثل فيما يأتي :

إنه لا بد أن يتحمل خطايا الإنسان شخص يرى أنه كامل، فكانت السماء تعد العدة لتجسده من أجل أن يموت على الصليب بدل الخاطئ. جاء في رسالة بولس: (لأن المسيح إذا كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفُجار، ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاةٌ مات المسيح لأجلنا). **الكتاب المقدس:** رسالة بولس الرسول إلى أهل روميه: ٦/٥ .

(يعتقد النصارى بسبب خطيئة آدم عليه السلام أبي البشر في أكله من الشجرة التي نهاه الله عنها في الجنة قامت فكرة الصلب والفداء، وتعني صلب المسيح عليه السلام نيابة عن الجنس البشري، وفداء له، إذ كان على الله بمقتضى صفة العدل أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة المشار إليها، والتي إرتكبها أبوهم، لكن بمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئاتهم، ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة، إلا بتوسط المسيح ابن الله (في إعتقادهم) وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الناس، ثم يقتل ويصلب ظلماً، وذلك ليكفر خطيئة آدم أبي البشر في ذريته، وهذا ما يعبر عنه النصارى بالخلاص، وهنا فقد تمت المصالحة بين الله والناس).

انظر: المستشار محمد عزت الطهطاوي (١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، **الميزان في مقارنة الأديان**،(ط١)، دار القلم: دمشق: ص١٥٥ وقد رد المؤلف على الكلام المذكور رداً جميلاً شافياً .

وانظر الهمذاني، القاضي عبد الجبار (ت:٤١٥هـ)، **تثبيت دلائل النبوة**، (تحقيق عبد الكريم عثمان)، دار العربية، بيروت ١٣٨٦هـ -١٩٦٦، ج١ ص١٢١ حيث ذكر روايات الإنجيل التي تشير إلى أن المصلوب غير عيسى عليه السلام بل شبيهه ...

(١) الحواريون: أنصار عيسى عليه السلام، وإنما سموا حواريين لأنهم كانوا يطهّرون نفوس الناس بإفادتهم الدين والعلم .

انظر الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**: ص ٢٦٣. وقيل: الحواريون خواص الرسل ومنه الحديث: (لكل نبي حواري وحواري الزبير) أخرجه البخاري، عن جابر رضي الله عنه كتاب فضائل الصحابة باب مناقب الزبير بن العوام برقم ٣٧١٧، ابن حجر احمد بن علي ت (٨٥٢هـ) **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ط١، (تحقيق عبد العزيز بن باز)، دار الفيحاء، دمشق،١٩٩٧م، ج٧،ص ١٠١، وأخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله كتاب فضائل الصحابة باب فضائل طلحة والزبير برقم ٦١٩٣، النووي،يحي بن شرف (ي:٦٧٦هـ)، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ط٦، (تحقيق خليل شيحا)، دار المعرفة، بيروت، ج١٥،ص١٨٣. وانظر: السهيلي، أبي القاسم عبد الرحمن، (ت:٥٨١هـ)، **الروض الأنُف**، ط١، (تعليق: عمر السلامي)، دار إحياء التراث، بيروت، (١٤٢١)،ج٧،ص ٥٠٩، وانظر=

المبحث الثاني: بداية الانحراف في النصرانية وأسبابه

لا بد من القول: إن دراسة متأنية لخط سير النصرانية منذ نشأتها إلى العوامل الخارجية والداخلية التي دخلت عليها، وأدت بها إلى الانحراف عن مسارها الصحيح لتعطينا صورة واضحة على أنهم صنعوا لأنفسهم ديناً جديداً لا علاقة له بالدين المنزل من عند الله تعالى على عيسى عليه السلام .

إن معرفة العوامل التي أثرتْ في تحريف رسالة المسيح عليه السلام أمراً من الأهمية بمكان للأسباب الآتية :

أولاً- نستطيع من خلالها الكشف بالبرهان عن حقيقة دعوة المسيح عليه السلام، وحقيقة ما عليه النصارى الآن، وأنه لا يمت إلى رسالة المسيح عليه السلام بصلة .

ثانياً- إظهار براءة نبي الله عيسى عليه السلام مما افتراه عليه النصارى، لتبقى صورته وضاءة شأن أنبياء الله عز وجل .

ثالثاً- تحذير المسلمين من الوقوع فيما وقع فيه النصارى حتى لا يصيب ديننا ما أصاب دينهم من التحريف .

رابعاً- الكشف عن حقيقة النصرانية المعاصرة، وتجلية ما طرأ على هذا الدين من انحرافات، وذلك يساعد الدعاة المسلمين في دعوتهم للنصارى لقَبول الإسلام ، ويدركوا حقيقة ما هم عليه من ديانة، انْحرف بها أصحابها عن الدين الصحيح .

تحريف الإنجيل:

ومن أبرز أسباب فساد النصرانية، وأثره في الانحراف العقـدي، فقـدان النـصوص الأصلية، وشيوع التحريف الذي وقع على النص.

=القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري،(ت:٦٧١ه) **تفـسير القرطبـي،** ط ٢، (تحقيـق: سـالم البدري)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤-٢٠٠٤،ج٩،ص٥٨.

وفي القرآن إشارة إلى أن الحواريين هم السابقون الأولون من أمة عيسى عليه السلام وكبار أصحابه رضي الله عنهم، فذكر ما ألقى الله في نفوسهم من المسارعة إلى الإيمان بعيسى عليه السلام ونصرته وتصديقه في ما جاء به عن ربه عز وجل حيث يقول: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾، سورة المائدة : الآية ١١١ .

يقول ابن حزم: ليعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمونهم النصارى، ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح عليه السلام مثل متى، ويوحنا وغيره، فلم يكونوا قط مؤمنين. فكيف حواريين؟ بل كانوا كـاذبين كفـاراً مستخفين بالله إما مقرين بألوهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك، غالين فيه، وإما مدسوسين مـن قبـل يهود كما تَزعم اليهود لإفساد دين أتباع المسيح عليه السلام وإضلالهم).

انظر ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، (ت: ٤٥٦هـ)، **الفصل في الملل والنحل،** ط٢، (وضع حواشـيه أحمد شمس الدين)، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤٣٠هـ -١٩٩٩م :ج١،ص ٢٨٨ .

ولتوضيح هذه القضية لابد من تفصيلها بالنقاط الآتية:

١- إن الإنجيل الحق الذي ورد ذكره في قوله تعالى: (وآتيناه الإنجيل)[1] قد كان موجوداً في عصر عيسى عليه السلام، وبعد رفعه، وقد دعا المسيح عليه السلام بني إسرائيل إلى الإيمان به، ولا يقتصر إثباتنا لإنجيل عيسى عليه السلام على ما جاء في القرآن الكريم، بل جاء إثباته في الكتابات النصرانية القديمة والحديثة، فقد جاء في إنجيل مرقس: (وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل) [2].

وذكره بولس في رسائله منها قوله في رسالته إلى أهل تسالونيكي: (جاهرنا في إلهنا أن نكلمكم بإنجيل الله في جهاد كثير، إلى أن يقول: فإنكم أيها الأخوة تذكرون تعبنا وكدنا إذْ كنا نكرز لكم بإنجيل الله) [3].

إلا أن هذا الإنجيل الذي نزل على المسيح عليه السلام لا وجود له الآن بين يدي

النصارى، وليس هو من ضمن الأناجيل المكتوبة التي يقدسونها[4] مع التصريح في أناجيلهم كما نقلنا آنفاً بوجوده وطلب الإيمان به، وفي هذا يقول سفر أعمال الرسل عن بطرس، ويوحنا في دعوتهما للسامريين من اليهود: (وكما شهدا وتكلما بكلمة الرب رجعا إلى أورشليم وبشرا بالإنجيل في قرى كثيرة للسامريين) [5].

والمطلع على الأناجيل الأربعة وغيرها يجد أن كُتّابها قد استفادوا كثيراً من الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام قبل ضياعه، فنقلوا عنه بعض الوقائع التي لا طريق للعلم بها إلا بواسطة الوحي، ثم أضافوا إليها من العقائد والآراء والتوجيهات ما ليس له أدنى صلة بالوحي المنزل، أو كلام النبي المرسل، بل كانت تحريفاً للعقيدة بعد فقدان الإنجيل الأصلي.

يقول أبو زهرة نقلا عن آكهارت: (كان في المسيحية رسالة مختصرة في بيان أحوال المسيح، ويجوز أن يقال: إنها الإنجيل الأصلي، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، ولم تكن الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب) [6].

٢- إن قراءة واعية لنصوص الأناجيل لتعطينا صورة واضحة عن التضارب في التعاليم المنسوبة إلى المسيح في موضوعات شتى، حيث نرى أن الأناجيل المتداولة تنسب إلى

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٦.

(٢) **الكتاب المقدس**، إنجيل مرقس: ١/ ١٤، غلاطية: ٢/ ١٤ .

(٣) المرجع السابق، رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي: ٢ /١.

(٤) ابن تيمية، **الجواب الصحيح**: ج١،ص٣٩٧.

(٥) **الكتاب المقدس**، سفر أعمال الرسل: ٢٥/٨ .

(٦) أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**: ص ٥٦.

المسيح أقوالاً يخالف بها ما قاله بنفسه في هذه الكتب عينها، مما يجعلنا نشك في الروايـات ونوقن بالتحريف، وهناك مثلان من ذلك التضارب:

أ- إكرام الوالدين وحبهما يناقض إهانتهما وبغضهما:

جاء في إنجيل متّى على لسان السيد المسيح عليه السلام قوله: (إن الله أوصى قائلاً أكرم أباك وأمك، ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً) (١).

ومع ذلك فقد جاء في إنجيل لوقا ما يناقض ذلك ويصادمه من مثل القول المنسوب زوراً إلى السيد المسيح عليه السلام: (إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أبـاه وأمـه وامرأتـه وأولاده وإخوته وإخوانه حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون تلميذاً) (٢).

ب- تحريم القتل يناقض الأمر به:

بينما نرى المسيح عليه السلام موصوفاً في إنجيل متى بأنه يحرم القتل فيقول: (ولكـن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ... لا تقتل ....) (٣).

تراه أيضا في إنجيل لوقا يوصف زوراً بالحض على التمثيل بالأبرياء، والمناداة بـذبح الآمنين، والدعوة إلى تمزيقهم شر ممزق وذلك قوله: (أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي) (٤).

٣- لقد وجد علماء الغرب ومفكروهم من يثبت حالة التناقض والتحريف في الأناجيل الأربعـة وغيرها(٥)، بل إن العالم إستاولن يقول: "إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالـب مـن طلبـة مدرسة الإسكندرية في ذلك الوقت، تلك المدرسة التي اعتنقت مبـادئ الثـالوث وألوهيـة المسيح والروح القدس وبشرت به".

وتقول دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها (٥٠٠) من علماء النـصرانية ما نصه: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا شك كتاب مزور ... الخ). ويقول أكهارت في مقدمة أبحاثه: (إن كثيراً من القدماء كانوا شاكين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا)

---

(١) **الكتاب المقدس**، إنجيل متى: ١٥/ ٤.
(٢) المصدر نفسه، إنجيل لوقا: ١٤ /٢٥.
(٣) **الكتاب المقدس**، إنجيل متى: ١٩/١٩ .
(٤) **الكتاب المقدس**، إنجيل لوقا: ١٩/١٩، ٢٧.
وصور التناقض في الأناجيل حول مسائل متعددة واضح وبين ولقد ذكر ذلك عدد مـن المختـصين مـنهم رحمة الله الهندي (١٤٢٦ه)، **إظهار الحق**،(ط١)، إعتنى به عادل بـن سـعد، القـاهرة : دار الهيـثم . والدكتور **صابر طعيمة في الأسفار المقدسة قبل الإسلام**، د. رفقي زاهر **في قـصة الأديـان** ود. محمـد وصفي، **حقيقة المسيح**،(ط١)،القاهرة: مكتبة وهبة،ص ٣٧ ومحمد أبو زهرة، **محاضرات في النـصرانية**، ص ٨١، د. موريس بوكاي، **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، ص ١١٧.
(٥) محمد عزت الطهطاوي، **الميزان في مقارنة الأديان**، ص ٩٩.

وهذه شهادة أحد الباحثين الفرنسيين المتخصصين في تاريخ المسيحية شارل جينبر حيث يقول: (إن أغلب الفقرات التي يظهر فيها أنها من الأناجيل يبدو أنها صدرت عن محرري الأناجيل لا عن عيسى، أما التي ترجح أنها مبنية على حديث صحيح له فلا تعدو الأربع أو الخمس فقرات ...) [(١)].

ويقول آدم كلارك وهو من كبار علماء المسيحيين البروتستانت عن ظهورأناجيل مختلفة من أصله هذا أمر محقق، (أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أوائل القرون المسيحية، وكثرة هذه الأقوال الكاذبة غير الصحيحة هيجت لوقا على تحرير الإنجيل، ويوجد أكثر من سبعين إنجيلاً من هذه الأناجيل الكاذبة والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية، وكان الفاضل "فايرى سيوس" جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلدات"[(٢)].

ولقد أشير إلى انتشار مدعِي النبوة الكذبة في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس قوله: (لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعله ماكرون مغيرون شكلهم إلى شكل رسل المسيح[(٣)]) أي أنهم يدعون أنهم رسله كذباً ونفاقاً.

ويورد أحمد ديدات رحمه الله أقوالاً لعلماء مسيحيين تشير بل تؤكد أن الكتاب المقدس تأليف بشري[(٤)]، فالأول: الدكتور جراهام سكروجي عضو معهد مودي للكتاب المقدس بشيكاغو في جوابه على سؤال هل الكتاب المقدس كلام الله تحت موضوع: (الكتاب المقدس تصنيف بشر ومع ذلك فهو سماوي) في صفحة ١٧: (نعم إن الكتاب المقدس تصنيف بشر، وقد مرت من خلال أذهان البشر، وكتبت بلغة البشر وبأقلامهم، كما أنها تحمل صفات تتميز بأنها من أسلوب البشر).

الثاني: ويقول العالم كينيث كراج أسقف بيت المقدس من الطائفة الإنجليكانية البريطانية في كتابه (دعوة المئذنة) ص ٢٧٧: (إن الأناجيل إنتاج الذهن الكنسي من وراء المؤلفين فهي تمثل الخبرة والتاريخ).

ولقد أشار القس إنسلم تورميد الذي أسلم واشْتَهر بعبد الله الترجمان الأندلسي إلى الذين كتبوا الإنجيل بقوله: (إن الذين كتبوا الأناجيل أربعة هم: متى،وماركوس، ولوقا، ويوحنا وهؤلاء

---

(١) شارل جينبر، **المسيحية**: ص ٤٠.

(٢) عبد الكريم الخطيب، (١٩٦٥م)، **المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل**،(ط١)، القاهرة: دار الكتب الحديثة: ص٧٨.

(٣) **الكتاب المقدس**، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس: ١١/ ١٣.

(٤) أحمد ديدات، (١٩٨٩م)، **هل الكتاب المقدس كلام** الله، (ط١)، القاهرة: دار المنار: ص١٠٣-١٠٤.

هم الذين أفسدوا دين عيسى عليه السلام، وزادوا، ونقَّصوا، وبدلوا كلام الله تعالى، وليس هؤلاء من الحواريين الذين أثنى الله عليهم في القرآن) [١].

وبين كثير من العلماء غير المسلمين أن أسفار التوراة والإنجيل المعتمدة لدى طوائف النصرانية محرفة ومتناقضة منهم على سبيل المثال العالمان اليهوديان:

- إبراهيم بن عزير الذي عاش من سنة ١٠٩٣ – ١١٦٧م.
- باروخ سبينوزا الذي عاش خلال المدة من ١٦٣٢ – ١٦٧٧م[٢].
- وقد أحصى العلامة الشيخ رحمة الله الهندي، (ت: ١٣٠٨هـ)، الاختلافات الموجودة في هذه الأناجيل، وتمثلت في وجود ١٢٤ إختلافاً في التوراة والأناجيل المتداولة الآن، و٣٧ غلطًا في التوراة، و١١٠ غلطًا في الإنجيل، وأورد مائة إختلاف بين الأناجيل، منها (٢٥) شاهداً أثبت فيها التبديل اللفظي، و(٣٥) شاهداً أثبت فيها النقص، و(٤٥) شاهداً أثبت فيها الزيادة، وهذه الاختلافات دونها في كتابه إظهار الحق.

وقال بعد هذا الإحصاء العلمي الدقيق: (... لا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كل سفر من أسفار العهد العتيق والجديد كتب بإلهام): أي إلهام الرسل بهذه الكتب[٣].

ووضع العلماء اعتماداً لما ذكرناه ملاحظات عديدة على الأناجيل[٤]، وهي:

- أنها ليست من إملاء المسيح عليه السلام ، ولم يشهدها.
- أن كاتبيها ليسوا على مستوى الأهلية، ليكونوا علماء دين، لأنهم مجهولون إما مجهولو النسب، أو الصفة، أو العلاقة بالكتاب المدون.
- أنها لرغبات خاصة أملتها بيئات عديدة مختلفة، وهذه الرغبات الخاصة مجهولة الأفراد والهيئات.
- أن أصولها معترف بضياعها من أهلها، وأن ترجمة بعضها غير موثوق فيه لضياع الأصل أو لجهل المترجم.

---

(١) عبد الله الترجمان الأندلسي، **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب**، (ط٣)، القاهرة: دار المعارف: ص٦٥-٦٦.

(٢) محمد الطهطاوي، **الميزان في مقارنة الأديان**: ص ٧٢.

(٣) رحمة الله الهندي، **إظهار الحق**: ج٢،ص٣٥٣.ولقد قال ناصر الدين دنيبه :إن الأناجيل لم ينلها التنقيح الواجب الدال على المهارة والذكاء، لأن واضعيها، وهم قليلو الخبرة بعلم النفس، لم يدركوا أن ما يصح ذكره على لسان نبي لا يصح أن يقال على لسان ابن لله، وإلا كان الأمر غريباً شاذاً نابياً، على أن هذا هو ما حصل، فقد جاءت في أناجيلهم كلمات كثيرة على لسان المسيح يعجب المرء لصدورها ممن كان في منزلته،من مثل احتقاره لأمه العذراء،إنجيل يوحنا الإصحاح:١٢، ص ١٧. وكُره الغريب: إنجيل متى: الإصحاح: ١٥، ص ٢٨، وأقوال دالة على الخوف والغم،إنجيل متى الإصحاح:٢٦ ص:٥٠ وغيرها كثير أنظر: ناصر الدين دنيبه، (١٩٢٩م)، **أشعة خاصة بنور الإسلام**، القاهرة :المطبعة السلفية: ص٤٥-٤٧

(٤) رؤوف شلبي، **أضواء على المسيحية**: ص ٥٠-٥١.

- أنها لا تحمل صفة الرواية حتى في أصل صورها التي يجب أن تتوافر لكتاب سماوي أو تعاليم نبي.

وهكذا يلحظ الدارس المتتبع أن الملاحظات الانتقادية، القديمة والحديثة، التي يوجهها علماء النصارى للنصرانية، وغيرهم للكتب المقدسة عندهم تمتد إلى جانبين رئيسين هما:

- جانب السند، ونقده نقداً علمياً، والتحقق من انقطاعه وعدم اتصاله بصاحب الشرع[١].
- وجانب النص أو المتن، ونقده نقداً علمياً كذلك، وإظهار تناقضه وتحريفه.

ويتضح لنا بأن فقدان الإنجيل الصحيح الذي أنزل على عيسى عليه السلام فتح الباب على مصراعيه للتحريف العقدي الظاهر على الكتب المحرفة.

بولس ودوره في تحريف النصرانية:

إن بداية الانحراف في النصرانية كان دخول بولس فيها حيث أحدث انقلاباً شاملاً إستطاع أن يؤسس ديانة تختلف تماماً عن المسيحية التي جاء بها المسيح عليه السلام.

ولعظيم خطر بولس هذا، وكبير أثره في تحويل مجرى النصرانية، وتبديل الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، وتحريف تعاليمه، نرى لزاماً علينا أن نتحدث عن شخصيته من كتبه، ورسائله بالنقاط الآتية:

١. حياة بولس:

ولد من عائلة يهودية أقامت بمدينة طرطوس[٢] ووجدت بها رزقاً لها، فهو ينتمي إلى عائلة ذات شأن، ويحمل لقب (مواطن روماني) وراثة عن أبيه، وكان يجيد اليونانية ويكتبها[٣].

كان بولس من فرقة الفريسيين على أرجح الأقوال، واسمه شاول Shaul، وكان من ألد أعداء المسيحية، ومن أشدهم حربا عليها وعلى أهلها، فكان يسطو على معابد المسيحيين، ويقتحم

---

(١) محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص ٧٥-٧٦، وانظر موريس بوكاي، **دراسة في الكتب المقدسة**: ص ٤-٩.

(٢) يتحدث ول ديورانت عن العقائد التي وجدت في هذه المدينة قائلاً "إن طرطوس كانت كغيرها من المدن اليونانية، وبها الكثير من العقائد الخفية، فكان أهلها يعتقدون أن الإله الذين يعبدونه قد مات من أجلهم، ثم قام من قبره، وأنه إذا دعي بإيمان حق وصحب الدعاء بعض الطقوس الصحيحة استجاب لهم، وأنجاهم من الجحيم" ويضيف ديورانت، أن بولس مزج مبادئ اليهود بعقائد اليونان فيما وراء الطبيعة. أنظر ديورانت ويل (١٩٦٥م)، **قصة الحضارة**، القاهرة : جامعة الدول العربية الإدارة الثقافية :ج١١،ص٢٥٢.

(٣) شارل جينبر، **المسيحية نشأتها وتطورها:** ص٦٨ – ٦٩.

بيوتهم ويغِير عليهم في الطرقات، فيقتل منهم من يقتل، ويعذب من يعذب، ويشد وثاق بعضهم من الرجال والنساء، ويسلمهم إلى السجون وساحات التعذيب(١).

٢. دخول بولس المسيحية أو النصرانية

ولم يكن بولس من تلامذة المسيح أو حوارية، بل لم ير المسيح في حياته ولم يسمع منه أية موعظة من مواعظه، ولقد انتقل من حاله التي كان عليها في عدوانه للمسيحية فجأة إلى المسيحية من غير مقدمات اللهم ما حكاه عن نفسه في سفر أعمال الرسل ـ وذات يوم بينما هو سائر في طريقة إلى دمشق ظهر له المسيح في عمود من نور، وكان ذلك بعد صلبه ورفعه، وهداه إلى الصراط وكلفه تبليغ رسالته إلى الأمم وهدايتهم إلى المسيحية(٢)، ومن الطبعي بعد دخول بولس في المسيحية أن يحاول الاتصال بحواري المسيح وتلاميذه، ولكنهم خافوا منه،ولم يصدقوا إيمانه(٣). ولكن شهد له برنابا تلميذ المسيح بصحة إيمانه(٤)، وقص عليهم قصة هدايته وظهور المسيح له، فاطمئنوا إليه، وأنزلوه منهم منزلة كبيرة، وانقلب من ألد أعداء المسيحية إلى أكبر دعاتها والمدافعين عنها، وأخذ يطوف في البلاد عاملاً على نشرها وإدخال الناس فيها، واصطحب معه "برنابا" في رحلاته الأولى ثم اختلفا بعد ذلك فافترقا(5)، وظل سائراً على منهجه ينشئ "الكنائس"ويلقي الخطب، ويؤلف الرسائل في عقائد المسيحية وشرائعها وأخلاقها، حتى قُتل في اضطهادات نيرون سنة ٦٦ أو ٦٧م(٦).

وينسب إلى بولس أربعة عشر سفراً من أسفار العهد الجديد تسمى "رسائل بولس" وبفضل هذه الرسائل أصبح لبولس في تاريخ المسيحية وعقائدها وشرائعها أكبر شأن، حتى أن المسيحية الحاضرة لتنسب إليه أكثر مما تنسب إلى غيره وتستمد معظم أصولها وتعاليمها من رسائله، وحتى إن كلمة الرسول، إذا أُطلقت لا يراد بها في اصطلاحهم إلا بولس، كما يطلقون عليه كذلك لقب "الرسول الكبير"(٧).

---

(١) انظر **الكتاب المقدس،** أعمال الرسل: ٨/ ٣، وأنظر: رسالة بولس إلى أهل غلاطية: ١/ ١٤حيث يقول: (فإنكم سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية،أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها) .

(٢) الكتاب المقدس، سفر أعمال الرسل: ٧/٢٢.

(٣) المصدر نفسه: ٢٧/٩.

(٤) **الكتاب المقدس،** سفر أعمال الرسل: ٩/ ٢٧.

(5) **الكتاب المقدس،** رسالة بولس إلى أهل غلاطية: ٢/ ١.

(٦) محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**: ص٧٢.

(٧) د. علي عبد الواحد وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام،** القـاهرة: دار نهـضة مـصر: ص٨٢. وأحمد شلبي، **المسيحية** :ص١٢٥

٣. على من تلقى بولس مبادئ المسيحية

أما كيف تلقى شاؤل المسيحية ومن هم أساتذته، فهي قضية تشبه قضية دخوله المسيحية حيث عرضها بطريقة لا تناقش حيث بين أنه كان على صلة مباشرة بالمسيح، وإن كان لم يره ولم يسمع منه فقال: (وأعرفكم أيها الأخوة: الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح"(١).

"وبدعوى بولس هذه التي يزعم فيها أن هذه التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح صادر حق التلاميذ والحواريين في أن يناضلوه فيما ينشره من تعاليم، ولو كانت مخالفة للتعاليم التي تلقوها مباشرة من المسيح وقت وجوده معهم وقبل ذهابه عنهم"(٢).

بل راح يقول في صراحة أنه الوحيد الذي أؤتمن على المسيحية وعلى إنجيل مجد الله المبارك(٣)، وعلى هذا لم يكن لبولس أساتذة تلقى عنهم النصرانية.

٤. ما أحدثه بولس في المسيحية

أ. ما أحدثه بولس في تشريع المسيحية

أولاً: لقد كتب بولس أربعة عشر رسالة وهي وحدها تمثل في حجمها ٦/٥ الرسائل جمعياً، حتى ليمكن القول دون تردد: إن رسائل بولس هي وحدها مصدر التشريع في المسيحية، وأن التشريعات التي وردت في الرسائل الأخرى كانت تكراراً وصدى لآراء بولس وتشريعاته(٤).

ثانياً: لم يكتف بولس بما وضعه من مبادئ في المسيحية وشعائر لها، بل شرع قوانين للمسيحيين يتبعونها في حياتهم العامة،كالآتي:

- فهو الذي أوصى بما نراه في الكنائس من الأغاني والمزامير والتراتيل، ويتبين ذلك من الإطلاع على رسالته إلى أهل أفسس(٥).
- قرر عدم وجوب الختان،كما هو موضح في رسالة بولس إلى أهل رومية حيث يقول: "ما هو نفع الختان"(٦) .

---

(١) **الكتاب المقدس**، رسالة بولس إلى اهل غلاطية: ١١/١ .
(٢) محمد عزت الطهطاوي، **النصرانية والإسلام**: ص٢٤٧.
(٣) **الكتاب المقدس**، رسالة بولس إلى أهل تيطس: ١/ ٣، ورسالة بولس إلى تيموثاوس الأولى:١/ ١١ .
(٤) محمد عزت الطهطاوي، **النصرانية والإسلام** :ص٢٥٧.
(٥) **الكتاب المقدس**، رسالة بولس إلى أهل أفس: ٥/ ١٩.
(٦) **الكتاب المقدس**، رسالة بولس إلى أهل رومية: ٣/ ١.

ويقول "ليس الختان شيئاً" وليست الغرلة شيئاً بل حفظ وصايا الله"[١].

- أجاز الزواج للأساقفة، وظاهر كل ذلك في رسالة تيموثاوس الأولى، إذ يقول "يجب أن يكون للاسقف بلا لوم بعل أمرأة واحدة، وليكن من الشماسة بعل أمرأة واحدة"[٢].
- تكلم في رسالة كورنثوس الأولى عن العلاقة بين الزوج والزوجة، وعن واجب الزوجة، فيقول: "أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله، الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده، وأما المرأة فتغطي رأسها لأنها مجد الرجل، والرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل، لأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل"[٣].

ب- ما أحدثه بولس في العقائد المسيحية:

يرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس لدعوة المسيح عليه السلام هي التي دفعته للتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربها بسلاح جديد، سلاح التهديد من الداخل، بإفساد معالمها ومسخها فدخلها في الظاهر ليأخذ من ذلك سلاحاً يطعنها به، فلقد أحدث بولس في المسيحية أحداثاً خطيرة، بحيث يمكن القول بأنه طمس الديانة الحقيقية التي جاء بها عيسى عليه السلام، ووضع ديناً جديداً سلب له كلمة المسيحية فوضعها عليه وذلك طبقاً للآتي[٤]:

١. نقلها من ديانة خاصة ببني إسرائيل إلى ديانة عالمية حيث جعلها مفتوحة لجميع الأمم، ولو أدى ذلك إلى تساهله في بعض التشريعات التي كانت تضايق الوثنيين كالختان.

ومن المعلوم أن الأناجيل تحدثنا على لسان المسيح عليه السلام أنه قال: "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[٥] وهذا يفيد أن رسالة المسيح موجهة لليهود وحدهم، وقاصرة على تقويم الضالين من اليهود، كما قال عليه السلام :(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل"[٦].

فرسالته حسب قوله هي استكمال لرسالة موسى عليه السلام، وموجهة لبني إسرائيل دون غيرهم، ويقول المستشار عزت الطهطاوي: (بولس هو المسؤول الأول عن تحويل الديانة النصرانية عن مجرد ملة لطائفة يهودية إلى ديانة كبرى"[٧]. وبولس يعتمد في ذلك على ما

---

(١) **الكتاب المقدس،** رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: ٧ / ١٨، ١٩.
(٢) **الكتاب المقدس،** رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس: ٣ / ١ .
(٣) **الكتاب المقدس،** رسالة بولس الأولى إلى اهل كونثورس:١١/ ٣.
(٤) محمد عزت الطهطاوي، **النصرانية والإسلام**: ص ٢٥٩.
(٥) **الكتاب المقدس،** إنجيل متى : ١٥/ ٢٤ .
(٦) المصدر نفسه: ٥/ ١٧.
(٧) محمد عزت الطهطاوي، **الميزان في مقارنة الأديان** : ص ١٣١.

زعمه أنه رأى المسيح وأمره بتبليغ النصرانية إلى جميع الأمم، ففي رؤياه المزعومة: (.... منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا أرسلك إليهم..."[١].

٢. نقلها من التوحيد إلى التثليث.

٣. اخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر.

يعتقد النصارى على اختلاف فئاتهم، أن المسيح قد صلب ومات على الصليب، وأنه بعد صلبه ودفنه قام من القبر وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الرب أبيه، وأنه هو الذي سيحاسب الناس يوم القيامة[٢]، وهذا من العقائد التي أدخلها بولس في النصرانية، وهو رأس الإيمان عندهم[٣]. وقد فصلنا الحديث عن موضوع الصلب فيما سبق.

٤. قال بألوهية المسيح[٤] والوهية الروح القدس[٥].

٥. ألغى المعالم الهامة التي نادى بها عيسى عليه السلام نفسه كالختان، وعدم أكل الخنزير، وأباح شرب الخمر ودعا إلى استعمالها مكان الماء العذب[٦].

٦. أهمل يوم السبت،وهو اليوم المقدس عند اليهود، وجعل عطلة الأسبوع يوم الأحد.

من السابق يظهر لنا خطر بولس، وكبير أثره في تحويل مجرى النصرانية، وتبديل الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، وتحريف تعاليمه، وإعدام روح رسالته الحقه، والقضاء عليها.

يقول مايكل هارت: (إن عدداً من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة النصرانية هو بولس وليس المسيح، وليس من المنطق في بيئة أن يكون المسيح نفسه مسؤولاً عما أضافه بولس وأتباعه، فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه"[٧].

---

(١) **الكتاب المقدس،** أعمال الرسل: ٢٦/ ١٧.

(٢) عبد الله الترجمان، **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب**: ص ١٠١.

(٣) محمد بن طاهر التنير البيروتي، (١٤١٠ هـ)، **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،** (ط١)، القاهرة: دار الصحوة، ص ٨٣.وقد فصلنا الحديث عن موضوع الصلب فيما سبق انظر: ص١٧.

(٤) **الكتاب المقدس** الرسالة إلى أهل روميه:٢١/١ – ٢٥.

(٥) **الكتاب المقدس،** إنجيل لوقا: ١/ ٢٦، وأنظر محمد عزت الطهطاوي، **الميزان في مقارنة الأديان** حيث فصل الحديث عن روح القدس في عقيدة النصارى وكيف عملت المجامع على تقرير ألوهية روح القدس وبين معنى روح القدس في الإسلام: ص ١٦٣ – ١٧٣.

(٦) د. محمد وصفي، **حقيقة المسيح عليه السلام**: ص ٧٩.

(٧) مايكل هارت،(١٩٨٩م)، **الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله عليه السلام،**(ط٧)، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي:ص٢٥، للاستزاده حول بولس ودوره في تحريف رسالة المسيح عليه السلام، يمكن العودة إلى **بولس وتأثيره في المسيحية**، رسالة ماجستير إعداد وهيب البكري، قدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود عام، (١٤٠٥ هـ)، وقدم فيها دراسة وافية عن تأثير بولس في تحريف النصرانية والعقائد التي نادى بها. ورسالة أخرى بعنوان **أهم عوامل انحراف النصرانية**، وهي رسالة ماجستر أعدها إبراهيم التركي في الجامعة الإسلامية المدينة ١٤٠٢ هـ، وكتاب الدكتور محمد ملكاوي بعنوان **اليهودي شاؤول، وتحريف=**

مما سبق يظهر لنا أن بولس من أشد أعداء المسحيين حيث كان يفتك بهم ويرسل بهم إلى السجون وينفيهم من البلدان[١]، ولما لم يجد هذا المبدأ ناجعاً، إتخذ سياسة أخرى، فكان يأمر أتباعه بالكذب على يسوع، ويضطر الناس إلى تلفيق الروايات عنه وذلك باعترافه حيث يقول: (وفي كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة وأضطرهم إلى التجديف، وإذا أفرط حنقي عليهم كنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج"[٢]. وجرياً وراء الغاية التي كان ينشدها إدعى كذباً أن المسيح (عليه السلام) ظهر له وكلمه وأمره بالرسالة وكلفه بدعوة الناس[٣] كما ذكرنا سابقاً.

لقد رأى بولس أنه لو أدعى النبوة دون الرسالة، لما استفاد من ذلك كثيراً أو قليلاً، ولاضطر أن يسير حسب أوامر المسيح، وأن يعمل بتعاليمه، **وأن** يدعو للدين المسيحي الصحيح الذي يريد محوه، ويعمل جهده للظهور على أنقاضه[٤].

وقد خاف بولس أن يدعى النبوة وحدها**؛** لئلا يلتفت الناس إلى تحذير المسيح من الأنبياء الكذبة فيما جاء في الإنجيل المنسوب إلى متى من قوله:(احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم.."[٥].

لم يدع بولس لنفسه النبوة لئلا يعلو عليه رسول كالمسيح، إذ كان الناس وقتئذ لا ينكرون أن عيسى رسول من لدن رب العالمين، لكنه جعل المسيح عليه السلام إلهاً، حتى لا يقال:إنه - أي بولس ـ إنما هو رسول لرسول، ثم ادعى لنفسه الرسالة خالصة من دون الناس ليجعل لنفسه حق التشريع، وليتاح له نقض تعاليم عيسى عليه السلام، وهدم رسالته الحقيقية التي أساسها التوحيد الخالص دون سواه .

فقد غير بولس أحكام كل من الإنجيل والتوارة، وأبطل الوصايا العشر الإنسانية التي جاء بها موسى وأقرها المسيح عليه السلام، ووصى بالعمل بها، يقول بولس:(لأنه إن تغير الكهنوت يصير تغير الناموس ايضاً"[٦] وعمل على تحقير شريعة موسى حيث قال: "إنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها"[٧].

=**رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ،** أسبابه ونتائجه وهي رسالة ماجستير منشورة أعدتها بسمة أحمد جستِنيه في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط١ دمشق : دار القلم.

(١) انظر الكتاب المقدس،أعمال الرسل: ٨/ ٣.

(٢) **الكتاب المقدس،** أعمال الرسل: ٢٦/ ١١ وهذه الرواية تختلف عما ذكره بولس في أعمال الرسل: ٢٢/ ٥ وتختلف الروايتان عما ذكره في أعمال الرسل:١٢/٢٦.

(٣) المصدر نفسه، أعمال الرسل: ٩/ ٣.

(٤) ولكي يحقق بولس هذه الغاية جعل نفسه رسولاً لمجرد سقوطه على الأرض وسماعه صوتاً، وجعل المسيح إلهاً. **الكتاب المقدس** أعمال الرسل: ٧/٢٢.

(٥) **الكتاب المقدس،** إنجيل متى: ١٥/٧.

(٦) **الكتاب المقدس،** الرسالة إلى العبرانيين: ٧/ ١٢.

(٧) المصدر نفسه: ٧/ ١٨.

والحقيقة أن بولس ـ رسول المسيحية فيما بعد ـ عمل جاهداً أن تكون رسائله هي إنجيل المسيحية، حيث ضمنها بعقائد الوثنية التي كانت تحيط ببيئته، وأعرض وبكل غرور عن عقيدة التوحيد، ورسائله شاهدة إثبات على ذلك، يقول شارل جنيبير: (إن الدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى[١] تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار يبدو لأول وهلة أنها غريبة، فهي تجمع بين النصوص المقدسة القديمة وبين المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية، والأساطير الدينية الشرقية[٢].

دور قسطنطين في إقرار العقائد المسيحية المحرفة:

ومن المحطات التي أضرت بالمسيحية، وأدخلت عليها مظاهر وثنية هي دخول قسطنطين[٣] النصرانية ولمعرفة حجم الخسارة التي خسرتها المسيحية بدخول قسطنطين فيها لابد من تبيين أمور عديدة وهي:

١- لقد بدأ اضطهاد الموحدين من المسيحيين منذ عهد مبكر، وكان المسيح عليه السلام هو ضحية هذا الإضطهاد، وقد نزل بأتباعه في عهده ومن بعده ما نزل بهم من العنف والظلم، حيث كان اليهود مصدر هذه القسوة، لأن أتباع المسيح كانوا يريدون نشر عقيدة التوحيد، الأمر الذي لم يقبله اليهود، ولكن المسيحية بدأت على الرغم من اليهود وأعمالهم، وحينئذ تقدم أباطرة الرومان لاضطهاد المسيحيين.

يقول أحمد شلبي عن سبب الاضطهاد: (إن هؤلاء الأباطرة كانوا لا يعرفون الأمر الديني الجديد إلا أنه امتداد لليهودية، وكانت هذه موضع كراهية من الوثنيين) [٤].

ولقد فصل الحديث عن أنواع الإضطهادات التي تعرض لها المسيحيون زكي شنودة وبخاصة الإضطهاد في عهد نيرون سنة ٦٤هـ، حيث يقول: (إن نيرون يضع بعض المسيحيين

---

(١) يقصد جينيبر بالرسائل الكبرى أي الرسائل التي يجمع أكثر النقاد اليوم على صحة نسبتها إليه.

(٢) شارل جينير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص ٧٠.

(٣) هو قسطنطين الأكبر الذي حكم من سنة (٣٠٦-٣٣٧م) فاعتنق المسيحية في عام ٣١٢م، وكان أبو قسطنطين ديناً يبغض الأصنام محباً للنصارى، وتزوج من هيلانة التي كانت قد تنصرت على يد أسقف الرها وتعلمت قراءة الكتب، فولدت قسطنطين فتربى بالرها انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ)، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠٠م)، ص ٢٠٤، وابن الوردي **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ط١ م١ (تحقيق:أحمد البدراوي) دار المعرفة، بيروت،١٣٨٩ه ج١،ص١٢٧.وأسدرستم،(١٩٥٥م)،**الروم في سياستهم وحضارتهم**،(ط١)، بيروت: دار المكشوف :ج١،ص٥١-٧٣. ونورمان بينز(١٩٥٧) **الأمبراطورية البيزنطية**، (ط٢)، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف :ص٤٠

(٤) أحمد شلبي، **المسيحية**: ص ٩٤.

وهم أحياء في جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب تنهشهم، ويطلي بعضهم بالقار، وكـان يمتـع نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم أشلاءهم) [(١)].

ولقد استمر البلاء ينزل من قياصرة الروم على المسيحيين حتى جاء قسطنطين، فكـان ُيمنَاً وبركة عليهم من هذا الجانب[(٢)].

٢- أصبح رجال الدين النصارى يتمتعون بالمناصب العليا في الدولة، وتدرجوا بهذه المناصـب حتى صارت رتبة البابا أعظم من رتبة الإمبراطور نفسه وحصلت بـذلك الكنيـسة علـى امتيازات كثيرة في عهد قسطنطين[(٣)].

٣- يعتقد بعض المؤرخين أن الخسائر التي لحقت بالكنيسة في عهـد قـسطنطين أعظـم مـن المكاسب[(٤)]، ولتوضيح هذه القضية لابد أن نذكر السبب المباشر الـذي جعـل قـسطنطين يتحول بدولته إلى النصرانية ويجعل شعارها (الصليب) راية له في معاركه.

يذكر صاحب قصة الحضارة أن قسطنطين حارب أعداءه الذين تآمروا عليه، وانتـصر عليهم، وفي إحدى معاركه شاهد بعد ظهر اليوم الذي دارت فيه المعركة صـليباً ملتهبـاً فـي السماء وعليه عبارة معناها (بهذه العبارة انتصر)، وفي صباح اليوم الآتي رأى (قسطنطين) فيما يرى النائم أن صوتاً يأمره بأن يرسم جنوده علامة الصليب على دروعهم، فلما استيقظ من نومه صدع بما أمر، وخاض معركة خاف لواء عرف من ذلك الوقت باسم (أللبـارم) رسـم عليـه الحرفان الأولان من لفظ (المسيح) يربطهما صليب[(٥)].

---

(١) زكي شنودة، (١٩٦٨م)، **تاريخ الأقباط**، (ط٢) :ج١،ص١٠١.

(٢) ولابد من الإشارة إلى أن هذه الإضطهادات كانت ذات أثر واضح على المصادر المسيحية بعد المسيح حيث كُتِبتْ الأناجيل ورسائل بولس في هذه العهود المظلمة، الأمر الذي أفقدها سندها المتصل برسول المسيحية عيسى عليه السلام، واعترف القساوسة أنفسهم بانقطاع السند، لأنها دونت في عهد الاضطهاد، ولقـد قـال رحمه الله الهندي: (طلبنا من القساوسة السند، فاعتذروا قائلين: إن سبب إنقطـاع الـسند عنـدنا وقـوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى ثلاث مئة وثلاث عشرة سنة)، رحمه الله الهنـدي، **إظهـار الحـق**، ص٦٥. وانظر: أحمد عبد الوهاب،(١٩٧٨م)، **المسيح في مصادر العقائد المـسيحية**، (ط١)، القـاهرة، مكتبة وهبة: ص٥١.

(٣) انظر جون لوريمر، **تاريخ الكنيسة**، (ط١)، القاهرة: دار الثقافة: ج٣،ص٢٨، وانظـر مجـدي جـرجس، (١٩٩٩م)، **القضاء القبطي في مصر**، (ط١)، القاهرة: سيريت للنشر والمعلومات: ص ١٦.

(٤) جون لوريمر، **تاريخ الكنيسة**، ج٣،ص٣٠ ويجانب أحد الباحثين وهو د.عبد الغفار عزيز في كتابه **الـدين والسياسة في الأديان الثلاثة** :ص٣٠ إذ يقول: (وقيض الله لها بعد ذلك ملكاً قوياً إعتنـق المـسيحية هـو قسطنطين الأكبر الذي كان إعتناقه للمسيحية وجعلها الدين الرسمي في عهد خليفته سببا في إنتشارها فـي كثير من بلاد العالم). والحقيقة إن هذه النصرانية التي نشرها قسطنطين ليست هي النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام بل هي النصرانية المحرفة كما قال القاضي عبد الجبـار: (بـأن النـصارى ترومـت وارتدت عن دين المسيح وعطلت أصوله وفروعه وصارت إلى ديانة أعدائه)، الهمـذاني، **تثبيـت دلائـل النبوة**: ج١،ص١٦٨.

(٥) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج١١، ص٣٨٤.

ويقول ديورانت بعد سرده لهذه القصة:"ولعل حقيقة الأمر أن (قسطنطين) رأى أن يربط حظه بحظ المسيحيين حين رأى (مكسنتيوس)[1] يرفع لواء (مثراس وهو لواء الشمس التي لا تقهر"[2].

ويتساءل ديورانت بعد ذلك فيقول:" ترى هل كان (قسطنطين) حين إعتنق المسيحية مخلصاً في عمله، وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب"[3].

فالقضية عند قسطنطين سياسية، فقد تحول إلى المسيحية على أمل أن يكون هذا التحول طريقاً إلى نصره على أعدائه ومناوئيه، فالأساس عنده مصلحته واستتباب الأمن في إمبراطوريته، لذا كان تعامله مع الأساقفة من نوع خاص: (وكان أثناء حكمه كله يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون، فكان يستدعيهم ويرأس مجالسهم، ولو كان مسيحياً حقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ، ولكن الآية انعكست في حال قسطنطين فكأن المسيحية عنده وسيلة لا غاية) [4] ومما يؤيد هذا أن قسطنطين بقي على وثنيته[5].

---

(١) مكسنتيوس: أحد أباطرة الرومان، كان حاكما على الشرق وعلى خلاف مع سياسة ليسينيوس وقسطنطين خاض معركة عند جسر ميلفيان وهزمه ليسينيوس، انظر جون لوريمر، **تاريخ الكنيسة**،ج ٣، ص٢١.

(٢) ول ديورانت**، قصة الحضارة**،ج١١،ص٣٨٥.

(٣) ول ديورانت، **قصة الحضارة**،ج ٣ص٣٨٧.

(٤) ول ديورانت، **قصة الحضارة**،ج ٣،ص٣٨٧،١١١، ويؤكد هذا المعنى محمد أسد بقوله: (إن الفكرة التي تسيطر على الإمبراطورية الرومانية هي إحتكار القوة لها وإستغلال الأمم الأخرى لمصلحة الوطن الرومي فقط، ثم يقول: إن الروم لم يدينوا بالدين جدياً أبداً) محمد أسد(١٩٧٧م)، **الإسلام على مفترق الطرق** (ط٩)، بيروت: دار العلم، ص:٣٨

(٥) إن مظاهر الوثنية في الديانة النصرانية أمر واضح وجلي، كُتِبتْ فيه الكتب، وإن أجود ما كتب فيه: **(العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)**،لمحمد طاهر التنير،تحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي حيث بين الدكتور الشرقاوي في مقدمة الكتاب أن علماء الغرب في القرن العشرين توصلوا إلى أن النصرانية قد استمدت عقائدها الأساسية من مِثْل التليث، وموت الإله الإبن وصلبه، والفداء والقيامة،٠٠من الديانات الوثنية القديمة السابقة على المسيحية.

وبين الدكتور الشرقاوي أن العلامة طاهر التنير جد في الإطلاع على طائفة من الدراسات لكبار الإختصاصيين في الحضارات الشرقية والغربية القديمة، ونقل عنها حرفياً جملة نصوص توازن بين هذه الديانات القديمة وما عليه عقائد المسيحية الحالية وطقوسها وشعائرها.

فالكتاب يهدف إلى كشف الأصول الوثنية للتحريفات والتلفيقات التي أُدخلت في الديانة النصرانية وشكلت أهم عناصر منظومتها العقائدية والشعائرية، والكتاب كما يقول الدكتور الشرقاوي كتاب ذو قيمة علمية رفيعة وهو أول كتاب في العربية – قديماً وحديثاً – يفرده مؤلفه لمعالجة هذه القضية. انظر محمد بن طاهر التنير البيروتي، **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، (٢٥، ٣١). ومن الكتب التي تناولت الموضوع، القاضي عبد الجبار في كتابه **تثبيت دلائل النبوة**، وابن حزم في **الفصل**، وابن تيمية في الجواب الصحيح، والقرافي في (**الأجوبة الفاخرة**)، وما سطره القرطبي في: (**الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والإلهام**)، هي صفحات وإشارات أبرزها قول القاضي عبد الجبار: (إن النصرانية قد ترومت، ولم يتنصر الرومان)!! وهي عبارة تلخص الموقف كله في دقة وعمق، الهمذاني، **تثبيت دلائل النبوة**، ج١، ص ١٧٣. وانظر ما قاله أبو الحسن الندوي ١٩٥٩م **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، ط٤، بيروت، دار الجيل، ص ٢٣٧، حيث أشار إلى حجم الخسارة التي خسرها الدين النصراني بدخول الوثنية فيه.

عبادةً (فكان يزور معابد الوثنيين ويحضر اجتماعاتهم) [(١)]، حتى موضـوع دخـول قـسطنطين المسيحية جاء متأخراً.

يقول المؤرخ أبو سيبوس الذي تقدس كلامه الكنيسة، وتسميه سـلطان المـؤرخين: "إن قسطنطين عمد حين كان أسير الفراش، وأن الذي عمده هو ذاك المؤرخ نفسه وقد كان صـديقاً له، والتعميد – كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة – وهو إعلان دخول المسيحية"[(٢)].

ويؤكد صاحب قصة الحضارة: (أن قسطنطين لم يستطع التخلص من وثنيتـه القديمـة والدليل على ذلك أنه في سنة ٣٢١م قرر جعل يوم الأحد عيداً أسبوعياً وسماه يـوم الـشمس، مؤكداً بذلك قدسيته للشمس، وظلت المعابد الوثنية في عهده مفتوحة للعبادة العامة في نفس الوقت الذي أصدر فيه مرسومين ضد بعض الفرق المسيحية التي تنعتها الكنيـسة بالهراطقـة مخافـة الانقسام في الدولة"[(٣)].

ومن الخسائر التي تكبدتها المسيحية بدخول قسطنطين فيها ما ذكـره ديورانـت عنـد ترجمته لقسطنطين ... هذا الذي له اليد العليا في فـرض ألوهيـة المـسيح، وإقـصاء عقيـدة التوحيد[(٤)]، وهذا الذي حدث في مجمع[(٥)] نيقية[(٦)] عندما إشتد الخلاف بين فريقين فريـق يقـول

---

(١) محمد سعيد الزعبي، (١٩٧٣م)، **السيد المسيح يلوح بالأفق**،(ط)١: ص ١٩٥.

(٢) محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**: ص ١٢١.

(٣) ول ديورانت، **قصة الحضارة**: ج٢ص١٣٠، ١٣١.

(٤) ول ديورانت، **قصة الحضارة**:ج٣ص٣٧٢.

(٥) المجمع: يقول ميشيل جرجس: (المجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية رسـم الرسـل نظامهـا فـي حياتهم، حيث عقدوا المجمع الأول بأورشليم سنة (٥٢م) برئاسة يعقوب الرسول، للنظر في مسألة الختـان عند الأمم، ومن ثم نسجت الكنيسة على منوالهم بعد ذلك)، انظر د. رءوف شلبي، **يا أهل الكتاب تعـالوا**، دار التوحيد: ص٢٠٣.

(٦) مجمع نيقية: انعقد أول مجمع والذي سمي (مجمع نيقية) سنة ٣٢٥م، حيث كان سبب إنعقاده العام الخـلاف بين الطوائف المسيحية في شخص المسيح، أهو رسول من عند الله فقط، من غير أن تكون له منزلة أكثـر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه، أم له صلة بالله خاصة أكبر من رسول، فهو من الله بمنزلة الابن .. لأنه خلق من غير أب، ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله ... وحيث إن هذا الخلاف لم يظهر فـي عهـود الاضطهاد للمسيحية، بل ظهر في فترة الأمان التي منحها قسطنطين، وبعد دخول مـزيج مـن الـوثنيين الرومانيين والمصريين واليونانيين، وكان سبب انعقاده الخاص: أن آريوس الذي ينكر ألوهية المسيح خالف كنيسة الإسكندرية القائلة بأن عيسى عليه السلام إله، إذ ذاك تدخل قسطنطين لإنهاء الخلاف، فاجتمعا ولـم يسفر إلا عن خيبة أمل، وعلى إثر ذلك دعا قسطنطين إلى مجمع نيقية فأرسل إلى جميـع البلـدان فجمـع البطاركة والأساقفة وكان عدد الحضور (٢٠٤٨) واختلف الحضور حول طبيعة المسيح وكان قرار المجمع أن (٣١٨) قالوا بعد المناظرة بألوهية المسيح وأنه قديم، وهذا الرأي الذي زرع بذرتـه بـولس الرسـول (شاؤول)، وذلك أن المسيح من جوهر الله أما باقي المجتمعين (١٧٣٠) قالوا بعدم إلوهية المسيح، وكـان موقف قسطنطين أنه انحاز إلى القول بإلوهية المسيح واجتمع بهم ليثبتوا على رأيهم واستعمل سيفه وقوتـه وصدر الأمر بحرق كل كتب آريوس وصارت عملية الاضطهاد للآريسيين.
انظر في هذا المبحث، ابن تيمية، **الجواب الصحيح**: ج٢،ص٣٣٩، وانظر القنوجي، السيد محمـد صـديق حسن، (ت ١٢٥٣هـ)، **الدين الخالص**، ط١، ضبطه محمد هاشم، دار الكتب العلميـة:بيـروت، ١٩٩٥م، ج٢،ص٣٣٠، وأبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**:١١٤، **وأضواء على المسيحية**، محمد يوسف شلبي، ومحمد عزت الطهطاوي، **الميزان في مقارنة الأديان**: ص ٥٦، ومحمد الغزالي، **التعصب والتسامح بين=**

بألوهية المسيح وفريق آخر يرأسه آريوس[1] يقول بوحدانية المعبود منكراً ما جاء في الإنجيل مما يوهم تلك الألوهية.

لقد عالج قسطنطين القضية من جهتين[2]:

الأولى: أن همه الرئيس إزالة الخلاف الذي يهدد أمن الإمبراطورية.

والثانية: إرضاء غالبية شعب الإمبراطورية من الوثنيين، إضافة إلى أن فكره لا يزال وثنياً.

يقول أبو زهرة: (ويظهر أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل في تكوين رأي الذين رأوا ألوهية المسيح[3]، فكانت النتيجة من سلطنة السياسة لضبط العقيدة أن ضاعت حقيقة الاعتقاد، وتاه الناس عن العقيدة الصحيحة، بما كان من تَنَصر قسطنطين وتنصر الذين استغلوا الفرص لغايات شخصية كإنهاء الإمبراطور للحصول على المراتب السامية وما من داء عضال أشد من الرياء لإفساد المبادئ) [4].

وهكذا يتبين أن مجمع نيقيه الذي يعد من أخطر المجامع كان ألعوبة بيد الإمبراطور الذي كان وثنياً ولم يكن من أهل تلك الملة وقت ترأسه ذلك المجمع، كما أن المجتمعين لم يكونوا يعتمدون على نصوص متفق عليها مقبولة لدى الجميع وإلا لتم الإذعان لمدلولها، وإنما كانوا يعتمدون على تصوراتهم أو تصورات أمثالهم من الناس، فلهذا وقع الإعراض عنها بعد عودتهم إلى كنائسهم[5].

ولقد تعددت المجامع[6] حتى بلغت عشرين مجمعاً،وكان آخرها سنة ١٨٦٩هـ في روما وفيه أثبتوا العصمة للبابا.

وفيما يلي أهم ما كان لهذه المجامع من آثار في تحريف العقيدة النصرانية :

=**المسيحية والإسلام**،(١٩٩٧م)، القاهرة، دار النهضة: ص ٨٨ وما بعدها، وانظر د عرفان عبد الحميد، (١٤٢٠هـ)، **النصرانية نشأتها وأصول عقائدها**،(ط١)، عمان: دار عمار: ص ٨١.

(١) آريوس: ولد في ليبيا عام ٢٧٠م، ودخل في شبابه المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية، ثم رشحه البابا (بطرس) بطريرك الإسكندرية شماساً سنة ٣٠٦م، ثم قساً وواعظاً وكان ذكياً وفصيحاً.
انظر، زكي شنودة،**تاريخ الأقباط**، ج١،ص١٥٠، ولمعرفة المزيد عن آريوس الذي كان يقول (إن الأب هو الله والابن مخلوق له، وقد كان الأب إذا لم يكن الابن)، انظر **الفصل في الملل والنحل** لابن حزم، والشهرستاني محمد بن عبد الكريم أبو الفتح، (ت ٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، ط١، كتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧م: ص ٢٣٧، وأحمد شلبي، **المسيحية**: ص ١٦٠.

(٢) د. محمد الحاج،(٢٠٠١م)، **النصرانية من التوحيد إلى التثليث**،(ط٢)، دمشق،دار القلم: ص ١٧٨.

(٣) أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**: ص ١١٩.

(٤) د. داود علي فاضل،(٢٠٠٠م)، **أصول المسيحية**،(ط١)، م١،دار زهران، كما يصورها القرآن، نقلاً عن كتاب **سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان** لجرجس نوفل: ص ٢٥٤.

(٥) الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف،(١٤١٤ه) **دراسات في الأديان**،المدينة المنورة:مكتبة العلوم والحكم: ص١٩٩

(٦) لمعرفة أنواع المجامع،وسبب انعقادها،انظر: أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**: ص١١٣-١٣١، د أحمد شلبي، **المسيحية**، ص٢٠٧-٢١٣،محمد الغزالي **التعصب والتسامح**: ص ٨٨ وما بعدها.

- نمت البذرة التي وضعها بولس في الانحراف بالنصرانية عن عقيدة التوحيد فقررت هذه المجامع ألوهية المسيح.
- تقررت فيها عقيدة التثليث بعد أن تقرر تأليه روح القدس .
- تتحمل المجامع -ولا سيما مجمع نيقيه – مسؤولية ضياع النسخة الأصلية للإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، وذلك بما قررته ودعت إليه مما هو خلاف العقيدة المنزلة على عيسى عليه السلام، حيث قرر مجمع نيقيه اعتماد الأناجيل الأربعة المعروفة وحرق ما سواها .
- كان تقرير المجامع لعقيدة التثليث،أو العقائد المحرفة عموماً يقترن دائماً بلعن دعاة التوحيد أو المخالفين عموماً لقرارات الأغلبية في المجامع واضطهادهم، وطردهم من الكنيسة، وقاد هذا الموقف إلى تثبيت العقائد المحرفة على حساب عقيدة التوحيد الصحيحة في عقول النصارى وقلوبهم.

رؤساء النصرانية ودورهم في تحريف النصرانية:

ولابد من الإشارة إلى سلطة الرؤساء في النصرانية وما لها من أثر سلبي في الالتزام بمبادئ النصرانية وهذه السلطة هي سلطة دينية منحتها الأناجيل للرؤساء على المرؤوسين في عقائدهم وما تكنه ضمائرهم، وهم يستدلون على شرعية هذه السلطة بالنصوص الواردة في الإنجيل ومنها ما ورد في إنجيل متى حاكياً عن المسيح مخاطباً تلميذه بطرس :(وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات) [(١)].

وعندما تسلّم الرؤساء الرومانيون تراث التشريع من الرسل ومن بولس، وظلوا يباشرونه حتى تم الإعتراف بالمسيحية، فانتقل حق التشريع إلى المجامع التي لم تكتف بالتقنين حول أمور الدنيا بل راحت تخلق الآلهة وتقرر حق الغفران وعصمة البابا[(٢)].

(١) **الكتاب المقدس**، إنجيل متى: ١٩/١٦.

(٢) د. أحمد شلبي، **المسيحية:** ص ٣٤٤، ذكر د. أحمد شلبي أن التشريع في المسيحية مر بمراحل ستة هي المرحلة الأولى: مرحلة أتباع التشريع اليهودي حيث أعلن المسيح أنه ما جاء ليغير الناموس بل ليقرر وكل ما إهتم به هو الوعظ والوصية والتسامح والمرحلة الثانية: عظات عيسى وهي مجموعة مواعظ، والمرحلة الثالثة: مرحلة الرسل والتشريع وهي مرحلة بعد عيسى بفترة حيث إتضح لقادة المسيحيين أن التشريع اليهودي شق على الأتباع الجدد وبخاصة من غير بني إسرائيل، وكان الختان من أهم ما شق عليهم فأخذ المسيحيون يقللون من التكاليف والحرمان، والمرحلة الرابعة: بولس والتشريع حيث لعب بولس دوراً كبيراً في التشريع المسيحي فتارة يشرح ما روى عيسى وتارة يقترح من عنده وتارة يلغي كما ألغى الختان. والمرحلة الخامسة: دور الرؤساء الرومانيين والمجامع في التشريع حيث تسلموا تراث التشريع من الرسل وبولس ولجأوا إلى المجامع لتقرير سلطتهم وسطوتهم والمرحلة السادسة: الكنائس حيث جعلوها معصومة=

ومن المعلوم أن المجامع قد منحت البابا سلطة يخضع لها الآخرون حيث قـرر مجمـع روما المنعقد سنة ٨٦٩م أن الفصل في المسائل الدينية مـن إختـصاص كنيـسة رومـا، وأن النصارى يخضعون لقرارات رئيس هذه الكنيسة(١).

وقد بالغت الكنيسة في فرض تعاليمها على الشعب، وسـلكت سـبيل القهـر والعنـف والتسلط، وحرمت كل رأي يخالف رأيها، واستتبع ذلك تحـريم الأبحـاث الطبيعيـة العلميـة، وأصدرت فتاوى التكفير لكل عالم يبحث في مسال الطبيعة والمعرفة(٢).

وعقدت المجامع لذلك ففي عام ١٢١٠م عقد المجمع الثاني عـشر المـسمى بـالمجمع اللاتراني الرابع، وقرر إستئصال كل من يرى رأياً يخالف رأي الكنيسة، بل إنهم زعموا في هذا المجمع أن الكنيسة: (تملك حق الغفران لمن تشاء، وتطور هذا إلى وثائق تباع) (٣).

وراحت الكنيسة تفتش عن العلماء الذين يبحثون في مسائل الطبيعة والمعرفة، وشـكلت لذلك نظام محاكمة عرف في التاريخ بـ(محاكم التفتيش).

لقد كان لرجال الكنيسة أثر كبير في الإنحراف، حيث إنغمسوا في الـشهوات وارتكبـوا الموبقات واستغلوا سلطاتهم الدينية يقول المسيو آيتين دينيه: (إن هؤلاء الوسطاء شر البلايا على الأديان، وإنهم لذلك مهما كانت عقيدتهم، ومهما كان إخلاصهم وحسن نيتهم، فما أكثر المـذابح والمجازر التي يكون سببها هؤلاء الوسطاء! سواء كانت بين العائلات أو بين الشعوب، وهم في ذلك كله يصيحون: باسم الرب) (٤).

=بادعائهم أن السيد المسيح خَولّ الكنيسة عين الذي تلقاه من أبيه السماوي، انظر أحمد شلبي، **المـسيحية**: ص ٢٣٩-٢٤٥ بتصرف.

(١) د. أحمد شلبي، **المسيحية**، ص ٢١٠.

(٢) متولي شلبي، **أضواء على المسيحية**: ص ١٢٨.ولمعرفة المزيد عن الصراع بين الكنيسة والعلم انظـر د سفرالحوالي (١٩٩٨م)، **العلمانية**(ط١)، القاهرة، مكتب الطيب، ص: ١٤٥-١٥٨. والـدكتور إنريكـو ريبوني، **الإلحاد وأسبابه (الصفحة السوداء للكنيسة**). ترجمة د. زينب عبدالعزيز، (ط١)، دمشق : دار الكتاب العربي: ص ٦٩

(٣) من العقائد المسيحية التي أعطت لرجال الدين سلطة أكبر (عقيدة الاعتراف)، فالإعتراف أمامهم بالذنب مع دفع مبلغ من المال يؤدي إلى غفران الذنوب، فهم وحدهم الذين يملكون غفرانها، وهي ما تـسمى "بحـق الغفران" كذلك يملكون حق الحرمان، ومنع أي إنسان من دخول الجنة لذا كانت الكنيسة الأرثوذكسية توزع مرسوماً يطلق عليه صك الغفران يحتوي على فراغ لاسم الشخص الذي يرغب في المغفرة، ولقد إسـتدلوا لذلك ما ورد في إنجيل يوحنا، صحاح ٢٣: ٢٠،(من غفرتم خطاياه غفرت له، ومـن أمـسكتم خطايـاه "أمسكت")، أ.د. عدنان زرزور، د. يحيى ربيع، وحامد الأنصاري، (١٤٢٨هـ)، **الثقافة الإسـلامية فـي مواجهة التحديات**،(ط٢)، قطر، مكتبة دار الفتح:ص ١٠٠-١٠١.
وانظر، محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص ١٣٧، وانظـر متـولي شـلبي، **أضـواء علـى المسيحية**: ص ١٣٠.

(٤) ناصر الدين دينيه، **أشعة خاصة بنور الإسلام**: ص ٢٣.

ويتضح مدى انحراف رجال الكنيسة عند دراسة المجامع التي عقـدها رجـال الـدين النصارى، وهم رجال الكنيسة، لأن الإنحراف كله صدر عن هذه المجامع، فهي مـصدر مـن مصادر إنحراف النصرانية عن التوحيد.

لقد كان بإمكان رجال الدين النصارى لو كانوا نصارى حقاً أن يستغلوا سلطاتهم هـذه، ويصححوا ما علق في أذهان الناس من خرافات وثنية، بدل أن يجعلوا من الوثنيـة دينـا لهـم ويعملوا على تحريف كلام المسيح وما جاء به من عند ربه، ونَسخِهِ بأساطير وثنيـة ومـسخ العقيدة التي جاءت بالتوحيد إلى عقيدة وثنية مشركة تنادي بعبادة إله مثلث الأقانيم كما في عبادة الوثنيين في الهند ومصر وفارس وبابل وغيرهما، وكما هي تصورات الفلاسفة وأوهامهم الذين كانوا يشكلون أساس البيئة الثقافية في الدولة الرومانية[١].

يقول الندوي: (ولكن رجال الدين من سوء حظ النصرانية ومن سوء حظ الأمـم التـي دانت بها أساؤا إستعمال هذا السلطان الهائل فاستغلوه لأنفسهم ونفوذهم وجاههم) [٢].

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر بشكل واضح فـي قولـه تعـالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣].

وقد بين عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم[٤] وكان نصرانيا لما جاءه ليؤمن وقد آمن به عدي وكان من خيار الصحابة فسمعه يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا

---

(١) د. محمد الحاج، **النصرانية من التوحيد إلى التثليث** :ص ١٣٩.

(٢) أبو الحسن الندوي، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**: ص ٢٤٧، ولقد فصل الندوي الدور السلبي الـذي سلكه رجال الدين حيث بقيت أوربا تتسكع في دياجير الجهل والخرافة والإنحطاط، حيث إنحطـت أخـلاق رجال الدين واستحوذ عليهم الجشع وحب المال فراحوا يبيعون المناصب والوظائف كالـسلع ويـؤجرون أرض الجنة بالوثائق وصكوك الغفران، وعملوا على تحريف نصوص الإنجيل ودسوا فيها الكثير.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٤) عدي بن حاتم الطائي، أبو وهب ابن حاتم، الجواد المشهور صحابي من الأجواد والعقلاء كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام، أسلم سنة (٩هـ) وكان نصرانيا وشهد فتح العراق وموقعة صفين وفيها فقئت عينه روى (٦٦) حديثاً، ومات رضي الله عنه سنة (٦٨هـ) بالكوفة وله أكثر من مئة سنة، انظر: ابن الأثيـر، أبي الحسن علي ابن محمد الجزري، (ت:٦٣٠هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** دار الفكر، بيـروت، (١٤٠٩هـ)،ج ٣،ص٥٠٥، الزركلي، محمد خير، (ت:١٣٩٦هـ-١٩٧٦م)، **الأعـلام**،(ط١٠)، دار العلـم للملايين: بيروت: ج٤،ص.٢٢٠.

مِّن دُونِ ﴾ قال عدي: قلتُ يا رسول الله، ما عبدوهم، قال عليه السلام: "إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فكانت تلك عبادتهم إياهم"(١)،

وقال سبحانه وتعـالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (٢).

يقول ابن تيمية: خاطب الله تعالى النصارى بهذا لأنهم يعتمدون في دينهم على ما يقـول كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس الشرعية مما ينقلونه عن الأنبياء وبعـضها عـن الحواريين وكثير من ذلك ليس منقولاً لا عن الأنبياء ولا عن الحواريين، بل من وضع أكابرهم وابتداعهم(٣)، لقد ابتدعوا لهم الأمانة(٤) التي هي أصل عقيدتهم وابتدعوا لهم صيام الخمـسين(٥) وعيد الميلاد(٦) وعيد الغطاس(٧) وغيره من الأعياد، ولقد تجاوز الرهبان الحد إلـى أن قـاموا باصطناع الحيل الشيطانية(٨) التي يضلون بها الناس ويلبسون عليهم دينهم.

---

(١) الحديث رواه علماء التفسير والحديث، رواه بن جريـر الطبـري مـن عـدة طـرق، تفـسير الطبـري ج١٠،ص١١٤، وانظر بن ابن هشام أبي محمد عبدالملك (ت:٢١٨ه)، **سيرة النبي** ﷺ ،(تحقيـق:محمـد محي الدين)، دار الفكر،(١٩٨١): ج٤،ص١٦٨، والشوكاني، **فتح القدير**: ج٢، ص٣٥٥، وانظـر ابـن الأثير المبارك بن محمد (٦٠٦هـ)، **جامع الأصول في أحاديث الرسول عليه السلام**، ط٢، (حقق نصوصه شعيب الأرنؤوط)، دار الفكر، حديث رقم ٦٥١، ج٢، ص١٩٨٣، وقال محقق جـامع الأصـول شـعيب الأرناؤط ولكن في الباب عن حذيفة موقوفا أخرجه الطبراني برقم ١٦٦٣٤، ربما يتقوى به، ج٢،ص١٦٠. انظر: **الطبراني**، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد، (٣٦٠هـ)، **المعجم الكبير**، (حققه وخـرج أحاديثـه حمدي السلفي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم ٢١٨، ج١٧،ص٩٢، والحـديث حـسنه الألباني، انظر محمد ناصر الدين الألباني(١٩٩٤م)، **غاية المرام في تخريج أحاديـث الحـلال والحـرام**، (ط٤)، بيروت: المكتب الإسلامي: ص٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٧.

(٣) ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: ج٣، ص١٧٢-١٧٣.

(٤) قانون الإيمان، مجموعة العقائد المسيحية الأساسية ولها عدة ملخصات، كان لها شـأن كبيـر فـي تطـور المسيحية، وأهمها قانون نيقه ويعتبر مراجعة للقانون الذي وضعه مجمع نيقه، ٣٢٥ لإقرار المسائل التـي أثارها آريوس، انظر الدكتور ياسين صلواتي،(٢٠٠١م)، **الموسوعة العربية الميسرة**،(ط١)، بيـروت: مؤسسة التاريخ العربي:ج٦، ٢٦٩٥ ص.

(٥) صيام الخمسين، في التقويم القبطي تعني الخماسين، الخمسين يوما التالية لعيد القيامة، وأولها يوم شم النسيم ويوم شم النسيم ليس ثابتا لأنه تابع للأشهر القبطية، انظر الدكتور ياسين صلواتي، **الموسـوعة العربيـة الميسرة**: ج ٥،ص٢٢٩٤.

(٦) عيد الميلاد، ذكرى ميلاد السيد المسيح يلي صيام أربعين يوماً وهو يوم ٢٥ ديسمبر بالتقويم الميلادي، ويوم ٢٩ كهيك بالتقويم القبطي احتفل به قبل سنة (٢٠٠٠م) ثم انتشر وأصبح شـائعا وشـعبيا فـي القـرون الوسطى، انظر ياسين صلواتي، **الموسوعة العربية الموسعة**: ج ٥، ص٢٤٨٤.

(٧) عيد الغطاس، عند المسيحيين احتفال ديني بتعميد السيد المسيح في نهر الأردن، الدكتور ياسين صـلواتي، **الموسوعة العربية الميسرة**: ج ٥، ص٢٤٨٤.

(٨) حكى القرافي رحمه الله في **كتابه الأجوبة الفاخرة** جملا كثيرة تتعلق بحيل النصارى وتلبيسهم على العوام، قال رحمه الله: ولما علم حذاقهم أن دينهم ليس له قاعدة ينبني عليها ولا أصل يرجع إليه جمعـوا عقـول=

وهكذا بعدت النصرانية بعدا تاماً عن تعاليم السيد المسيح عليه السلام وظهـرت علـى السطح مسيحية جديدة فاسدة تسمى مسيحية القساوسة والتي عنها قـال روسـو: (إن مـسيحية القساوسة تعطي للناس تشريعين ورئيسين ووطنين، أحدهما ديني والآخـر مـدني، وتخـضعهم لواجبات متناقضة، وتقوم على أكاذيب تخدع الناس، وتجعلهم بلهاء يؤمنون بالخرافات، ويغْرِقُون عبادة الله الحقيقية في طوفان من الطقوس الجوفاء، وهي دين متعصب) [(١)].

وقد فرضت الكنيسة أوامرها على الملوك والأمراء،كما فرضتها علـى سـائر النـاس، وأصدرت قرارات الحرمان واللعن والطرد على من خالفها، فقد انعقد المجمع الثالث عشر فـي ليون سنة (١٢٤٥هـ) بأمر البابا أينوسنت الرابع لأجل عزل فردريك ملك فرنسا وحرمه[(٢)].

وهذا التعصب هو الذي جعل الفساد الديني يتتابع، والانحراف الخُلُقي يتـوالى، وتحكّـم رجال الدين في عقول الناس وعقائدهم، واستحوذوا على أموالهم، وامتهنوا أعراضهم، وأهدروا دماءهم حتى تنادى الناس جميعاً بالإصلاح الشامل، فكانت الثـورة الكبـرى ثـورة الإصـلاح الديني[(٣)].

المبحث الثالث: النصارى في الجزيرة العربية قبل البعثة

لما جعل قسطنطين الأول النصرانية ديناً للدولة (عام ٣١٢م) أصبحت الدولة متَنَازعـةً بين أصحاب المذاهب المختلفة، فكان إذا استولى أهل مذهب على الحكم أسرعوا إلى اضـطهاد أصحاب المذاهب الأخرى، وكانت تلك السياسة الدينية تحمـل فـي كـل فتـرة جماعـةً مـن المضطهدين على مغادرة بلادهم . ولقد كانت شبه جزيرة العرب مكانًا صالحاً للجـوء أولئـك المضطهدين، لأن شبه الجزيرة لم تكن خاضعة للروم، بخـلاف العـراق، والـشام، وآسـية الصغرى، ومصر، وسائر بلاد العالم القديم[(٤)].

يقول (جورج سيل) مترجم القرآن :"من المحقق أن ما ألـم بالكنيـسة الـشرقية مـن الاضطهاد واختلال الأحوال في صدر المائة الثالثة للميلاد، قد اضطر كثيرين من نصاراها أن

=العامة بتخيلات موهمة وأناجيل مزخرفة وضعوها في الكنائس والمزارات. ثم ذكر أمـوراً كثيـرة مـن حيلهم، انظر في الكتاب المشار إليه بتحقيق سالم بن محمد القرني، رسالة ماجستير: ص ١٣٥-١٤٠.

(١) جان جاك روسو، (١٧٧٨م)، **العقد الاجتماعي**، ترجمة عبد الكريم أحمد، القاهرة، مطبعة سعد: ص ٢٣٤. وللإستزاده حول الطغيان الكنسي معالمه وأسبابه وآثاره انظر : د سفر عبد الرحمـن الحـوالي، **العلمانيـة نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية**: ص ١٢٣-١٦٤ .

(٢) رؤوف شلبي، **أضواء على المسيحية**، :١٢٨.

(٣) لمعرفة حركة الإصلاح الديني شخصياتها وعوامل انطلاقها وآثارهـا انظـر: الأسـتاذ راجـح الـسباتين (٢٠٠٨م)، **المسيحية البروتستانتية**، (ط١)، عمان، دار زهـران: ص٦-٤٤، وهـي رسـالة ماجـستير منشورة، الجامعة الأردنية .

(٤) د عمر فروخ، (١٩٨٤م)، **تاريخ الجاهلية**، (ط٢)، بيروت، دار العلم للملايين : ص ٤٨.

يلجأوا إلى بلاد العرب طلباً للحرية، وكان معظمهم يعاقبة، فلذا كان معظم نصارى العرب من هذه الفرقة). [(١)]

لقد عاشت البشرية في ظلام من الجاهلية في القرنين السادس والسابع الميلاديين، إذ سادت الوثنيات، والخرافات، والعصبيات، والقبليات، والطبقيات، والمفاسد الإجتماعية والسياسية، وحرفت معظم الأفكار الإصلاحية السليمة، سواء التي جاء بها أنبياء الله المرسلون، أو الحكماء الذي استقامت فطرهم على الحق، وقد عبر عليه السلام عن هذه الحقيقة في قوله: "وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب"[(٢)].

والشاهد من الحديث هو أن الأرض بأهلها في هذه الفترة التي سبقت البعثة المحمدية كانت قد أطبق عليها ليل الشرك، ولفها ظلام الوثنية، واستشرى الفساد والجهل، حتى لم يبق منهم على دين صحيح إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء المتقدمين، ولهذا استحقوا مقت الله وغضبه.

وأما موضوع دخول النصرانية في الجزيرة العربية وأماكن وجودهم وهل كان لهم تأثير في واقع الناس أم لا؟ فيمكن تفصيله بالنقاط الآتية :

١- يقول الشيخ حسن خالد: "يكاد يكون من المتعذر تقريبا تتبع الزمن الذي دخلت فيه النصرانية الجزيرة العربية، فمن أعاد ذلك إلى الأيام الأولى من التاريخ النصراني، بيد أن الكثير من المؤرخين ينسبون دخول النصرانية إلى الجزيرة العربية إلى سبب التبشير الذي كان يقوم به بعض الرهبان، كما ينسبون إلى تسرب بعض النُساك من النصارى الذين هربوا بدينهم من ضغط اليهود، ومكرهم، ومن ضغوط الحكام الرومانيين إلى عمق الصحراء، ويجعل بعضهم من الأسباب هو تجارة الرقيق من الجنسين، الرقيق المستورد من إمبراطورتي فارس والروم خاصة"[(٣)].

ويتابع الشيخ حسن خالد، فيقول: وقد ثبت أيضا أن أديرة رهبان النصارى ونُساكهم قد انتشرت في أماكن متفرقة من الجزيرة في نجد والحجاز وجنوب الجزيرة وشرقها، وأنها كانت ذات أثر فعال في تعريف أصحاب القوافل من تجار العرب في النصرانية[(٤)].

(١) عباس العقاد، **مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية**، (ط١)، القاهرة: مكتبة دار المعرفة : ص٩٨.
(٢) أخرجه الإمام مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، **صحيح مسلم بشرح النووي**، برقم (٧١٣٦): ج١٧، ص١٩٥.
(٣) الشيخ حسن خالد، (١٩٨٦م) **موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية**،(ط١)، بيروت: معهد الأنماء العربي: ص ٥١٣-٥١٤.
(٤) المصدر نفسه.

٢- لقد إنتشرت النصرانية في بعض القبائل العربية العريقة، فكانت في ربيعة، وغـسان، وتغلب، وقسم من قضاعة، وطيء، ومدحج، وبهراء، وتنوخ، ولُخم في الشمال[١].

٣- لقد كان الغساسنة في الشام نصارى على المذهب اليعقوبي، وفي الحيرة نصارى مـن النساطرة، وقد انتقلت اليهم من الشام؛ لأن الإمبراطور جوستنيان اضـطهد النـساطرة فرحب بهم كسرى أنوشروان (٥٣١-٥٧٩م)، وأسس لهم مدرسة جند يسابور في فارس فنشروا مذهبهم هناك، وغلب هـذا المـذهب علـى فـارس، وخراسـان، والعـراق، والموصل[٢].

٤- ذكر ابن حزم ما نصه يقال: إن إياد وربيعة كلها وبكراً وتغلب والنمر وعبد القيس كلهم نصارى وكذلك غسان وبنو الحارث ابن كعب ابن نجران وطي وتنوخ وكل من سـكن الحيرة من تميم ولُخم وغيرهم[٣]، وقد أشير إلى أن المناذرة الذين حكموا الحيـرة قـد تنصر بعض من رجالهم، فيذكر الطبري (أن امرؤ القيس أول من تنصر مـن ملـوك الحيرة، ولكن أخبار تنصر الملوك لا تأتي واضحة إلا في عهد المنذر بن ماء الـسماء الذي يقال: إنه تنصر، وبنى عدداً من الأديرة، وتزوج بهند وهي نصرانية ينسب إليهـا دير هند"[٤].

ولكن مع ذلك فإنه يتبين أن النصرانية لم تتوسع في أنحاء كثيرة مـن شـبه الجزيـرة العربية لأنها لم تتمكن أن تستميل قلوب أبنائها بل بقيت في أطرافها من الجنوب أو الشمال حيث سلطة الروم وقوتهم وحيث كان العرب محكومين لهم أو مضطرين لمسايرتهم والتعاون معهم.

ولم يقتصر انتشار المسيحية على أطراف شبه الجزيرة العربية، بل ثمة إشـارات إلـى اعتناق بعض الأفراد في الحجاز كمكة، والطائف، ويثرب، وغيرها للمسيحية أو تأثرهم بتعاليمها كما هو الأمر بالنسبة للأحناف، إلا أن الثابت أن الغالبية العظمى من سكان الحجاز ووسط شـبه الجزيرة العربية كانت على الوثنية والشرك وأن من اعتنق المسيحية منهم كانوا أفراداً قلائـل، وقد عبر عن هذا ابن حزم بقوله:" كانت سائر قبائل العرب عباد أوثان"[٥].

---

(١) د. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**: ج ٩، ص٧٩٣.
(٢) ابن حزم، **الفصل في الملل والنحل**: ج١، ص٦٥.
(٣) ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت ٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب**،(تحقيق عبد السلام هارون)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م: ص٤٩١.
(٤) د. صالح أحمد العلي،(١٩٨١م)، **محاضرات في تاريخ العرب**، (ط١)،الموصل:جامعة الموصل: ص١١٣.
(٥) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**: ص ٤٩١.

تأثير النصرانية في جزيرة العرب:

أما عن تأثير هذه المسيحية في جزيرة العرب، فالظاهر أنها لم تكن ذات بال، ولم تكن عقبة دون انتشار الإسلام، بل إن كثيراً منهم دخلوا في دين الله تعالى ونستطيع أن نرجع ضعف تأثير هذه المسيحية في العرب للأسباب الآتية :

١- إن هذه المسيحية التي تغلغلت في بطن الصحراء العربية وأطرافها بعد أن فـرتّ مـن تعسف الرومان وظلمهم، واضطهاد اليهود ومكرهم لم تكن في الغالـب تُمثـل الديانـة الصحيحة التي جاء بها عيسى عليه السلام، بل كانت تَسربت إليها بفعل الفلسفة الشائعة يوم ذاك كثير من مفاهيم الصوفية الهندية، وطقوس الوثنية الرومانية، والتعاليم البوذيـة والبرهمية، وشَوهت جمالها وعكرت صفاءها وطمست بريق ضيائها، وخَلَطَـتْ فيهـا الحق بالباطل[1] (يقول "ج-سال": إذا قرأنا التاريخ الكنسي بعناية، فـسنرى أن العـالم المسيحي قد تعرض منذ القرن الثالث لمسخ صورته، بسبب أطماع رجـال الـدين، والانشقاق بينهم، والخلافات على أتفه المسائل، والمشاجرات التي لا تنتهـي، وقـد انتهوا تقريباً إلى طرد المسيحية ذاتها من الوجود، بفعل جدالهم المستمر حول طريقـة فهمها . وفي هذه العصور المظلمة بالذات ظهرت، بل وثبتت أغلب أنواع الخرافـات والفساد .... ولقد وجدت الكنيسة الشرقية نفسها بعد مجمع نيقيه ممزقة بسبب الخلافات بين أنصار أريوس وخصومه)[2].

ولم تُؤَثر هذه المسيحية في نفس العربي كما يقول دوزي:" المسيحية في ذلك الزمـان بما فيها من عقيدة التثليث، وبما تحويه من معجزات وما يتصل بذلك من رب مـصلوب قليلـة الجاذبية بعيدة عن التأثير في نفس العربي الساخر الذكي"[3].

ويقول نقولا زيادة: "يجب أن نذكر أنه بالنسبة إلى العرب كانت المسيحية ديناً يختلـف بالمرة عما ألفوه وسمعوا به، إن من الصعب على من كان يعبد القمر أو الشمس أو غير ذلك أن ينتقل رأساً إلى قانون الإيمان النيقاوي"[4].

٢- إن الحياة العربية كانت تتمتع بقوة خارقة لمقاومة التبديل والتغيير، ومن هنا فلـم يكـن الإنجيل يتحـدى العرب، حيث يثيرهم فالشعور الجماعي العربي – قبلياً كـان أوسـع قليلا – كان يحتوي على عناصر الترابط اجتماعيا وخلقياً ومثالياً ما لم يكن من اليـسير

---

(١) الشيخ حسن خالد، **موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية**: ص ٥٢٤.

(٢) د محمد عبدالله دراز (١٩٨٩م) **مدخل إلى القرآن**، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية: ص ١٣٦.

(٣) محمد أبو زهرة، (١٩٣٤م) **تاريخ الجدل**،(ط١)، القاهرة: مطبعة دار العلوم: ص ١٥.

(٤) نقولا زيادة، (٢٠٠٢م)، **المسيحية والعرب**، (ط٤)، سوريا: قدمس للنشر والتوزيع: ص ١٧١.

اختراقه وبخاصة أن الآراء التي حملتها المسيحية إلى القوم كانت بعيدة عن تصورهم[١]. يقول ماسيه في كتابه الإسلام :(فرغم تنصر قبائل العرب بسوريا في الجاهلية (الغساسنة)، احتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم الوثنية القديمة)[٢]، ولقد قال علي رضي الله تعالى عنه:" لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب، فإنهم إنما يتمسكون من النصرانية بشرب الخمر"[٣].

٣- لعل العرب والبدو والقبائل منهم بشكل خاص ربطوا بين المسيحية والدولة البيزنطية واعتبروا أن قبول المسيحية معناه الولاء للدولة وهو أمر لم يكونوا يحبونه وأهم من هذا في رأينا أنهم لا يريدون يحبوه[٤].

٤- تقول الدكتورة سلوى با لحاج صالح:" رغم التواجد اليهودي والمسيحي بالجزيرة العربية فإن المعتقد الغالب على سكانها يبقى الوثنية، فنادراً ما نجد كامل القبيلة يعتنق الديانة المسيحية مثلاً، لم يكن الأمر يتجاوز حدود البطن الواحد أو البطون القليلة من القبيلة الواحدة، هذا إذا لم يتعلق الأمر بأفراد منها فقط، ولعل هذا يعود إلى وجود مقاومة عربية لاختراق المسيحية عبر التشبث بدين العرب الذي يمثل نوعاً من القومية[٥].

٥- بقيت الديانة المسيحية في مستوى الديانة القبلية ولم تتطور إلى مستوى الديانة القومية عند العرب قبل الإسلام، أي لم تتحول إلى ديانة عربية متأصلة في العرب في كيانهم العقائدي، وفي حياتهم اليومية وفي عاداتهم وتقاليدهم، ويعزى ذلك إلى الصراعات السياسية والاختلافات المذهبية التي حالت دون تكون قوة عربية مسيحية تستقطب بقية العرب النصارى وتعزز المسيحية بينهم[٦].

---

(١) نقولا زيادة، **المسيحية والعرب**: ص ١٧١.

(٢) د محمد عبدالله دراز، **مدخل إلى القرآن**: ص ١٣٨

(٣) الطبري، **تفسير الطبري** ج٤، ص٤٤١، يقول ابن العربي : (اختلاف العلماء في نصارى بني تغلب، فابن عباس قال:تؤكل ذبائحهم، حيث ألحقهم بالكتابيين، لقوله تعالى (وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ) المائدة:٥١. وبه قال الشعبي والشافعي، وابن عمر وعائشة وعلي رضي الله عنهم قالوا :لا تؤكل ذبائحهم، لأنهم لا يحللون ما تحلل النصارى ولا يحرمون ما يحرمون .وهذا دليل أنه لم يلحقهم بهم، لأنهم لم يتولوهم، ولا دانُوا بدينهم) انظر: ابن العربي،أبي بكر محمد بن عبدالله، (ت:٥٤٣هـ) **أحكام القرآن** ط١ (خرج أحاديثه محمد عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٨٨م)، ج ٢، ص٤٤ . وفي هذا إشارة إلى عدم تأثر النصارى العرب بالنصرانية.

(٤) نقولا زيادة، **المسيحية والعرب**: ص ١٧١.

(٥) د. سلوى بالحاج صالح العايب، (١٩٩٧م)، **المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**، (ط١)،بيروت، دارالطليعة للطباعة والنشر: ص٨٨.

(٦) المصدر نفسه: ص٩٩.

٦- إن الانتشار الجغرافي للقبيلة الواحدة في الصحراء الواسعة أثر في تَنَصر بعضها وفي تمسك البعض الآخر بالديانة العربية الغالبة وهي الوثنية[١]، ومع هذا كله فإنه يبدو أنه كان للمسيحية واليهودية أيضا تأثير على تفكير العرب المشركين من حيث تعريفهم على بعض مسائل التوحيد، والبعث بعد الموت، وقصص الأنبياء، والأقوام التي أرسلوا إليها، وغير ذلك من الأمور[٢].

ويضيف الدكتور إبراهيم الفيومي[٣] أسبابا أخرى أدت إلى عجز المسيحية أن تكون ديناً للمنطقة، فلم تنتشر انتشاراً واسعاً، وهي أسباب كامنة في المسيحية ذاتها، منها :

- التنافس بين مذاهبها.
- انشقاقاتها العقائدية حول طبيعة المسيح والمتعلقة بها.
- عدم رضا بعض رجال الكنائس على عملية التوفيق بين المسيحية والتراث الفلسفي اليوناني[٤]التي أظهرت المسيحية من حيث معارفها الفلسفية كأنها منظمة يونانية ورومانية ومخلخلة البنيان من حيث بناؤها الديني.
- يقول الدكتور الفيومي أيضا: "وبات عجز المسيحية واضحا عن الانتشار في المنطقة العربية، وبلغ من عجزها أن ظهرت عبادات قريبة الشبه بالزرادشتية والبوذية بين الجماعات المسيحية نفسها".
- يقول تايلور في كتابه المسيحية القديمة: (أما ما قابله محمد وأتباعه في كل اتجاه لم يكن إلا خرافات منفرة، ووثنية منحطة ومخجلة، ومذاهب كنسية مغرورة، وطقوس دينية منحلة، وصبيانية، بحيث شعر العرب ذوو العقول النيرة بأنهم رسل من قبل الله، ومكلفون بإصلاح ما ألم بالعالم من الفساد)[٥].

---

(١) د. سلوى بالحاج صالح العايب، **المسيحية العربية وتطوراتها:** ص ٩٨.
(٢) أحمد أمين، (١٩٦٥م)، **فجر الإسلام**،ط١٠،القاهرة، مكتبة النهضة المصرية :ص٢٤-٢٨.
(٣) د.محمد إبراهيم الفيومي، (١٩٧٩م)، **في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام**، (ط١)، القاهرة: عالم الكتب: ص٧٤. وانظر: د.علي عبد الحليم محمود، (١٩٧٩م)، **عالمية الدعوة الإسلامية**، (ط٢)، جدة: دار عكاظ: ص٥٢١.
(٤) ظهر الأثر الفلسفي على القديس بولس وهو رائد التوفيق بين المسيحية وبين التراث الفكري عند الشعوب الداخلة في المسيحية في رسائله الذي وفق فيها بين المسيحية والفلسفة اليونانية وظهر ذلك جليا عندما نشبت الخصومات داخل الكنيسة، وصيغت هذه الخصومات في مصطلحات فلسفية يونانية ودارت معاركها وفقا للأصول الفلسفية، وهكذا منذ البدء أتيح للكنيسة المسيحية أن تكون مبشرة بالثقافة العقلية اليونانية وبالعقيدة الإنجيلية معاً. د محمد الفيومي، **في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام**: ص ٦٥.
(٥) د. محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم**: ص ١٣٧.

الفصل الثاني: بشارات التوراة والإنجيل ببعثة محمد ﷺ، وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: معنى البشارة

المبحث الثاني: الآيات الدالة على اشتمال الكتاب المقدس على بعثة الرسول ﷺ

المبحث الثالث: بشارات العهد القديم (التوراة)

المبحث الرابع: بشارات العهد الجديد (الإنجيل)

المبحث الخامس: ترقب شخصيات نصرانية لبعثة الرسول ﷺ

- ورقة بن نوفل
- الراهب بحيرا ونسطور
- في مجلس سيف بن ذي يزن
- بين زيد بن نفيل وراهب
- بين سلمان الفارسي وراهب

الفصل الثاني: بشارات التوراة والإنجيل ببعثة محمد ﷺ

قرر القرآن الكريم في آيات كثيرة أن جميع الأنبياء قد بشروا أممهم ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذوا العهد بالإيمان به واتباعه، كما أكد بأن الكتب السابقة قد اشتملت على نصوص تدل دلالة[1] صريحة على اسم رسول الله ﷺ ،وصفته، وزمنه، وبلده، ومهاجره، وغير ذلك من أخباره.

وقبل الكلام في هذه البشارات نعرض لعدد من الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على اشتمال الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى على أخبار رسول الله ﷺ.

المبحث الأول: معنى البشارة

وقبل العرض لقضايا هذا المبحث نبدأ بالتعرف على كلمة البشارات والمبشرات. يقول: علماء اللغة: البشارات جمع بشارة[2]، وقد تجمع أيضاً على بشائر، والبشارة الخبر السار، وما يعطاه البشر، والبشرى: ما يبشر به وما يعطاه المبشر[3].

وانطلاقاً من هذه المعاني اللغوية لكلمة البشارة أو المبشرات يمكن لنا أن نعرفها في الاصطلاح - ومما يساعد عليه نفهمه من آيات البشرى أو البشارة في القرآن الكريم- فنقول: لما كان من بين معاني البشارة في اللغة الخبر السار وما يعطاه المبشر يمكن أن نقول إن البشارة في الاصطلاح هي: الأخبار السارة، والنعوت، والصفات الجميلة التي يعطاها المبشر

---

(١) لمزيد من التفصيل في موضوع البشارات بمحمد ﷺ انظر : كتاب **إفحام اليهود** - للسموأل بن يحي المغربي، كتاب : **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب** - لعبد الله الترجمان كتاب : **محمد في التوراة والإنجيل والقرآن**، لإبراهيم خليل أحمد، **وكتاب مسالك النظر في نبوة سيد البشر** لسعيد بن الحسن الإسكندراني، (وهو مجموعة بشارات الكتب القديمة بنبوة محمد عليه السلام، وجميع من ذكرنا ممن هداهم الله وشرح صدورهم للإسلام، فانتقلوا إليه من اليهودية أو النصرانية. وانظر كتاب الشيخ رحمه الله الهندي : **إظهار الحق**، وانظر كتاب : **الدين والدولة في إثبات نبوة سيدنا محمد** ﷺ للمهتدي : علي بن ربن الطبري ط٣١ بتحقيق عادل نويهض بيروت، **والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ابن تيمية ج٣،ص٢٢٩-٣٣٢، **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام** – القرطبي ج٣،ص٢٦٣-٢٨٠، **الرسول عليه السلام** – سعيد حوى، ص٣٩٩، **مختصر سيرة الرسول** ﷺ،عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب،ص ٥٦-٦٥، **الرسل والرسالات**، عمر الأشقر،ص ١٦٨-١٨٨، **بشارات الأنبياء بمحمد** ﷺ، عبد الوهاب عبد السلام طويلة،ص٣٥-١٤٢. **والبشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل**، .أحمد حجازي السقا، **ومحمد في الكتب المقدسة**، د. محمد رواس قلعه جي،د محمد ملكاوي، **بشرية المسيح ونبوة محمد عليه السلام في نصوص كتب العهدين**، ط١،مطابع الفرزدق: الرياض، ٢٩٩٣م، ص٢٠١-٢٧٨.حيث ذكر ثمان بشارات.

(٢) المؤلف،(١٩٨٦م)، **المعجم الوجيز** (مجمع اللغة العربية)، (ط٢)، القاهرة: دار التحرير للطبع، ص ٢١-٥٢، وانظر الرازي، **مختار الصحاح** : ص٣٤.

(٣) إخراج: د.إبراهيم أنيس وآخرون (١٩٨٧)، **المعجم الوسيط**، (ط٢)، بيروت: دار الأمواج : ج١،ص٥٨.

به، ومثله الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وما جاء على ألسنة الأنبياء السابقين من ذكر نعته وصفته وكريم خلقه ﷺ كما قال تعالى: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (١)، فقد أجمعت كتب التفسير على أن المبشر به في الآية هو سيدنا محمد ﷺ فذكر سيدنا عيسى أنه رسول أي مرسل من رب العالمين، واسمه أحمد أي كثير الحمد، وأيضاً كما قال تعالى في حق سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام :﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (٢) ومعنى حليم أي: وقور، وقوله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(٣).

المبحث الثاني: الآيات الدالة على اشتمال الكتاب المقدس على بعثة النبي ﷺ

الآية الأولى :

وهذه الآية من الآيات الواضحة الدلالة على إشتمال الكتاب المقدس على بعثته عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ (٤) عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(٥).

تصور هذه الآية الكريمة موقف اليهود من الرسول ﷺ قبل أن يبعث، وبعد أن بعِثَ، لقد كانوا ينتظرونه ويستفتحون به على المشركين ويحدثونهم من أخباره الشيء الكثير، فلما بعثه الله ورأوا أن النبوة سلِبت منهم إلى غيرهم كفروا به حسداً.

---

(١) سورة الصف :الآية ٦.
(٢) سورة الصافات:الآية ١٠١.
(٣) سورة الصافات: الآية ١١١.
(٤) يستفتحون : أي يستنصرون الله ببعثة محمد ﷺ، وقيل كانوا يقولون غداً لَنُنْصر بمحمد صلى عليه السلام على عبدة الأوثان. الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن الكريم** :ص ٦٢٢.
(٥) سورة البقرة: الآية ٨٩.
* لقد اقتصرتُ على ثلاث آيات وهناك آيات أُخَر تدل على إشتمال الكتاب المقدس على بعثة النبي عليه السلام وصفته منها: (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) سورة الشعراء، الآيتان (١٩٦-١٩٧) والآية: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ...) آل عمران:٨١. والآية (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ....) سورة الأعراف، الآية:١٥٧.

يقول ابن كثير رحمه الله: (كان اليهود من قبل مجيء هذا الرسول ﷺ بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على المشركين إذا قاتلوهم، يقولون إنه سيبعث في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم)[١].

وروى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس: أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور: يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا، وقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد، وإنا أهل الشرك تخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلاّم ابن مِشْكَم: ما هو الذي كنا نذكر لكم ما جاءنا بشيء نعرفه[٢].

يقول الإمام ابن تيمية :(وهذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به ﷺ لما دعاهم إلى الإسلام، حيث بايعوه من غير رهبة ولا رغبة)[٣].

الآية الثانية :

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٤]. يخبرنا سبحانه وتعالى أن علماء اليهود يعرفون صفة رسول ﷺ معرفة تامة كما يعرف الواحد منهم ولده الذي لا يشك فيه، لكنهم يكتمون ذلك بغياً وحسداً.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار: (إنهم يعرفون النبي ﷺ بما في كتبهم من البشارة به، ومن نعوته وصفاته التي لا تنطبق على غيره وبما ظهر من آياته وآثار هدايته كما يعرفون أبناءهم الذين يتولون تربيتهم حتى لا يفوتهم من أمرهم شيء)[٥].

---

(١) ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل (ت:٧٧٤هـ) **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، (تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي)، دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) :ج ١،ص ١٢٩.

(٢) الأصفهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله، (ت:٤٣٠هـ)، **دلائل النبوة**، ط٢، حيدر إياد الدكن (الهند)، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م : ص٤٤.

(٣) ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** :ج ٣، ص٢٨٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٦.

(٥) رشيد رضا محمد (ت: ١٩٣٥) **تفسير القرآن الحكيم**، (ط٢)، دار المعرفة: بيروت: ج ٢،ص٢٠.

ثم إن الذين اطلعوا على التوراة يعترفون بأن صفة رسول الله ﷺ ثابتة فيها وأنها تنطبق عليه تماماً، لذا سارعوا في الإسلام كأمثال عبدِ الله بن سلام وزيد بن سعنَةَ وغيرهما كثير.

يروى أن عمر رضي الله عنه سأل عبد الله بن سلاّم عن رسول الله ﷺ فقال : (أنا أعلم به مني بابني، فقال : ولِم ؟ قال : لأني لست أشك في محمد لأنه نبي، فأما ولدي فلعل والدته خانت) فقبل عمر رأسه[(١)].

الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [(٢)].

تصف الآية الكريمة حال طائفة من أهل الكتاب (النصارى) استجابت للدعوة الجديدة، فآمنت بالنبي ﷺالأمي إيماناً عميقاً جعل الدموع تجري من العيون من شدة تأثرهم بالحق الذي سمعوه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتُبين الآية الكريمة أن سِر إيمانهم برسول الله عليه الصلاة والسلام، وما جاء به هو معرفتهم السابقة من خلال الكتب المقدسة عندهم بأن نبياً من العرب سيخرج آخر الزمان: (إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين). وهكذا كانت المعرفة السابقة سبباً في الإيمان بهذا الدين الجديد.

يقول الإمام البيضاوي في تفسيره: (نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب وإن إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ، وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الإسلام قبل نزوله أو تلاوته بإعتقادهم صحته في الجملة)[(٣)].

وقد روى ابن كثير في سبب نزول هذه الآية عدة روايات[(٤)]:

الأولى: قال سعيد بن جبير: (نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي عليه الصلاة والسلام قرأ عليهم (يس والقرآن الحكيم)، حتى ختمها، فجعلوا يبكون).

---

(١) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر بن محمد (ت:٥٨٣ هـ) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (ط١، (رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م، ج ١: ص٣٤٥.

(٢) سورة القصص:الآيتان٥٢-٥٣.

(٣) البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت:٧٩١هـ)، **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**،(ط١)، (تحقيق: محمد حلاّق ومحمود الأطرش)، دار الرشيد، دمشق،١٤٢١هـ : ج٣ ص ١٨.

(٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**: ج٣، ص٤٠٥.

الثانية: روى ابن إسحق في السيرة قال: قدم على رسول الله ﷺعشرون رجلاً من النصارى، وهو بمكة حين ظهر خبره في الحبشة، فوجدوه في المسجد فكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم، فلما فرغوا من مسألتهم رسول ﷺ مما أرادوا دعاهم إلى الله عز وجل، وتلى عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوا وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش، فقال: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم لترتادوا لهم فتأتوهم بخبر رجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم. ما نعلم ركبا أحمق منكم. فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لم نأل أنفسنا خيرا.

وبمثل هذه الآية التي أتحدث عنها جاء في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [(1)].

وهاتان الآيتان نزلتا في النجاشي وأصحابه، قال هذا الزهري والنسائي والطبراني وغيرهم، يقول عطاء: (ما ذكر الله به النصارى من خير فإنما أراد به النجاشي وأصحابه)[(٢)].

المبحث الثالث: بشارات العهد القديم (التوارة) ببعثة الرسول عليه ﷺ

البشارة الأولى:

يتضمن هذا المبحث بشارات أشارت إلى بعثته عليه السلام.

في سفر التثنية (أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه وأما الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي، وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه)[(٣)].

يقرر هذا النص أن الله تعالى سيبعث نبياً من وسط إخوة بني إسرائيل، لا من بني إسرائيل أنفسهم، لأنه لو كان المراد أنه سيبعث من بني إسرائيل لقال "منهم" بدلاً من قوله "من وسط إخوتهم".

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٣.
(٢) الشوكاني، **فتح القدير:ج** ٢، ص٨٠.
(٣) **الكتاب المقدس**، التثنية : ١٨/ ١٨.

ومعلوم أن إخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل حيث ورد في التكوين عن إسماعيل وذريته "وسكنوا من حويله إلى آشور التي أمام مصر حينما تجئ نحو آشور أمام جميع إخوته نزل"(١).

وعن آدوم الذي هو عيسى: (وأوصى الشعب قائلاً لهم: أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جداً)(٢)

هذه حقائق تؤكد أن يسوع مخالف لموسى وأن محمداً عليه السلام مثل موسى تماماً حيث جاء في سفر التثنية: (ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهها لوجه)(٣).

وهذا دليل من التوراة أنه لا يأتي من بني إسرائيل نبياً مثل موسى أبداً.

وأما قوله: وأجعل كلامي في فمه، والمعنى أنه لا يتكلم ولا يتلو إلا ما يمليه الله عليه، والتاريخ يحدثنا أن محمداً عليه السلام كان أمياً، وعندما بلغ عليه السلام من العمر أربعين عاماً، وكان يتعبد في غار حراء، نزل إليه جبريل عليه السلام ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان وأمره قائلاً: "إقرأ ثلاثاً ... (٤)

ولقد ورد على لسان النبي أشعياء أنه تنبأ عن النبي الأمي قائلاً (أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له إقرأ فيقول لا أعرف الكتابة)(٥).

فالنص يبين أن النبي المبعوث أمي يحفظ ما يسمع وفي كتاب الله ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ (٦).

إذا علمنا أن عيسى عليه السلام كان يقرأ ويكتب ففي إنجيل لوقا: (دخل المجمع حسب عادته يوم السبت، وقام ليقرأ) (٧).

---

(١) **الكتاب المقدس،** سفر التكوين: ٢٥/ ١٨.
(٢) **الكتاب المقدس،** سفرالتثنية: ٢/ ٤ .
(٣) **الكتاب المقدس،** سفر التثنية: ٣٤/ ١٠.
(٤) سورة العلق، الآية: ١. وحادثة الوحي في غار حراء مفصلة في كتب الحديث والتفسير انظر: البخاري،كتاب بدء الوحي باب ٣ حديث رقم ٣ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ج١ ص٢٩. ابن هشام **سيرة النبي عليه السلام** ج١، ص٢٥٥. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**: ج٢٠ ، ص٨٠ بتصرف.
(٥) **الكتاب المقدس،** أشعيا: ١٩: ١١.
(٦) سورة الشعراء، الآية (١٩٢ – ١٩٥).
(٧) **الكتاب المقدس،** إنجيل لوقا :٤/١٦ .

ويشير النص إلى أن هذا النبي أمين على الوحي يبلغ عن الله ما يسمع دون زيادة أو نقص لقوله: (فيكلمهم بكل ما أوصيه به) والنبي عليه السلام كان كذلك.

كما يبين النص أن بني إسرائيل مطالبون بالسماع له وباتباع ما جاءهم به من الله وإلا سيعرضون أنفسهم إلى نقمة الله ورسوله لقوله: "ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه".

والمعنى أنتقم منه لعدم سماعه من النبي الذي بعثه الله إليهم وإلى كافة الناس. يقول الدكتور السقا:" ولما كان النزاع محصوراً بين عيسى ونبي الإسلام ـ عليهما السلام ـ فإن المراد هو نبي الإسلام وحده[1]، عيسى عليه السلام قال: "أنا لست أطلب مجدي، يوجد من يطلب ويدين"[٢].

ويقول الشيخ رحمه الله الهندي:"ليس المراد بالانتقام من المنكر العذاب الأخروي الكائن في جهنم أو المحن والعقوبات الدينوية، لأن هذا الانتقام لا يختص بإنكار نبي دون نبي بل يعم الجميع فحينئذ يراد بالانتقام الانتقام التشريعي فظهر منه أن هذا النبي يكون مأموراً من جانب الله بالانتقام من منكرة"[٣].

وفي هذا دلالة على أن النبي المبعوث مأمور بجهاد المنكرين، وهذا ما جاء به سيد المرسلين لإعلاء كلمة الله في الأرض، وقد بين عيسى عليه السلام، أنه عقب الانتقام الإلهي يتأسس ملك هذا النبي ويقوى إلى الأبد، فقد ضرب لهم مثلاً، سمى فيه اليهود بالكراميين الأردياء، وعنهم يقول في رواية متى: (أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها)[٤].

ولقد بعث رسول الله عليه السلام إليهم وإلى الناس كافة ودعاهم إلى إتباعه وعندما رفضوا انتقم الله منهم على يده، حيث قُتِلَ من قِتِل منهم وأجلي بعضهم عن ديارهم وسلب أموالهم وذلك بسبب خيانتهم وغدرهم.

كما أن النص يبين أن مصير النبي الذي يطغى ويكذب على الله أو يتكلم باسم آلهة أخرى فإنه يموت أي يقتل، ولو نظرنا في القرآن وفي الإنجيل، نجد القرآن مصرحاً بعدم قتله، ونجد الإنجيل مصرحاً بقتل عيسى عليه السلام: فعلى ما كتبوا في الإنجيل لا يكون ذلك النبي هو عيسى عليه السلام وعلى ما ذكره الله في القرآن يكون ذلك النبي هو محمد عليه السلام. ففي

---

(١) الدكتور أحمد السقا،(١٤٠٩هـ)،**البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل**، (ط١)، بيروت، دار الجيل، ص٢٤٤

(٢) **الكتاب المقدس**،إنجيل يوحنا : ٨/ ٥٠.

(٣) رحمة الله الهندي، **اظهار الحق:** ج٢، ص ١٩٩

(٤) **الكتاب المقدس**، انجيل متى: ٢١/ ٤٠.

الإنجيل يقول لوقا: "... ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمةَ ، صلبوه هناك مع المذْنِبين"[١].

لقد صرح لوقا بأنه قُتِلَ مع مذنبين آخرين، ونحن لا نقر بذلك، وصرح القرآن الكريم بعصمة الرسول عليه السلام من القتل، فقال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[٢].

فلو كان كاذباً أو يتكلم باسم آلهة اخرى ـ حشا لله ـ لما حفظه ولا أمكن من قتله، وهذا يدل دلالة واضحة على أنه النبي الذي وعد الله به موسى عليه الصلاة و السلام.

البشارة الثانية

ما ورد في سفر أشعياء قوله (لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابنا وتكون الرياسةُ على كَتِفِه ويدعى اسمه عجيبا....)[٣].

يشير النص إلى أخص الصفات الخلقية بالنبي عليه السلام، وهي الشامة التي خلقها الله له على كتفه كعلامة واضحة على نبوته، فهذه بشارة واضحة بالنبي عليه السلام الذي وجد على كتفه خاتم النبوة ورآه الكثير من أصحابه، ولم ينْقَل عن أحد من الأنبياء أنه كان له مثل ذلك لا سليمان ولا عيسى عليهما السلام.

جاء في الصحيحين عن الصائب بن يزيد قال:(ذَهبتْ بي خالتي إلى النبي عليه السلام، فقالت: يا رسول الله أن ابن أختي وجِع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربتُ من وضوئه، ثم قمتُ خلف ظهره فنظرتُ إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلةِ)[٤].

وفي قوله: "ويدعى اسمه عجيباً"، أي لم يعهده بنو إسرائيل، ثم إن قومه أصابهم العجب عندما سماه جده محمداً؛ لأنه لم يكن مالوفاً عندهم أيضاً.

ويقول الأستاذ صالح السامرائي: (وقد ذكر الفاضل حيدر علي القرشي في كتابه خلاصة سيف المسلمين المؤلف بالأوردية الهندي أن القسيس أو سكان الأرمني ترجم سفر أشعيا باللسان الأرمني في سنة ألف وستمائة وست وستين، وطبعت في سنة (١٧٣٣) وفيه في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة ونصها: "سبحوا تسبيحا جديداً وأثر سلطنته على ظهره واسمه أحمد"

---

(١) **الكتاب المقدس**، انجيل لوقا: ٢٣/ ٣٣ .
(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧ .
(٣) **الكتاب المقدس**، سفر اشعياء: ٩/ ٦ .
(٤) **صحيح البخاري**،كتاب المرض والطب، باب من ذهب بالصبي المريض ليدعى له، ج٧ ص١٠، وأخرجه **مسلم في صحيحه**، كتاب الفضائل،باب إثبات خاتم النبوة، ج٤، ص ١٨٢٣.

انتهت، وهذه الترجمة موجودة عند الأرمن فانظروا فيها)[1]. إن الصورة الكاملة عن النبي المنتظر محمد عليه السلام كما جاءت في التوراة والانجيل يمكن أن نلخصها بما يأتي:

الحقائق الآتية مؤسسة على سفر إشعياء (إصحاح ٤٢: ١ – ١١)

أ. إنه الرسول النبي الخاتم ولا نبي بعده.

ب. أفضل رسل الله "مختاري الذي سرت به نفسي" (إشعيا ٤٢: ١)

ج. إنه رسول الله للعالمين كافة لأنه:

١. متمكن ورحيم.

٢. مؤسس لأمة على الحق والبر.

٣. وثيق الصلة بسلالة قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام.

٤. بفضل الله نور للأمم.

* وأما الحقائق الآتية فهي مبنية على سفر التكوين: (١٧: ٢٠، ٢٢: ١٦ – ١٨) وسفر التثنية: (٢١: ١٥ – ١٧، ١٨: ١٥ – ١٩)، لأنه:

١. سليل إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحاق. وبذلك يكون عما للعبرانيين كافة.

٢. فيه تبارك كل شعوب الأرض.

٣. الوارث الحقيقي لإسماعيل وإسماعيل بكر إبراهيم فله النصيب المضاعف.

٤. تلقي الوحي مباشرة من الله.

* كما بنيت الحقائق الآتية على إنجيل يوحنا:(١٤: ١٦–١٧، ٢٦، ١٦: ٢٦–٢٧، ١٦: ١٣–١٤)؛ لما يأتي:

١. لأنه يأتي على إثر إختتام رسالة عيسى بن مريم عليهما السلام.

٢. لأنه الصادق الأمين، وشهرته ذائعة في العالمين بالصدق.

٣. لأنه يتلقى الوحي مباشرة من الله.

٤. لأن رسالته خالدة أبدية.

٥. لأنه يرشد إلى الحق ... (إلى جميع الحق).

٦. لأنه يدافع عن المسيح عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام: (ذاك يمجدني، ويدفع عنهما الشبهات).

---

(١) نعمان بن محمود الألوسي، (١٨٨٩هـ) **الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح** لاهور، المطبعة الإسـلامية: ص٩٧.

المبحث الرابع: بشارات العهد الجديد (الإنجيل)

بشارات إنجيل متى

البشارة الأولى:

وردت عدة نصوص في إصحاحات مختلفة من هذا الإنجيل تبشر بملكوت السموات منها.

في الإصحاح الثالث: (وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكْرزفي برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات) [١].

وفي الإصحاح الرابع:(من ذلك الزمان إبتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات) [٢].

وفي الإصحاح السادس: (فصلوا أنتم هكذا، أبانا الذي في السموات ليتقدس إسمك ليأت ملكوتك) [٣].

وفي الإصحاح العاشر: (وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين، إنه قد إقترب ملكوت السموات"[٤] تبين هذه النصوص أن كلاً من يحيى وعيسى عليهما السلام والحواريين بشروا بملكوت السموات فما المقصود.

يرى الشيخ رحمة الله الهندي أن المقصود بملكوت السموات هي المملكة التي أخبر عنها دانيال والتي سبق الحديث عنها، يقول: (ولفظ ملكوت السموات بحسب الظاهر يدل على أن هذا الملكوت يكون في صورة السلطنة لا في صورة المسكنة، وأن المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكونان لأجله وأن مبنى قوانينه لا بد أن يكون كتاباً سماوياً وكل من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية)[٥].

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن المقصود بالملكوت هو دين جديد ينزله الله إلى الخلق وهو الإسلام[٦].

وإدعاء أن المراد بالملكوت الكنيسة مردود بالإنجيل نفسه فقد جاء في إنجيل متى : (لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره)[٧].

---

(١) **الكتاب المقدس**،إنجيل متى :٣/ ١.
(٢) **الكتاب المقدس**، إنجيل متى: ٤ /١٧.
(٣) المصدر نفسه، إنجيل متى: ٦ /٩
(٤) المصدر نفسه، إنجيل متى: ١٠ /٧.
(٥) رحمة الله الهندي، **إظهار الحق**، ج ٢،ص٢٢٥
(٦) فاضل صالح السامرائي، (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)، **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**، (ط٢)، بغداد،مكتبة القدس: ص٢٩٥.
(٧) **الكتاب المقدس**، إنجيل متى: ٢١ /٤٤.

يقول د. السامرائي: (فلا يصح أن يكون معناها الكنيسة إذ ما معنى أن الكنيـسة تنـزع منكم وتُعطى لأمة تعمل أثمارها؟ وإنما هو تبشير بدين جديد هو الإسلام)[١].

جاء في إظهار الحق: (فظهر أن كلا من يحيى وعيسى و الحواريين والتلاميذ السبعين بشر بملكوت الله وبشر عيسى عليه السلام بالألفاظ التي بشربها يحيى فعلم أن هذا الملكوت كما لم يظهر في عهد يحيى عليه السلام فكذلك لم يظهر في عهد عيسى عليه السلام ولا فـي عهـد الحواريين والسبعين بل كل منهم مبشر به ومخبر عن فضله ومترج لمجيئه فلا يكون المـراد بملكوت السموات طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة عيسى عليه السلام، وإلا لمـا قالـه عليـه السلام والحواريون السبعون إن ملكوت السموات قد اقترب فهو عبارة عن طريقة النجاة التـي ظهرت بشريعة محمد ﷺ)[٢].

وبهذا يتضح لنا أن بشارة عيسى ويحيى عليهما السلام و الحواريين بملكوت الـسماوات إنما المراد منها شريعة الإسلام التي أُرسل بها خاتم الأنبياء وآخر المرسلين.

ويزيد في إثبات هذا المفهوم وتعزيزه ما جاء على لسان عيسى في إنجيل متى أيـضاً بعد أن ساق لهم مثلاً طويلاً "لذلك أقول لكم": إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطـى لأمـة تعمـل أثماره..." [٣]

وهكذا فقد أخبر عيسى حوارييه باقتراب مجيء ملكوت السماوات، وعلمهم الدعاء إلـى الله لكي يرسل ملكوته قائلاً: (فصلّوا أنتم هكذا : أبانا الذي في السموات ليتقدس إسـمك ليـأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزنا كفافنا أعطنا اليوم)[٤].

وهكذا فقد أخبر عيسى حوارييه باقتراب مجيء ملكوت السماوات، وعلّمهم الدعاء إلى الله لكي يرسل ملكوته، وزاد ذلك بأنه جزم لهم بأن هذا الملكوت لن يكون في أيديهم، بل سينزع منهم ويعطى إلى أمة أخرى... وهذا الذي كان على يد محمد ﷺ تكميلاً لرسالة من سبقه وإتماماً لها، وقد مكن الله له في الأرض بعد أن إستخلفه فيها مصداقاً لقوله تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ

---

(١) د. فاضل السامرائي، **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**: ص ٢٩٥
(٢) رحمة الله الهندي، **إظهار الحق**: ج ٢، ص٢٢٥
(٣) **الكتاب المقدس**: إنجيل متى: ٢١ /٤٣.
(٤) **الكتاب المقدس**، إنجيل متى : ٦ /٩.

دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾(١).

البشارة الثانية :

ومن البشارات الواردة في الإنجيل التي توجه النظر إلى رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى شخصه بالذات، وأنهما المعنيان والمرتقبان منه نص متى الذي جاء فيه: " فإن ملكوت السماوات يشبه رجلاً رب بيت خرج من الصبح ليستأجر فعلة لكرمه، فاتفق مع الفعلة على دينار وأرسلهم إلى كرمه، ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين، قياماً أيضاً في السوق بطّالين، فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيهم ما يحق لكم فمضوا وخرج أيضاً نحو السادسة و التاسعة، وفعل كذلك، ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطّالين فقال لهم: (لماذا وقفتم هاهنا كل النهار بطّالين؟! قالوا لم يستأجرنا أحد، قال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم فلما كان المساء، قال صاحب الكرم لوكيله ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة، وأخذوا ديناراً ديناراً فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم ديناراً ديناراً. وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر، فأجاب وقال لواحد منهم يا صاحب ما ظلمتك. أما اتفقت معي على دينار؟ فخذ الذي لك واذهب، فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي؟ أم عينك شريرة لأني أنا صالح؟ هكذا يكون الآخرون أولين، والأولون آخرين لأن كثيرين يدعون، وقليلين ينتخبون)(٢).

وفي القرآن الكريم نظير هذا التعبير بقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾(٣).

نقل القرطبي عن الحسن في تفسير هذه الآية الكريمة، فقال : (ثلة ممن قد مضى قبل هذه الأمة، والثلة هي الجماعة العظيمة وقليل من أصحاب محمد ﷺ اللهم اجعلنا منهم بكرمك،

---

(١) سورة النور: الآية ٥٥.
(٢) **الكتاب المقدس**، إنجيل متى :٢٠ /١-١٦.
(٣) سورة الواقعة: الآية (١٠-١٤).

وسموا قليلاً بالإضافة إلى من كان قبلهم، لأن الأنبياء المتقدمين كثروا، فكثـر الـسابقون إلـى الإيمان منهم، فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من أمتنا)[١].

وفي الصحيح قال عليه الصلاة والسلام: (مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء فقال من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط ؟ فعملت اليهود ثم قـال: مَـن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال :مـن يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيراطين؟ فأنتم هم، فغـضب اليهـود والنصارى، وقالوا : مالنا أكثر عملاً وأقل عطاء؟! قال هل نقصتكم من حقكم؟! وفـي روايـة " هل ظلمتكم من حقكم شيئاً" قالوا : لا، قال : فذلك فضلي أوتيه من أشاء)[٢]. وورد عنه ﷺ ما يؤكد أيضاً كلام الإنجيل بشكل واضح:" نحن الآخرون السابقون يوم القيامة" [٣].

البشارة الثالثة:

ورد في إنجيل متى ما نصه:(كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياجٍ وحفـر فيه معصرةً وبنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر، ولما قَرب وقت الأثمار أرسل عبيـده إلـى الكرامين ليأخُذَ أثماره، فأخذ الكرامون عبيده وجلَدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعـضاً، ثـم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك، فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابني، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارثُ هلموا نقتله ونأخذ ميراثـه فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين. قالوا له أولئك الأردياء يهلكُهم هلاكاً ردِياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكُتُب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم إن ملكوتَ الله ينْزع منكم ويعطَى لأمة تعمل أثماره ومن سقط على هذا الحجر يترَضض، ومن سقط هو عليه يسحقُه) [٤].

قال الإمام محمد رشيد رضا تعليقاً على هذا النص: (إن رب البيت كناية عن الله تعالى، والكرم كناية عن الشريعة، وإحاطته بسياج وحفر المعصرة فيه وبنـاء البـرج كنايـات عـن

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القران**،ج ١٧ص١٣٠.
(٢) أخرجه البخاري كتاب الإجارة إلى نصف النهار حديث(٢٢٦٨) انظر **ابن حجر فتح الباري**،ج٢ ص ٥٦٣
(٣) أخرجه البخاري كتاب الجمعة باب فرض الجمعة حديث(٨٧٦) انظر **ابن حجر فتح الباري** ج٢ ص٤٥٦ . يقول ابن حجر :(الآخرون زماناً الأولون منزلة)، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عـن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة بأنهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يقـضى بيـنهم وأول من يدخل الجنة، ابن حجر **فتح الباري**، ج٢،ص٤٥٧. و أخرجه الإمام مسلم، باب هداية هذه الأمـة ليوم الجمعة وفيه :(نحن الآخرون ونحن السابقون)، حديث(١٩٧٥)، **صـحيح مـسلم بـشرح النـووي المسمى المنهاج بشرح صحيح مسلم**: ج٦،ص٣٨١.
(٤) **الكتاب المقدس**، انجيل متى:٢١/٣٣-٤٤.

المحرمات والمباحات والأوامر والنواهي، والكرامون الطاغون كناية عن اليهود كما فهم رؤساء الكهنة والفريسيون أنه تكلم عليهم، والعبيد المرسلون كناية عن الأنبياء عليهم السلام، والابن كناية عن عيسى ولا بأس بإطلاق هذا اللفظ عليه من الناحية المعنوية، وقد قتله اليهود أيضاً في زعمهم والحجر الذي رفضه البناؤون كناية عن محمد ﷺ والأمة التي تعمل أثماره كناية عن أمته وهذا هو الحجر الذي كل من سقط عليه ترضض وكل من سقط هو عليه سحقه)[١].

ويذهب المحققون إلى أن المراد بالحجر الذي رفضه البناؤون هو إسماعيل عليه السلام الذي كان محمد ﷺ من عقبه ونسله، فقد أمر به فأسكن برية فاران وهي جبال مكة، حيث لا ماء ولا زرع، ولا حياة لأي من الكائنات الأخرى في هذه البرية غير هاجر وابنها، وقد أسكنها فيها إبراهيم – عليه السلام - بأمر من سيدتها سارة أم إسماعيل، والله تعالى قد طمأن هاجر فوعدها بأنه سيكثر ذريته حتى تعم الوادي ويكون لهذه الذرية السلطان الأقوى.

وقد تحقق وعد الله لهاجر وإبراهيم في ولد إسماعيل عليه السلام فانتقلت النبوة إلى النبي العربي محمد بن عبد الله سليل إسماعيل من إبراهيم عليهم جميعاً صلاة الله وسلامه[٢].وما ادعاه علماء المسيحية بزعمهم أن هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام فغير صحيح لوجوه:

الأول: أن داود عليه السلام قال في الزبور: (الحجر الذي رذله البناؤون هو صار رأساً للزاوية)، (من قبل الرب كانت هذه وهي عجيبة في أعيننا).

فلو كان هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام وهو من اليهود من آل يهوذا من آل داود عليه السلام فأي عجب في أعين اليهود عموماً، لكون عيسى عليه السلام رأس الزاوية لا سيما في عين داود عليه السلام خصوصاً لأن مزعوم المسيحيين أن داود عليه السلام يعظم عيسى عليه السلام في مزاميره تعظيماً بليغاً ويعتقد الألوهية في حقه، بخلاف آل إسماعيل لأن اليهود كانوا يحقرون أولاد إسماعيل غاية التحقير، وكان كون أحد منهم رأساً للزاوية عجيباً في أعينهم.

الثاني: أنه لما وقع في وسط هذا الحجر كل من سقط على هذا الحجر ترضض وكل من سقط هو عليه سحقه ولا يصدق هنا الوصف على عيسى عليه السلام لأنه قال: (وان سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأني لم آتِ لأدين العالم بل لأخلص العالم) [٣]، وصِدقُه على محمد ﷺ غير محتاج إلى البيان لأنه كان مأموراً بتنبيه الفجار الأشرار فإن سقطوا عليه ترضضوا

---

(١) محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**: ج ٩،ص٢٧٤.

(٢) د. محمد الغيط الفرت ود.محمد رواس قلعة جي،(١٩٨٣م)، **العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة**،(ط١)،الكويت، دار البحوث العلمية : ص٢١٨.

(٣) **الكتاب المقدس**، إنجيل لوقا : ٤٧/١٢.

وإن سقط هو عليهم سحقهم. ولا ينطبق على عيسى عليه السلام لأنـه كـان مستـضعفاً أمـام قومه[١].

الثالث: قال ﷺ: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنه في زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البناء فيقولون: ألا وضعت هنا لبنة فيتم البناء؟ قال ﷺ: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين)[٢].

بشارة إنجيل لوقا:

ورد في إنجيل لوقا الإصحاح الثاني(المجد لله في الأعالي وعلى الأرض الإسلام وللناس أحمد)[٣].

ذكر صاحب (**الإنجيل والصليب** أن النص في إنجيل لوقا هكذا ولكن المترجمين للإنجيل ذكروا:

(الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة).

مؤلف الكتاب يرى أن الترجمة الصحيحة ما ذكره هو.

يقول المؤلف: إن ثمة كلمتين وردتا في اللغة الأصلية لم يدرك أحد ما تحتويان عليه من المعاني تماماً، فلم تترجم هاتان الكلمتان، كما يجب في الترجمة القديمة من السريانية، هاتان الكلمتان هما:

أيرني – التي يترجمونها : السلامة.

و: أيودكيا – التي يترجمونها : حسن الرضا.

ولكن مؤلف كتاب **الإنجيل والصليب** الأب عبد الأحد الأشوري يرى أن ترجمة الكلمة الأولى الصحيحة هي (إسلام) فيقول: ومن المعلوم أن لفظ (إسلام) يفيد معاني واسعة جداً ويشتمل على ما تشتمله عليه ألفاظ (السلام، الصلح، المسالمة، المن، الراحة).

وعلى هذا فالترجمة لا تنطبق على رسالة المسيح، كما يرى الأب عبد الأحد الأشوري أن كلمة (أيودكيا) بمعنى أحمد لاكما يترجمها القسس، لأنه لا يقال في اليونانية (الحسن الرضا) (أيودكيا) بل قال (ثليما)، ويقول إن كلمة (دكوئه) هي بمعنى (الحمد، الاستشهاد، الرغبة،

---

(١) رحمة الله الهندي، **إظهار الحق**، ج٢، ص ٢٢٨.

(٢) ابن حجر فتح الباري كتاب المناقب باب خاتم النبيين حديث رقـم ٣٥٣٥. **فـتح البـاري شـرح صـحيح البخاري**،ج٦، ص٦٨٣.
وأخرجه **مسلم في الصحيح**، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه عليه السلام خاتم النبيين، حديث رقـم ٥٩٢٠، **صحيح مسلم بشرح النووي**،ج ١٧،ص٥١.

(٣) **الكتاب المقدس** : إنجيل لوقا: ١٣/٢.

الشوق، بيان الفكر)، ويقول إنهم يترجمون (محمد يتو) في أشيعاء، بأندوكسا هيمون، ويترجمون الصفات منها (محمد، أحمد، أمجد) لـ المسرة.

وبهذا التحقيق القيم يتوصل إلى أن الترجمة الصحيحة هي ما ذكره [١].

بشارات إنجيل يوحنا:

ورد في إصحاحات مختلفة من هذا الإنجيل ما يثبت نبوته ﷺ، منها في الإصحاح الرابع عشر:

(إن كنتم تُحبونني فاحفظوا وصاياي وأن أطلب من الأب فيعطيكُم معزياً آخر، ليمكث معكم إلى الأبد الذي سيرسلُه الأب باسمي فهو يعلمكم كُلّ شيء ويذكركم بكل ما قلتُه لكم... وقد قلت لكم الآن قبل أن يكون حتى كان تؤمنون لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء) [٢].

وفي الإصحاح الخامس عشر (ومتى جاء المُعزي الذي سأرسِلُه أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي) [٣].

وفي الإصحاح السادس عشر: (لكنني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، لكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ... إن لي أموراً كثيرةً أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك الروح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم) [٤].

وفي طبعة قديمة، (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد) هكذا جاء النص الأول.

أما النص الثاني: فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق من الأب ينبثق وهو يشهد لأجلي.

أما النص الثالث فجاء كما يأتي: (لكني أقول لكم الحق انه خير لكم أن انطلق لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم فإذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطية وعلى بر وعلى حكم).

---

(١) الأب عبد الأحد داود (١٩٩٧م)، **محمد عليه السلام كما ورد في كتاب اليهود والنصارى**(ط١)، ترجمة محمد فاروق الزين، الرياض: مكتبة العبيكان : ص١٣٧-١٤٨.

(٢) **الكتاب المقدس** إنجيل يوحنا :١٥/١٤، ٣١،٢٥،٣٠.

(٣) المصدر نفسه، إنجيل يوحنا: ٢٦/١٥.

(٤) **الكتاب المقدس**، إنجيل متى: ١٤،١٣،١٢،٦/١٦.

تضمنت هذه النصوص البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أن كل ما فيها من صفات تَصدقُ عليه صلى الله عليه وسلم وإن لم تصرح بالإسم كما في الطبعات القديمة التي أشارت إلى الاسم بلفظ الفارقليط والتي معناها أحمد، إن عيسى عليه السلام ذكر اسم النبي ﷺ باللغة العبرية، وترجمة يوحنا كاتب الإنجيل إلى اليونانية يلفظ بيركليتوس، لأن من العادة أهل الكتاب ترجمة الأسماء، ثم أن هذا اللفظ اليوناني عرب بلفظ الفارقليط.

يقول الشيخ رحمة الله الهندي رحمة الله : (إن عيسى عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني لا باليوناني، فإذاً لا يبقى شك في أن كاتب الإنجيل الرابع ترجم الاسم المبشر به باليوناني بحسب عاداتهم، ثم مترجمو العربية عربوا اللفظ اليوناني بفارقليط)[(١)].

جاء في (الأجوبة الفاخرة)[(٢)] (والفارقليط عند النصارى الحماد وقيل :الحامد وجمهورهم أنه المخلص)، وجاء في هداية الحياري[(٣)]: (الفارقليط بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد أما أحمد أو محمد أو محمود ونحو ذلك وهو في الإنجيل الحبشي"بن نعطيس".... والدليل عليه قول يوشع: من عمل حسنة يكون له بارقليط جيد أي حمد جيد).

وورد في سيرة ابن هشام (فلو قد جاء المنحمنا هو الذي يرسله الله إليكم من عند الرب، روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد علي وأنتم أيضاً).

والمنحمنا بالسريانية محمد، وهو بالرومية البرقليطس[(٤)].

وقد اختلف في معنى الفارقليط على أقوال عدة، فقيل: أن معناه الحماد، وقيل أنه الحامد كما تقدم، وقال بعضهم المخلص وآخرون قالوا أن المعزي[(٥)].

---

(١) رحمة الله الهندي **إظهار الحق: ج** ٢،ص٢٣١.

(٢) القراقي، أحمد بن إدريس المالكي القرافي (ت٦٨٤هـ)، **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة**، ط١ (تحقيق بكر عوض)، ١٩٨٦م، ص ٤١٨، وانظر الأب عبدالأحد داود، **محمد عليه السلام كما ورد في كتاب اليهود والنصارى**: ص ١٩٥-٢٠٤.

(٣) ابن القيم الجوزي، **هداية الحياري** :ص ٦٧.

(٤) ابن هشام، **سيرة النبي** :ج١، ص٢٥١، وانظر القاضي عياض بن موسى اليحصبي، **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى**، (تحقيق محمد أمين قرة علي وآخرون)، مكتبة الفارابي،دمشق،ج ٢، ص٤٥٦.

(٥) ابن تيمه، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**،ج٥، ص٢٨٧، ٢٨٨، انظر ابن القيم، **هداية الحياري**: ص ٦٨. ولإستيعاب معاني الفارقليط انظر: لابن الحزم، **الفصل في الملل والنحل**،و لرحمة الله الهندي **إظهار الحق**، وانظر للمهدي عبد الله الترجمان(القس الكاثوليكي الأندلسي ا نسلموتور ميدا) كتابه (**تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب**) حققه ونشره الدكتور محمود حماية بالقاهرة الطبعة الثانية دار المعارف وانظر الدراسة القيمة التي كتبها الباحث الفرنسي المعاصر الدكتور (موريس بوكاي) بعنوان:**الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، وانظر القاضي عياض، **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى**،ج٢، ص٤٥٦.

ويزعم النصارى أن المراد بالمعزي هو الروح النازل على التلاميذ يوم الدار في اليوم الخمسين من رفع المسيح عليه السلام[(١)]، فقد جاء في سفر أعمال الرسل الإصحاح الثاني: (ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتةً من السماء صوتٌ كما من هبوب ريحٍ عاصفةٍ وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنةٌ منقسمةٌ كأنها من نارٍ واستقرتً على كل واحد وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا)[(٢)].

وهذا قول باطل ظاهر البطلان، لأن الصفات الواردة في هذه النصوص لا تصرف على الروح، وإنما تَصدقُ على نبي يبعثه الله من البشر، لأن هذه الروح نزلت على الأنبياء قبل المسيح عليه السلام وبعده، ولم تكن موصوفة بهذه الصفات ولم يسم أحد هذه الروح فارقليط أو معزياً [(٣)]. وقال ﷺ في بيان الروح القدس لحسان بن ثابت[(٤)] لما كان يهجو الكفار، وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول لحسان بن ثابت: (أجب عني اللهم أيده بروح القدس)[(٥)].

وحديث الصحيحين عن البراء بن عازب يوضح أن المراد بروح القدس هو جبريل عليه السلام حيث قال عليه السلام: (اهجهم أو هاجهم وجبريل معك)[(٦)].

يقول ابن حجر: والغرض من ذكر حديث البراء بن عازب الإشارة إلى أن المراد بروح القدس في الحديث المذكور هو جبريل عليه الصلاة والسلام[(٧)].

ونذكر الآن تحليلاً لنصوص تلك البشارات ليتضح لنا أنها لا تنطبق إلا على النبي صلى الله عليه وسلم، ففي قوله :(إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي) لفت لأنظارهم إلى أن ما

---

(١) ابن تيمية، **الجواب الصحيح**:ج ٥،ص٢٨٩، وانظر: ابن القيم، **هداية الحيارى**: ص ٦٨.

(٢) **الكتاب المقدس**، أعمال الرسل : ٢/ ١،٢.

(٣) ابن تيمية، **الجواب الصحيح**، ج٥، ص٢٩٠ وانظر: ابن القيم، **هداية الحيارى** : ص٦٨.

(٤) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، شاعر رسول الله ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش في الجاهلية ٦٠ سنة ومثلها في الإسلام وعمي قبل وفاته، مات- رضي الله عنه- بالمدينة المنورة سنة ٥٤هـ، انظر: الذهبي،محمد بن أحمد بن عثمان، (١٣٧٤هـ) **سير أعلام النبلاء**، ط١، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م : ٥٢/٣. وانظر ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد (ت:٨٥٢هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط١، دار العلوم الحديثة :ج١، ص ٣٢

(٥) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم ٣٢١٢، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ج٦،ص٣٦٦ وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان رضي الله عنه، برقم ٦٣٣٤ **صحيح مسلم بشرح النووي**: ج١٥،ص٢٦٢.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، برقم ٤١٣٢، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**،ج٧،ص٥١٩، وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان، برقم، ٦٣٣٧ **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج١٥،ص٢٦٣.

(٧) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم، ٣٢١٣ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**،ج ٦ص ٣٧٣.

سيخبرهم به من الأهمية بمكان حتى يحفظوا ما يقول، فقال: (وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر أو فارقليط آخر) ففي قوله هذا إشارة إلى أن الآتي مثل المسيح عليه السلام لأن قوله آخر يدل على أنه ثانٍ لأول كان قبله[1].

ثم قال : (ليمكث معكم إلى الأبد) ليس المراد بقاءه معهم بذاته وإنما بقاء شرعه، وهذا يدل على أن النبي الآتي صاحب شريعة خالدة مستمرة لا تنسخ وهذا لا يصدق إلى على نبي الإسلام وشريعة الإسلام).

وقوله: (وهو يعلمكم كل شيء" هذا لا ينطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان يعلم أصحابه كل شيء فلم يترك صغيرةً ولا كبيرةً فيما يحقق لهم السعادة الدنيوية والأخروية إلا ذكرها لهم قال تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [2].

وقوله: (ويذكركم كل ما قلته لكم" وهذا يؤكد بطلان ما ادعاه النصارى من أن المراد بالمعزي الروح القدس، لأنه لم يثبت في رسالة من رسائل العهد الجديد أن التلاميذ كانوا قد نسوا شيئاً مما قاله المسيح لهم، وإن الروح القدس من ذكرهم به، ثم إن الصفات الواردة في النصوص لا تَصدقُ على الروح، وإنما تصدق على نبي يبعثه الله من البشر لأن هذه الروح نزلت على الأنبياء قبل المسيح عليه السلام وبعده، ولم تكن موصولة بهذه الصفات ولم يسم أحد هذه الروح فارقليط أو معزياً).

وقوله: (وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون" وهذا يؤكد أيضاً إن الذي سيأتي بعد عيسى عليه السلام هو رسول من البشر وليس الروح القدس لأن التلاميذ مؤمنون به، وهو مؤشر صادق على النبي المبشر به وهو ﷺ، ولكن عيسى عليه السلام يعلم بالتجربة أن الكثيرين من أمته سينكرون النبي المبشر به عند بعثته، لذلك أكد عليهم بقوله هذا حتى يؤمنوا به ويصدقوه، ومعلوم أنه لم يظهر نبي بعد عيسى عليه السلام إلا محمد عليه الصلاة و السلام فيكون هو المقصود في قوله عليه السلام).

وقوله: (أن رئيس العالم يأتي وليس له في شيء)، المقصود برئيس العالم هو سيد العالم وعظيمه وهنا لا ينطبق إلا على محمد ﷺ وهو مطابق لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام: (أنا سيد ولد آدم) [3].

---

(١) ابن تيميه، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ج** ٥، ص٢٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) أخرجه **مسلم في صحيحه**،كتاب الفضائل، باب :تفـضيل نبينـا عليـه الـسلام علـى جميـع الخلائـق، برقم:٥٨٩٩، **صحيح مسلم بشرح النووي**: ج١٥،ص٣٩.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه: (فمعلوم بإتفاق أهل الأرض أنه لم يأت بعد المسيح عليه السلام من ساد العالم باطناً وظاهراً، وانقادت له القلوب والأجساد، أحد غير محمد ﷺ[١] والمقصود من قوله:" ليس في شيء" أي أن الأمر كله لله ولا يستطيع أحد أن يغير ما يريد سبحانه.

ويقول الإمام ابن القيم :" وفي قول المسيح عليه السلام في هذه البشارة "وليس لي شيء" إشارة إلى التوحيد وأن الأمر كله لله، فتضمنت هذه البشارة أصلي الدين إثبات التوحيد وإثبات النبوة"[٢].

وفي قوله: (روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي"، فوصفه ﷺ بأنه روح الحق، أي النبي الحق الذي شهد له شهادة سمع بها الناس عامة، شهد بصدقه وأنه رسول من عند الله ونزهه عما افتراه عليه اليهود وما غلت فيه النصارى وأنه بريء من كفرهم وضلالاتهم وبرء أمه من تهمة الزنا التي كان يلصقها بها اليهود في مواضع متعددة في القرآن الكريم، وهذا القول يؤكد بطلان ادعاء النصارى بأن المعزى هو الروح لأنها لم تشهد له بين يدي أحد من المنكرين، ثم أن التلاميذ ليسوا بحاجة إلى شهادة في المسيح لأنهم كانوا يعرفونه ويؤمنون به، وفي قوله: "يبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة).

أي يوبخ العالم على الخطيئة، ولم يوجد أحد بعد عيسى عليه السلام وبخ العالم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان وأمرهم بالبر والتقوى إلا محمد صلى الله عليه وسلم[٣].

ويقول الشيخ رحمة الله الهندي: (فهنا النص بمنزلة النص الجلي لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه وبخ العالم لا سيما اليهود على عدم إيمانهم بعيسى عليه السلام توبيخاً لا يشك فيه إلا معاند)[٤].

إلا أن القسيس رانكين يحاول أن ينكر وجود لفظ التوبيخ في الأناجيل لتيقنه بانطباق هذه الصفة على محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول:(إن لفظ التوبيخ لا يوجد في الإنجيل ولا في ترجمة من تراجم الإنجيل، وهذا المستَدِلْ أورد هذا اللفظ ليصدق على محمد صدقاً بيناً لأجل أن محمداً ﷺ وبخ وهدد كثيراً، إلا أن مثل هذا التغليظ ليس من شأن المؤمنين والخائفين من الله)[٥]! وكلامه مردود عليه.

---

(١) ابن تيميه، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: ج ٥، ص ٣٠٥.
(٢) ابن القيم، **هداية الحيارى:** ص ٧٧.
(٣) ابن القيم، **هداية الحيارى**: ص ٧٧ .
(٤) رحمة الله الهندي، **إظهار الحق** :ج٢، ص ٢٣٦.
(٥) المصدر نفسه :ج ٢،ص٢٣٦.

وهذا القول أيضاً يؤكد أن الروح ليست هي المقصودة، لأنه لم يثبت أنها وبخت أحداً من الناس.

وأما قوله :(إن لي أموراً كثيرةً أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن) ففيه إشارة إلى المستوى الذي كان عليه أتباعه ﷺ حيث إنهم لم يصلوا إلى الدرجة التي يستطيعون أن يفهموا كل شيء نظراً لهبوط المستوى الفكري عندهم، ولهذا كانت شريعة مجملة، وبخاصة فيما يتعلق بصفات الله واليوم الآخر، وهذا من رحمة الله بالبشرية، ولكن عندما وصلت البشرية إلى مرحلة القدرة على الإستيعاب للشرع الجديد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ الذي أتي بشريعة كاملة مفصلة مبينة لكل شيء.

ثم قال: (وأما متى جاء ذاك الروح الحق يرشدكم إلى جميع الحق)، وهذا أظهر في صدقه على محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي أرشد الناس إلى جميع الحق، فقد أكمل الله به الدين لأنه خاتم النبيين.

وقال أيضاً:(لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به" هذا الواضح في انطباقه عليه صلى الله عليه وسلم لأنه لا يتكلم من نفسه، بل تكلم بما يسمع به، وهنا في هذا إشارة إلى أن كل ما يتكلم به وحي من الله يسمعه، ولم يتعلمه من أحد من الناس، وهذا يطابق ما ورد في القرآن من وصف الرسول عليه السلام "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى".

وقال أيضاً: (ويخبركم بأمور آتية" وهو لا ينطبق إلا على رسول الله ﷺ لأنه أخبر بالكثير من أمور الغيب وجاءت الحوادث طبقاً لما أخبر به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه: (ولا يوجد مثل هذا قط عن أحد من الأنبياء قبل محمد ﷺ" فضلاً عن أن يوجد شيء نزل على قلب بعض الحواريين) [١].

ويستفاد من نصوص إنجيل يوحنا هذه الحقائق الآتية عن النبي الخاتم وأنه محمد صـلى الله عليه وسلم، لكونه

- يأتي على أثر اختتام رسالة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.
- يعزى ويرشد جماعة المؤمنين من إتباع المسيح (البارقليط).
- ولأن أفعاله وأقواله وخصاله تنبئ أنه The praised one.
- ولأنه الصادق الأمين.
- ولأنه يتلقى الوحي مباشرة من الله تعالى.

---

(١) ابن تيميه، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** :ج٥، ص٢٩٦.

- ولأن رسالته خالدة أبدية.
- ولأنه يرشد إلى الحق جميع الأمم.

ولأنه يدافع عن المسيح عيسى ابن مريم وأمه (ذاك يمجدني) ويدفع عنها الشبهات[١].

بشارات إنجيل برنابا [٢]

برنابا قديس من قديسي النصارى ورسول من رسلهم الممتلئين بـروح القـدس حـسب زعمهم المبشرين بالدين المسيحي في البلاد، صرح بذلك في سفر أعمال الرسل؛ فقد جـاء فـي الإصحاح الحادي عشر: (فسمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أُروشليم فأرسـلوا برنابـا لكي يجتاز إلى إنطاكية لما أتى ورأى نِعمة الله فَرح بها ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان) [٣]

وقد شهد التاريخ أن لهذا القديس إنجيلاً عرف باسمه كـان مـشهورا ومنتـشرا بـين المسيحيين في العهد الأول قبل ظهور الإسلام بمئات السنين، إلا أن الكنيسة أصـدرت قـراراً بتحريم قرأته وتداوله لمخالفته الصريحة للعقائد الفاسدة التي تبنتها.

يقول الأستاذ إبراهيم خليل أحمد:(إلا أن الأمر البابوي الذي أصدره البابا جـلا سـيوس الذي جلس على الأريكة البابوية سنة (٤٩٢م) يبين أسماء الكتب المنهي عـن مطالعتهـا وفـي عدادها كتاب يسمى إنجيل برنابا وفي هذا دليل قاطع على أن هذا الإنجيل كان موجـوداً قبـل ظهور الإسلام) [٤].

ثم إن الإكتشافات الحديثة تؤيد هذا الإنجيل، يقول الدكتور تشارلس فرنسيس بوتر فـي كتابه "السنون المفقودة من عيسى تكشف": (أن إنجيلاً يدعى برنابا إستبعدته الكنيسة في عهـدها الأول والمخطوطات التي أُكْتُشِفَت حديثاً في البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الإنجيل) [٥].

---

(١) المتطبب، نصر بن يحيى عيسى بن سعيد، **النصيحة الايمانية في نصيحة الملة النصرانية**، ط١،(تحقيـق محمد عبد الله الشرقاوي)، دار الصحوة، القاهرة، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦): ص١٣٩.

(٢) تناول الدكتور محمد الحاج في كتابه **النصرانية من التوحيد إلى التثليث** إنجيل برنابـا (حياتـه وظهـوره وترجمته وما فيه من أدله على بشرية المسيح ص:٢٨١ -٣٠٥، وانظر **مقدمة إنجيل برنابا** ترجمة د.خليل سعادة، القاهرة، ١٣٢٦ه-١٩٠٨م، وانظر:**إنجيل برنابا دراسات حول وحدة الدين عند موسـى وعيـسى** ومحمد(عليهم السلام)،(١٩٨٣م)، تحقيق: سيف الله فاضل، (ط٢)، الكويت: دار القلم.

(٣) **الكتاب المقدس**، سفر أعمال الرسل: ٢٢/١١-٢٤.

(٤) إبراهيم خليل أحمد،**محمد عليه السلام في التوراة والإنجيل والقرآن**(ط٥)، الريـاض: مكتبـة الـوعي العربي: ص ١٩٥

(٥) إبراهيم خليل أحمد،**محمد عليه السلام في التوراة والإنجيل والقرآن**، ١٤١، وانظر **إنجيل برنابا دراسـات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليم** السلام، سيف الله أحمد فاضل .

وقد عثر على نسخة من هذا الإنجيل في مطلع القرن الثـامن عـشر مكتـوب باللغـة الايطالية على يد مستشار ملك بروسيا كريمر الذي أهداها إلى البرنس يوجين سافوى لما لها من أهمية تاريخية[١].

ثم إن الراهب فرامينو تمكن من إختلاسها من مكتبة البابا ستكس الخامس، ومن ثم شاع خبر هذه النسخة في الأوساط الأوروبية، مما أحدث هزه عنيفة في أندية الدين والعالم، وبدلاً من أن تحاسب الكنيسة نفسها وتثوب إلى رشدها تنكرت لهـذه النـسخة مـن الإنجيـل وألـصقتها بالمسلمين، وهذا أمر مردود عليها لأن النسخة المكتشفة وجدت في جو مسيحي خـالص، فـلا يمكن أن تكون مدخولة عليهم[٢].

يقول الشيخ أبو زهرة رحمة الله: (وإن من ينحله للمسلمين كمن يحمل في يده شيئاً يظن في حمله اتهاما له، فيسند ملكيته إلى غيره نفياً للتهمة عن نفسه، فهل يقبل ذلك النفي من غيـر حجة ولا دليل)[٣]. إنه لم يرد ذكر لهذا الإنجيل في كتابات مشاهير الكتّاب المسلمين سواء فـي الأعصر القديمة أو الحديثة حتى ولا في مؤلفات من انقطع منهم إلى الأبحاث والمجادلات الدينية مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم في مثل تلك المناقشات، وليس ذلك فقط بل لم يـرد ذكـر لهذا الإنجيل في فهارس الكتب العربية القديمة عند الأعارب أو الأعاجم أو المستشرقين الـذين وضعوا فهارس لأندر الكتب العربية من قديمة وحديثة[٤].

ومن بشاراته:أن الكنيسة تُحرم قراءة هذا الإنجيل، ولا تعترف به ؛لأنه يقوم على أُسس تخالف عقائد الكنيسة تماماً، فهو ينكر ألوهية المسيح عليه السلام وأنه ابن الله، ويقول هو عبـد الله ورسوله، وينكر الصليب، ويورد اسم محمد صلى الله عليه وسلم صراحة فـي كثيـر مـن المواطن، ومن ذلك على سبيل المثال: (ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم، صدقوني إني رأيته وقدمت له الاحترام، كما رآه كل نبي، لأن الله يعطيهم روحه، ولما رأيته امـتلأت عـزاء قائلاً: يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلاً أن أحـل سير حذائك، لأني إذا نلت هـذا صـرت نبياً عظيماً وقدوس الله)[٥].

---

(١) مقدمة المترجم، (خليل سعادة) :ص ٢٠.
(٢) فاضل صالح السامرائي، **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**:ص ٣٠٦ .بتصرف.
(٣) محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية** : ص٧٤.
(٤) د. خليل سعادة، **مقدمة انجيل برنابا**، مكتبة المنار، المقدمة: ص:ط.
(٥) **مقدمة إنجيل برنابا**، انجيل برنابا: ٤٤ / ٦٩.

وفي الإصحاح الرابع والخمسين يتكلم عن يوم الحشر إلى أن يقول: (ثم يحيى الله بعـد ذلك سائر الأصفياء الذين يصرخون: اذكرنا يا محمد)[١]. وفي " ٣٩: ٥٨ فلما انبعث آدم علـى قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها: لا إله إلا الله ومحمد رسول الله"[٢].

المبحث الخامس: ترقب شخصيات نصرانية لبعثة الرسول ﷺ

إن المجتمع الإنساني في شبه جزيرة العرب وما حوله من مجتمعات لم يكن غافلاً عـن مستقبل يوم ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم؛إذ إن المتتبع لقصص السيرة النبوية وكتب الـسنة النبوية المطهرة يتبين أن الله جلت قدرته قد هيأ مبشرات لتلك المجتمعات بحقيقـة يـوم النبـوة الأخيرة وملأ الجو الإنساني بأنبائه المستقبلية.

- ترقب أهل الكتاب في جزيرة العرب وخارجها لبعثة الرسول ﷺ

يروي الإمام ابن القيم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كانت يهـود بنـي قريظـة والنظير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي عليه السلام عنـدهم قبـل أن يبعـث، وأن هجرتـه بالمدينة، فلما ولد رسول الله عليه السلام قالت يهود:ولد أحمد الليلة، هذا الكوكب قد طلع، فلمـا تنبأ قالوا: تنبأ أحمد، قد طلع الكوكب، كانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويـصفونه،فما مـنعهم إلا الحسد والبغي) [٣].

فكانت هناك إرهاصات وعلامات بدت في جميع مستويات الأمة وعلى مراحـل مـن الزمن حتى إشراقة مولده السعيد، وكانت البيئة في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة، وفي بلاد الشام، وفـي بلاد الروم، والحبشة، والعراق في انتظار قدوم نبي آخر الزمـان حامـل رسـالة السماء الخاتمـة وقلادة عقدها الأخير، يدعو إليها جميع الأمم بعد أن كانت الرسالات من قبلـه رسالات قوميـة، وهكذا شاء الله تعالى أن يهيئ المجتمع الإنساني بأخبار هذا النبي، وصـفاته واسمه، وبلـده، حتى لا يكون فجأة في ظهوره، بل تكون النفوس والأفئـدة مهيـأة، لإسـتقباله والقصص في كتب السيرة النبوية عن ذلك كثيرة، وقد ترقب شخصيات عدة بعثة الرسول عليه السلام، منها:

---

(١) **مقدمة إنجيل برنابا**، انجيل برنابا : ٥٤ / ٨٤.
(٢) المصدر نفسه: ٣٩ / ٥٨.
(٣) ابن القيم الجوزية، **هداية الحيارى في أجوبة النصارى**: ص ١١١

- ورقة بن نوفل

ومن الشخصيات التي كانت تترقب بعثة الرسول ﷺ ورقة بن نوفل ابـن عـم خديجـة رضي الله عنها يقول ابن هشام[(١)] في هذا الإطار :" إنطلقت خديجة (رضي الله عنها) إلى ابـن عمها ورقة بن نوفل[(٢)] الذي كان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهـل التـوراة والإنجيـل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ فقال ورقة: (قدوس، قدوس، والذي نفس ورقة بيـده لـئن

---

(١) ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام** :ج١ص٢٥٦، **فتح الباري**، ابن حجر : ج١،ص٣٤.وانظر الطبـري، **تاريخ الأمم والملوك**: ج٢ص٥٣٣،وانظر ابن سعد، **الطبقات** : ج١ص٩٤

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، حكيم جاهلي من قريش إعتزل الأوثان قبل الإسلام وامتنع عن أكـل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان، وأدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة وهو ابن عـم خديجـة بنت خويلد، أم المؤمنين وكان يكتب العربية بحرف العبراني ولورقة شعر سلك فيه مسلك الحكماء، ومـن المؤرخين من يعده في الصحابة، قال البغدادي:" ألف أبو الحسن برهان الدين إبراهيم تأليفاً في إيمان ورقة بالنبي عليه السلام وصحبته له سماه" بذل النصح والشفقة، للتعريف بصحبة السيد ورقة " .وفـي وفاتـه روايتان: إحداها الراجحة، وهي في حديث البخاري، قال:" ثم لم ينشب ورقة أن توفي" يعني في بدء الوحي بقليل؛ والثانية عن عروة بن الزبير، قال في خبر تعذيب بلال، كانوا يعذبونه برمضاء مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك، فيقول أحد أحد فمر به ورقة، وهو على تلك الحال، فيقول: أحد، أحد، يا بلال" وهذا يعني أنه أدرك اسلام بلال وعالج ابن حجر (في الإصابة) التوفيق بين الروايتين، فلم يأت بشيء.

انظر: البيهقي، **دلائل النبوة**، ج٢،ص١٢١، وانظر ابن الأثيـر،**أسـد الغابـة فـي معرفـة الـصحابة** : ج٤،ص٦٧١.

وانظر الهيثمي نور الدين علي بن أحمد بن أبي بكر بن سليمان (ت:٨٠٧هـ)،**مجمـع الزوائـد ومنبـع الفوائد** ط١، (تحقيق محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيـروت ١٤٢٢هـ ـ-٢٠٠١م ٥١٢/٩ حديث رقم(١٦١٧٥) :ج٩،ص٥١٢.

وانظر بن خلدون، عبد الرحمن، (ت:٨٠٨هـ) **تاريخ ابـن خلـدون** ط٣ دار الكتـب العلميـة،بيروت ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م :ج٣٩٣/٢، ابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر(ت:٧٧٤ه)**البداية والنهايـة**،ط٢م٨ مكتبة المعارف،بيروت، ١٤١١ه، في مواضع مختلفة:٣/٢٣٩،٣/٢-١٦، ١٧/٣ ابـن حجـر **الإصـابة**: ج٣،ص٥٩٧، الساعاتي،أحمد عبدالرحمن البنا، **الفتح الرباني لترتيب مسند أحمـد**، دار شـهاب،القاهرة: ج٧،ص٢١٨ وما بعدها.

قلت: والشاهد في الحديث هو بيان ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم- وأنه لو أدركـه وهـو نبي لجاهد معه أعداءه، وأن ينصره نصراً قوياً مؤزراً وفي هذا دليل على معرفة ورقة لنبينا بما قرأه فـي توراة موسى وإنجيل عيسى عليهما السلام الذي كان ينزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي من الله تعالى.

يقول الحافظ ابن حجر في **فتح الباري،ج** ١،ص٣٤ قوله:(تنصر) أي صار نصرانياً وكان قد خـرج هـو وزيد بن عمرو بن نفيل لما كرها عبادة الأوثان إلى الشام وغيرها يسألون عن الدين، فأما ورقة فأعجبـه دين النصرانية فتنصر، وكان لقي من بقي من الرهبان على دين عيسى ولم يبدل، ولهذا أخبر بشأن النبـي عليه السلام والبشارة به إلى غير ذلك، وأسلم ورقة بن نوفل وتمنى أن يكون جذعاً إذ يخـرج رسـول الله عليه السلام-قومه.

قلت: مما يؤيد أن ورقة بن نوفل مات على الإسلام ما جاء في الحديث الذي روتـه أم المـؤمنين عائـشة رضى الله عنها أن رسول الله عليه السلام قال: (لا تسبوا ورقة، فإني رأيت له جنة أو جنتـين) أخرجـه الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري(ت:٤٠٥هـ) **المستدرك على الصحيحين**ط٢، (تحقيق مصطفى عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت،(٢٠٠٢) :ج٢،ص٦٠٩ من طريق أبي سعيد الاشج ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. ومن هذا دليل أن هناك بـشارات وردت فـي الكتـاب المقـدس يعرفهـا ورقـة.أنظـر:أحمـد عبـدالرحمن البنـا،**الفـتح الرباني**،ج٢٢،ص١٧٤(دار إحياء التراث).

كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر [١] الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة. فقولي له فليثبت) فرجعت خديجة وأخبرت محمداً بما قاله ورقة. فذهب بنفسه إليه وطلب ورقة منه أن يعيد حديثه، فلما أتمه ﷺ قال ورقة : (والذي نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن! ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصر الله نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه، ثم عاد الرسول ﷺ إلى منزله[٢].

ومن المعلوم أن ورقة كان قد تنصر في الجاهلية يقول البخاري" وكان إمرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل"[٣].

- الراهب بحيرا ونسطور

وكذلك لا ننسى قصة الراهب بحيرا مع أبي طالب التي تتضمن إشارات بحيرا لبعثه الرسول ﷺ وترقبه لذلك،.. وكان الراهب بحيرا قد رأى في صومعته في رؤياه أن رسول الله ﷺ قد جاء في ركب وقد أظلته غمامة، وصنع طعاماً لمعشر قريش وكان سابقاً لا يلتفت إليهم، وهم يمرون به، ودعاهم إليه، فتخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لحداثة سنه، فقال الراهب: لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي، فأخبروه بتخلف الغلام أي النبي صلى الله عليه وسلم، فأتوا به، وكان يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده، وبعد فراغه من الطعام دعا به، واستحلفه باللات والعزى، لأنه سمع قومه يحلفون بها، فقال له: لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرا : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: سلني ما بدى لك، وأخذ يسأله عن حاله في نومه وهيأته وأموره فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، فلما فرغ، أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني . قال له بحيرا: ما هو بابنك،وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا .قال: فإنه ابن أخي.قال: فما فعل أبوه؟ قال:مات وأمه حبلى به. قال: صدقت، فارجع

---

(١) الناموس الأكبر: الملك الذي جاءه بالوحي وأصل الناموس صاحب سر الرجل في خيره وشره ،انظر: ابن هشام **سيرة النبي عليه السلام** ،ج ١،ص٢٥٦ وانظر **فتح الباري** إبن حجر، ج١،ص٣٥ باب بدء الوحي، وقد اشتهرت هذه الكلمة عند اليهود والنصارى ويعنون بها الشريعة ففي سفر الخروج ١٦ : ١١٣: (لكي أمتحنهم أيسلكون في ناموس أم لا) وفي إنجيل متى : ٥ : ٨ (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس) أو الأنبياء.وانظر: الفيرزآبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب (ت:٨١٧)،**القاموس المحيط**(رتبه:حسان عبد المنان)، دار الأفكار الدولية ٢٠٠٤م ص،١٧٦١. وانظر :**قاموس الكتاب المقدس** :ص٩٧.

(٢) ابن هشام، **سيرة النبي** ﷺ، ج ١،ص٢٥٦ انظر الطبري **تاريخ الأمم والملوك**،ج ٢،ص٥٣٣ وانظر ابن سعد **الطبقات**، ج١،ص٩٤ وانظر **فتح الباري ابن حجر**:ج ١،ص٣٤

(٣) خرجه البخاري،كتاب بدء الوحي،باب٣، برقم ٣، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ج١، ص٣٤.

بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنـه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده(١).

ومن بشر به عليه السلام نسطور الراهب وذلك في سفره الثاني إلى الشام، فقد أخـرج ابن إسحاق والطبري أن رسول الله عليه السلام لما بلغ خمساً وعشرين سنة خـرج فـي مـال خديجة بنت خويلد مع غلام لها يقال له ميسرة إلى الشام، وأن رسول الله عليه السلام نزل فـي ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطّلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هـذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم،فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي(٢).

- في مجلس سيف بن ذي يزن

ولقد كانت تنبؤات المثقفين والمطلعين والرهبان وأحبار اليهود عن قدوم نبـي جديـد، تشحذ النفوس في مكة وتنتشر في أسواقها وتتفشى بين قُصادِها وحجيج البيـت العتيـق فيهـا، وكانت صفات النبي صلى الله عليه وسلم واسمه الكريم يتناقلها الملوك في بلاد الروم والحبشة.

ومما يدلل عن ترقب بعثة الرسول ﷺ في أماكن كثيرة وصلت أقصى الشمال وأقـصى الجنوب، ومن أقصى الجنوب ورد هذا الخبر: فقد روي أنه لما ذهبت القبائل العربيـة لتهنئـة حمير، أفضى سيف بن ذي يزن لعبد المطلب لما علمه من كتبه أن نبيا سوف يظهر في العرب، يضمن الزعامة لقريش إلى يوم القيامة" والخبر كما ورد في دلائل النبوة للبيهقي" أنه ذهب عبـد المطلب في وفد قريش، فتكلم بين يدي الملك بكلام سر به الملك فأنزلهم دار الضيافة، ثم أرسل إلى عبد المطلب وأسر إليه بحديث وأمره بكتمانه، وقال له: إني أجد في الكتاب المكنون والعلـم المخزون الذي ادخرناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا أنه إذا ولد في تهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الإمامة ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة، هذا حينه الذي يولد فيه، أو قد ولـد واسـمه محمد، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه، والله باعثه جهاراً وجاعل له منـا أنـصاراً، يعبـد الرحمن ويدحر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الأوثان ويأمر بالمعروف ويفعله وينهـى عـن المنكر ويبطله، ثم قال: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النُقب، إنك تجده يا عبـد المطلـب

---

(١) ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام** :ج١ص١٩٦

(٢) ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام**: ج١،ص٢٠٦، وانظر: الطبري، **تاريخ الطبري** :ج١،ص٥٢١، قـال السهيلي: قول الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي يريد: ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبـي، ولـم يرد:ما نزل تحتها قط إلا نبي لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك، والشجرة لا تُعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدري أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى، أو غيره من الأنبياء. **الروض الأنف** :ج٢،ص١٥٢.

غير ذي كذب، ثم قال: إني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق، أن يثرب استحكام أمره، وأهل نصره، وموضع قبره، وأمر أن يحتفظ به ويحذر اليهود، لأنهم له أعداء[١].

- بين زيد بن نفيل وراهب

كما نجد في الحوار الذي جرى بين زيد[٢] بن نفيل (وهو أحد الحنَفاء) [٣] فقد خرج يطلب دين إبراهيم وانتهى في بلاد الشام إلى راهب بميفعة [٤] أرض البلقاء [٥] ينتهي إليها علم النصرانية فيما يزعمون، فقال له... أنت تطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أطل زمان نبي يخرج من بلادك... فالحق به... [٦].

- بين سلمان الفارسي وراهب

وأما في قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه (الباحث عن الحق) ما يدلل على وجود شخصيات نصرانية كانت تنتظر بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يجدون ذلك في كتبهم، فسلمان رضي الله عنه وهو يتنقل من خدمة راهب لآخر حتى كان آخر الرهبان الذين خدم عندهم سلمان رضي الله عنه راهب عمورية، يقول سلمان رضي الله عنه في ذلك : (ولما حضرته الوفاة قلت له: فإلى من تُوصي بي وما تأمرني) قال: أي بني والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علاماتٌ لا تخفى يأكل الهدية

(١) أبو نعيم، **دلائل النبوة** :ص ٥٦-٦٠، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين(٤٥٨هـ)، **دلائل النبوة**، ط١، (خرج أحاديثه عبد المعطي قلعجي)، دار الريان القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج٢،ص٩، وانظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**: ج٢،ص٣٢٨.

(٢) زيد بن عمرو بن نوفل والد سعيد بن زيد وهو أحد المبشرين بالجنة وكان ممن خلع الأوثان والشرك، ويقول: خالفت قومي، واتبعت ملة إبراهيم وإسماعيل، وما كانا يعبدان، وأنا أنتظر نبياً من بني إسماعيل يبعث ولو أراني أدركه، فإني أؤمن به وأصدقه، وأشهد أنه نبي، ثم قال لعامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب: إن طالت بك حياة فأقرئه مني السلام، قال عامر: فلما أسلمت أعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بخبره، فرد عليه السلام، وترحم عليه، وقال : لقد رأيته في الجنة يسحب ذيولا" (ابن حجر **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ج ٧،ص١١٢، وانظر البيهقي، **دلائل النبوة**،ج ٢،ص١٢٠، الهيثمي، **مجمع الزوائد** :ج٩، ص٥١٤.

(٣) الحنفاء: هم طائفة من العرب في العصر الجاهلي كانت تشك في الدين الوثني، وكان عندها استعداد لفكرة الإله الواحد، ومنهم ورقة بن نوفل، وعبدالله بن جحش، وعثمان بن الحويرث،والحنفاء جمع حنيف، وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه، والحنِيف عند العرب:من كان على دين إبراهيم عليه السلام .انظر:ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**: ج١ص٤٣٤،وانظر الدكتور ياسين صلاواتي، **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة** :ج١ص١٥٧٨

(٤) بميفعة: أصل الميفعة المرتفع من البقاع، وفي بعض النسخ، بيفعة، بدون ميم والذي في القاموس يفع ويفاع بفتح أولهما بلا تاء، انظر، ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٨،ص٤١٤ .

(٥) البلقاء: كورة من أعمال دمشق قصبتها عمان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، انظر الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت (ت:٦٢٦هـ)، **معجم البلدان** ط١،طهران١٩٦٥م، ج١،ص٧٣٨.

(٦) ابن هشام، **سيرة النبي صلى الله عليه وسلم**، ج١،ص٢٥٠.

ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، قال: ثم مـات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث) [(١)].

وقد كانت البشارات، والإرهاصات، وحالة الترقب لنبي آخر الزمان، قد عمت أرجـاء بلاد العرب يسمعونها في الأسواق وفي صوامع الرهبان، فتمنى بعض الناس أن تكون النبوة في أولادهم، فسموا أبناءهم باسم محمد، فقد ورد عن خليفة بن عبدة المنقري أنه قال:" سألت محمد بن عدي كيف سماك أبوك محمداً؟ قال: أما إني سألت أبي عما سألتني عنه، فقال: خرجت رابع أربعة من بني تميم، أنا أحدهم ومجاشع بن دارم ويزيد بن عمرو بن ربيعه وأسامة بن مالك بن جندب نريد ابن جفنة العناني، فلما قدمنا الشام، نزلنا على غدير فيه شجرات وقربه ديـر وفيـه ديراني، فأشرف علينا، وقال: إن هذه اللغة ما هي لأهل هذا البلد؟ قلنا: نعم، نحـن قـوم مـن مضر. قال: من أي المضريين؟ قلنا: من خندق، قال: أما أنه سيبعث فيكم وشيكا نبي، فسارعوا إليه، وخذوا بحظكم منه ترشدوا؛ فإنه خاتم النبيين واسمه محمد، فلما انصرفنا من عند ابن جفنة، وصرنا إلى أهلنا، ولد لكل رجل منا غلام فسماه محمداً، وهؤلاء المتسمين باسم محمد وان كانوا قد عاصروا حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن أحداً منهم لم يزعم النبوة لنفسه، أو يدعيها له أحد من الناس فالله أعلم حيث يجعل رسالته"[(٢)].

ومع وضوح الأمر في تلك البشارات، وأنها لم تكن لغيره عليه الصلاة والـسلام فإنـه عليه الصلاة والسلام لم يعتمد عليها في تقديمه نفسه للناس، وإنما اكتفى بالقرآن الكريم وصريح نسبه، وسابق وصفه، وحاله بينهم، فإن تلك البشارات كانت فضلاً من الله حضِى به مـن سـلِم قلبه وصدقت وجهته، إذ العهد بهؤلاء أنهم يكتفون بالومضة عن البرق ويكون في كفايتهم الخبر اليقين. فعبد الله بن عمرو بن العاص الذي وجد صفة رسول الله عليه السلام فـي التـوراة: [(٣)]

---

(١) البيهقي، **دلائل النبوة**، ج٢،ص٣٧،٨٢، وانظر الذهبي، **سير أعلام النبلاء**،ج ٢،ص٢٣٣-٢٣٦، انظر ابن هشام، **سيرة النبي**،ج ١،ص٢٣٩، وانظر: الحلبي، علي بن إبراهيم (ت:١٠٤٤هـ)،**السيرة الحلبية**، ط٢، (ضبطه وصححه عبدالله الخليلي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ج ١،ص٢٧، وانظر الطبراني أبي القاسم سليمان بن احمد : (ت:٣٦٠هـ) **المعجم الكبير** ط٢، (تحقيق حمدي السلفي)، دائرة إحياء التراث وزارة الأوقاف العراقية، ١٤٠٥هـ-١٩٥٨م، حديث رقم: ٦٠٦٥ :ج٦،ص٢٧٢ والحديث حسن. والحديث ذكره **الهيثمي في مجمع الزوائد** :ج ٩،ص٤٠٩-٤١٣ وقال رواه أحمد كله **والطبراني في الكبير** بنحوه، بأسانيد رجالها رجال الصحيح.

(٢) الحلبي، **السيرة الحلبية**: ج ١،ص١١٩

(٣) الحديث: (عن عطاء بن يسار قال:لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص قلت : أخبرني عن صفة رسـول الله في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنـا أرسـلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتُك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سـخاب في الأسواق ولايدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عميا وآذاناً صما وقلوباً غلفا) .أخرجه البخاري كتاب البيـوع بـاب كراهيـة السخب في الأسواق حديث رقم:٢١٢٥، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ج٤،ص:٤٣٣.

تأخر إسلامه وإسلام أبيه عمن لم يجدها فقد أسلم أبوه عام ثمان من الهجرة مرافقاً لخالـد بـن الوليد[١].

وأسلم عبد الله قبله بقليل، فلم تغنه معرفته بأمر رسول الله عن حاجته وحاجـة أبيـه لفضل الله، ولم يكن كفر من كفر به عن جهل منه لقدر رسول الله عليه السلام، كما لم يكن إيمان من آمن به، لأنه عرفه وحسبه أن عرف، فالهدى فضلٌ يختص الله به من يـشاء: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[٢].

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء** :ج ٣،ص١٣٢.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٥.

الباب الثاني: معالم منهج الرسول ﷺ في دعوة نصارى عصره (دراسة عقدية)

الفصل الأول: الأسس التي اعتمدها رسول الله ﷺ في دعوة نصارى عصره

المبحث الأول: اعتماد الحوار والجدال بالحسنى

- المطلب الأول: أساليب حوار النصارى في القرآن الكريم
- المطلب الثاني: حوار جعفر مع النجاشي
- المطلب الثالث: حوار الرسول ﷺ مع وفد نجران

المبحث الثاني: حرية الاعتقاد

- المطلب الأول:الحرية الدينية لوفد نجران
- المطلب الثاني: الحرية الدينية التي أعطاها عمر لأهل بيت المقدس
- المطلب الثالث: الحرية الدينية التي أعطاها عمرو بن العاص للقبط

المبحث الثالث: التسامح واحترام إنسانية الإنسان

الفصل الأول: الأسس التي اعتمدها رسول الله ﷺ في دعوة نصارى عصره

المبحث الأول: اعتماد الحوار معهم والجدال بالحسنى

الحوار

الحوار لغة : من حاور وتحاوروا، أي تراجعوا الكلام فيما بينهم والحوار حديث يجري بين شخصين أو أكثر(١).

ويعرف اصطلاحا بأنه: "أن يتناول الحديث طرفان فأكثر عن طريق السؤال والجـواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفا"(٢).

ولقد وردت لفظة الحوار في القرآن الكريم في مواضع متعددة منها قوله تعالى في قصة أصحاب الجنتين: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾(٣) كمـا ورد لفظ الجدال أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (٤).

أما معنى الجدل في اللغة، فهو من جادله مجادلة وجدلا،أي ناقشه وخاصمه(٥).

وفي الاصطلاح: عرفه الراغب بقوله:" المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة"(٦).

والمجادلة قد تكون بالحسنى، لقوله تعـالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، وقـد تكـون بالباطل لقوله تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾(٧).

والمعنى أن هناك جدالا مذموماً وآخر محموداً، فالمذموم الذي يراد به تقريـر الباطـل وإظهاره، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (٨).

---

(١) د إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط** : ج ١،ص٢٠٥ .
(٢) عبد الرحمن النحلاوي (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣هـ)، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**،(ط٢)، دمشق: دار الفكر: ص ٢٠٦.
(٣) سورة الكهف: الآية ٣٤ .
(٤) سورة النحل: آية ١٢٥.
(٥) الرازي، **مختار الصحاح** :ص٥٦.
(٦) الراغب، **المفردات**:ص ١٨٩.
(٧) سورة غافر: الآية ٥.
(٨) سورة غافر: الآية ٤.

وأما الجدل الممدوح فما كان يهدف منه إلى إحقاق الحق ونصرته، وهو الذي مارسته الأنبياء الكرام، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَـٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾.

وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار أو الجدل لبيان الحقيقة والواقع، ولإزالة الأوهام من عقول الناس، ومحاربة التقليد الأعمى للآباء والأجداد.

المطلب الأول: أساليب حوار النصارى في القرآن الكريم

إن الاختلاف في عقائد كل من المشركين من جهة، واليهود والنصارى من جهة أخرى،يقتضي بداهة الاختلاف في أساليب خطابهم الدعوي منها:

أولاً: إستخدم القرآن أسلوب الحوار والمجادلة بالحسنى لأهل الكتاب وعمل على الرد عليهم في كل قضية وبيان وجه الحق والصواب فيها ومن أمثلة ذلك:

أ. الرد عليهم في قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾(١) .

وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية أن جماعة من أهل الكتاب جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فدعاهم إلى الدخول في الإسلام، وحذرهم الإصرار على كفرهم، فقالوا: يا محمد أتخوفنا بعذاب الله ؟ نحن أبناء الله وأحباؤه، فنزلت الآية(٢).

يقول الرازي: (ثم إنه تعالى أبطل عليهم دعواهم وقال " قل فلم يعذبكم بذنوبكم " فلو كانوا أبناء الله وأحباؤه لما عذبهم، ولكن عذبهم، فهم ليسوا أبناء الله ولا أحباؤه(٣).

ب. الرد عليهم في قولهم ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰۗ﴾.

وقد حكى القرآن هذا القول وناقشهم فيه مناقشة موضوعية حكيمة، وأثبت عدم صحة دعواهم، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٨.
(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن:** ٦،ص٨٠ .
(٣) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين،(ت:٦٠٤هـ)، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ط٢،دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٥ه :ج ١،ص١٥٢.

هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

والمعنى، وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا.

ورد عليهم القرآن بأن هذه الجنة التي يتمنونها إنما هي "أماني فهي يتمنونها على الله بغير حق ولا حجة ولا برهان، ولا يقين علم بصحة ما يدعونه، ولكن بادعاء بالأباطيل وأماني النفوس الكاذبة[2]".

ويرد القرآن الكريم عليهم دعواهم هذه، ويطلب منهم الحجة والبرهان على أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى، ببيان سنة الله تعالى الأكيدة في هذا الكون من أن الجنة لا يدخلها إلا من يصدق في إيمانه وتقول لذا قال: "بلى من أسلم وجهه" أي ليس كما قالوا بل الحكم للإسلام وإنما يدخل الجنة من أسلم وجهه لله، وأخلص عبادته، وخضع وتواضع لله واستسلم[3].

ومن أمثلة الحوار في القرآن، حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾[4].

ثانياً: تنبيههم إلى ذكر كتبهم المقدسة لصفته عليه السلام، حيث وردت البشارة بسيدنا محمد عليه السلام صراحة في التوراة والإنجيل على ما فصلناه سابقا عند الحديث عن بشارات العهد القديم والجديد ببعثة الرسول عليه السلام

ثالثاً: المباهلة من أفضل أساليب خطابهم الدعوي دعوتهم إلى المباهلة،وسيأتي الحديث عنها لاحقاً عند الحديث عن حواره عليه السلام مع وفد نصارى نجران.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١٢ .
(٢) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن** :ج١،ص٥٣٩ .
(٣) البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت: ٥١٦) **من معالم التنزيل**، ط٣،(تحقيق خالد العك)، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م :ج ١،ص١٠٦ .
(٤) سورة الشعراء : الآية ٥٦.

رابعاً: دعوتهم إلى كلمة سواء: أن يجعل الداعية من نقاط الاتفاق، منطلقاً إلى مخاطبتهم. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١).

خامساً: ذمهم لعدم إسلامهم: لماذا لا تسلمون مع أنكم تعرفون أنه دين الحق. قال تعالى: (يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ)، "هذا تعنيف من الله تعالى لكفرة أهل الكتاب، على عنادهم للحق وكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيل الله من أراد من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم. مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله - بما عندهم من العلم -"(٢).

سادساً: تهديدهم بأن يكون مصيرهم كمصير من كفر من آبائهم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٣).

وفي حديثي عن الحوار بين الرسول عليه السلام والنصارى فإنني أجد في كتب السيرة تفصيلاً لذاك، حيث أذكر الحوار بكل تفصيلاته وكيف تمت المحاورة، وما هي المحاور التي تمت مناقشتها، وسوف أتطرق لعدد من هذه الحوارات:

إن بداية الحوار بين المسلمين والنصارى كانت بين وفد المسلمين والنجاشي.

المطلب الثاني: حوار جعفر مع النجاشي(٤) رضي الله عنهما

والهجرة إلى الحبشة إضطرها أصحاب محمد عليه السلام عندما إزداد أذى كفار مكة على الصحابة الكرام، وأذاقوهم ألوان العذاب، عندها أمر رسول الله أصحابه أن يهاجروا إلى

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**: ج١ ص٣٩٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٤٧.

(٤) النجاشي: هو أصحمه بن أبحر ملك الحبشة واسمه بالعربية عطية، والنجاشي لقب له كما أن كسرى لقب ملوك الفرس، وهرقل لقب ملك الروم، أسلم على عهد النبي عليه السلام- ولم يهاجر إليه وكان ردءا للمسلمين نافعا وقصته مشهورة في إحسانه إلى المهاجرين إليه من المسلمين، وعندما توفي صلى عليه النبي عليه الصلاة والسلام ونفر من الصحابة صلاة الغائب.
كان عبدا صالحا لبيبا عادلا، وكان على مذهب النسطورية، وهو مذهب قائم على التوحيد، ينكر ربوبية المسيح عليه السلام ومن أقوالهم، لا تقولوا مريم أم الله، لأنها من البشر ويستحيل أن يولد الإله من البشر.
ويبدو أن معرفته بالله وبحقيقة المسيح عليه السلام هي سر المعاملة الطيبة للمسلمين، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة** ج١،ص١٠٩، وانظر الطبري، **تاريخ الطبري**:ج٢،ص١٣٢.

الحبشة بدينهم، فكانوا أول وفد إعلامي للإسلام خارج الجزيرة العربية ولقد قال عليـه الـسلام لأصحابه: " لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صـدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه"[١].

فزعت قريش من انتشار الدعوة في الداخل والخارج، وزاد حزنها وغيظهـا لمـا رأت أصحاب رسول الله عليه والسلام، قد أَمِنُوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وطاب لهم القرار.

عندئذ تآمرت قريش فيما بينهما بالكيد لمن هاجر إلى الحبشة من المسلمين وتـشاورت القبائل فيمن تختار من الرجال الأشداء الماكرين لحمل رسالة قريش للنجاشي.

وأخيراً تم الاتفاق على اختيار رجلين جادين من قريش هما عمرو بن العاص بن وائـل وعبد الله بن أبي ربيعة، وجمعوا لهما الهدايا الثمينة للنجاشي وبطارقته ووصلا إلى النجاشي .

حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، حدثي محمد بن مسلم بن عبيد الله بـن شهاب، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمه ابنـة أبـي أمية بن المغيرة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنـا بهـا خير جار، النجاشي، آمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى، ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلـك قريشا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جادين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة.....) .

ولقد دار حوار بين جعفر رضي الله عنه والنجاشي حول عيسى عليه الـسلام وأمـه، حيث دافع جعفر رضي الله عنه عن عقيدة التوحيد عندما سئل من النجاشي: مـا تقولـون فـي عيسى عليه السلام؟ - بالرغم من محاولات وفد قريش لتشويه صورة الإسلام المـسلمين أمـام النجاشي -فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينـا: هـو عبـد الله ورسـوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي يده إلـى الأرض فأخـذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتأخرت بطارقته حوله حين قال ما قال: وإن نخرتم والله، إذهبوا فأنتم سيوم بأرضي (والسيوم الآمنون) من سبكم غرم، ثم مـن سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دبرا ذهبا وأني آذيت رجلا منكم (والدبر بلـسان الحبشة الجبل) ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، فو الله ما اخذ الله مني الرشوة حـين رد

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في **المسند**، وابن هشام في **السيرة** ج١،ص٣٤٤ والبيهقي في **الـدلائل**، ج٢،ص٣٠١ – ٣٠٤ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج٦، ص١٦-٢٣ رواه احمد ورجاله رجـال الـصحيح، غيـر إسحاق وقد صرح بالسماع، والحديث صحيح، وقد صححه احمد شاكر في تعليقه على المسند برقم ١٧٤٠، انظر: الإمام أحمد حنبل:(ت:٢٤١هـ)، **مسند أحمد**، ط١، شرحه أحمد شـاكر، دار الحـديث، القـاهرة، ١٩٩٥م وانظر **الفتح الرباني** :ج٢٠،ص٢٢٩ وفيه قال: (الحديث صحيح).

علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه، قالت أم سلمة: فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار) [١].

والذي يهمنا في دراستنا هذه أن نطلع على طيب العلاقة الأولى بين المسلمين والنصارى المتمثلة برحلة الهجرة إلى الحبشة، وذلك الحوار الذي دار بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب وما تضمنه ذالك الحوار من مفاصل عقدية رئيسة قدمها جعفر بين يدي النجاشي وقومه عندما سئل عنها، ولقد تضمن ذلك الحوار أموراً هامة عدة نجملها فيما يأتي:

١. نلحظ أن البيانات الواضحة عن العقيدة الإسلامية، وعما جاء به النبي عليه السلام، وما أمر به أصحابة، ونظرة الإسلام إلى عيسى بن مريم وأمه الصديقة التي ألقاها الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي وأفراد دولته، وبخاصة رجال الدين منهم، واعتراف النجاشي وتصديقه لما جاء به الإسلام لأمور تدعو إلى القول بأن أنباء العقيدة الإسلامية قد انتشرت بصورة غطت مساحات واسعة من عالم ذلك الزمان، وهذا رد على أجناس جولد تسهير الذي يفيد باطلاً أن أفق محمد عليه السلام، الجغرافي لم يتعد جزيرة العرب[٢].

٢. كان وفد قريش بقيادة عمرو بن العاص، يحرص أشد الحرص على أن لا يسمع النجاشي من وفد المسلمين، لعلمهم باحتمال فشل خطتهم لو استمع إلى المسلمين، حيث قالوا للنجاشي: إن قومهم وأشرافهم أعلم بهم، وهو معنى هام حرصوا عليه، وذلك حتى لا يكلفوا النجاشي: عناء السماع لهم، وكان جعفر حكيما إذ فصل الحديث عندما سئِلَ لتبيين الحق من الباطل.

٣. استطاع جعفر رضي الله عنه أن يقدم الإسلام بصورة فريدة قلما نجد لها نظيرا في التاريخ، حيث عرض في حواره كل مساوىء الجاهلية وعوراتها، بحيث ظهر أن ما تدين به قريش أمر تتقزز منه كل نفس بشرية، إنه عرض المبادئ والأسس العامة للإسلام التي يقوم عليها البناء بعد تفصيل مفاهيم الجاهلية وهدمها.

٤. عرض جعفر الظلم الذي نزل بالمسلمين بسبب تمسكهم بهذا الدين، وأبرز وضع المسلمين في صورة قديسين وحواريين تنزل بهم ضربات المجرمين الوثنيين، وهذه الصورة ذات أثر ساحر في نفوس النصارى الذين يعيشون مفهوم التضحية والفداء وهو استثمار جيد من صاحب الدعوة لما عند الآخرين من أحوال.

---

(١) ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم (ت:٦٠٦هـ)، **الكامل في التاريخ**، دارصادر، بيروت،١٩٨٢م: ج١،ص٧٦

(٢) أجناس جولد تسهير، (١٩٧٨م)، **العقيدة والشريعة** ، ترجمة محمد يوسف موسى، (ط٢)، القاهرة: دار الكتاب الحديثة: ص ٣٩ .

٥. عمد جعفر إلى الثناء المتزن على الملك ثناء لا يحمل المبالغة الكاذبة، ولا التجاهل المهين، بل وضعه في صورة الأمل والملاذ لهؤلاء المستضعفين إذا علمنا أن رسول الله عليه السلام ذكر النجاشي بالخير.

وورد هذا الثناء أيضا في حوار عمرو بن أمية الضمري[1] للنجاشي عندما قال له "يـا أصحمة ... إنك كأنك في الرقة علينا منا وكانا بالثقة بك منك لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه، لم نَخَفْك على شيء قط إلى أَمِناه .."[2].

٦. إن من الدروس الهامة في حوار جعفر رضي الله عنه مع النجاشي الحرص علـى إغفـال الخلاف والإثارة التي يمكن أن تفسد الجو بين المسلمين وغيرهم إذا لم يضطروا لإثارتها.

٧. ظهر جعفر صادقا غاية الصدق في مناقشته، فلم يخش غير الله في عرض أفكـاره، دون أن يحسب حساب تناقضها مع دين النجاشي المحاط بأحباره المتعصبين، ولقد كان حريصا على عدم إثارة الخلاف، أما وقد اضطر لذلك حين خطط عمرو بن العاص أن يفتك بـه ويثيـر قضية عبودية عيسى، وما يقوله القرآن عن أمه مريم البتول عليها السلام.

سئِلَ جعفر من النجاشي: ماذا تقولون عن عيسى بن مريم ؟ ...

قال جعفر:(هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول). إن في كلام جعفر بين يدي النجاشي ما يدلنا على مبلغ الوضوح العقدي في نفوس الـصحابة الكـرام رضوان الله عليهم، وكان موفقاً عندما قرأ عليه صدر سورة مريم عليها السلام.

إن الأمور العقدية نلحظها أيضا في رسالته عليه السلام إلى النجاشي إذ لا مساومة فـي أمر العقيدة، ولا مداراة، ولا مداهنة، ولا بد من وضوح العبارة، فلا يقال: كلام ضبابي غائم قد يكون فيه الضرر المحقق على الإسلام والمسلمين.

ففي خطابه عليه السلام للنجاشي يدعوه إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعة وقد ختـم الكتـاب بقولـه: ودع التجبـر فإني أدعوك وجنودك إلى الله، فقد بلغت ونـصحت

---

(١) عمرو بن أمية الضمري (ت: ٥٥ هـ) شجاع من الصحابة، أسلم قديما وهو من مهاجرة الحبشة ثم هاجر إلى المدينة، وأول مشاهده بئر معونة، وشهد بدراً وأُحد مع المشركين، وقد اُشتُهر في الجاهلية، أرسله الرسول عليه السلام إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام سنة ست، وكتب على يده كتابا فأسلم النجاشي، وعاش أيام الخلفاء الراشدين وشهد وقائع كثيرة علت بها شهرته وبسالته مات في المدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه، الزركلي، **الأعلام**،ج ٥،ص٧٣، وابن الأثير، **أسد الغابة**: ج ٣،ص٦٩٠.

(٢) السهيلي، **السيرة الحلبية** :ج ٤،ص٢٨٧.

فأقبل نصحي، والسلام على من اتبع الهدى، وفي رواية، فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك"[(١)]

٨. ركز جعفر على بعض المفاهيم العقدية في خطابه وتعامله مع النجاشي، حيث وضح جعفر أن السجود لا يكون إلا لله، ذلك أن عمرو بن العاص - مبعوث قريش للنجاشي للإضرار بالمسلمين المهاجرين- قال للنجاشي: وهم لا يسجدون للملك، وفي لفظ (لا يخرون لك ولا يحيونك بما يحييك به الناس أذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم)، فقال النجاشي لجعفر عندما دخل عليه ولم يسجد له كما يفعل أتباعه ولم يحييه بتحيتهم الخاصة: ما منعكم أن تسجدوا وتحيوني بتحيتي التي أحيى بها؟

فقال جعفر: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل، وأخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام، فحييناك بالذي يحيي به بعضنا البعض، ثم قال جعفر: وأمرنا أي رسول الله عليه السلام، بالصلاة والزكاة...[(٢)].

٩. نلحظ دقة جعفر رضي الله عنه وهو يفَصل أحوال الجاهلية في الجزيرة العربية يقول الشيخ الندوي: (إن كلام جعفر بن أبي طالب أمام ملك الحبشة، وتصويره للإسلام كلام حكيم قد جاء في أوانه ومكانه، وقد دل على بلاغة صاحبه العقلية، قبل أن يدل على بلاغته العربية البيانية، ولا يعال ذلك إلا بإلهام من الله، وتأييد هذا الدين الذي أرد الله أن يتم نوره، وأن يظهره على كل دين، ويدل ذلك على سلامة الفطرة ورجاحة العقل، فقد فضل جعفر أن يكون جوابه حكاية حال لما كان عليه أهل الجاهلية في الجزيرة العربية، لما آل إليه أمرهم بعدما أرسل الله رسوله عليه السلام فيهم، ودعا إلى الله وإلى الدين الحنيفي السمح، ومكارم الأخلاق، وآمنوا به واتبعوه، وحكاية الحال، خصوصا إذا لم يجانب فيه صاحبها الصواب أبعد شيء عن المناقشة والمناظرة، وأقدر شيء على غرس المعاني المقصودة، وتحقيق الأهداف المنشودة، والتهيؤ للتأمل والإنصاف وحسن الاستماع) [(٣)].

يظهر لنا التزام جعفر رضي الله عنه بواجب الإعلام الذي يقتضى الإلتزام بالدقة والموضوعية والصدق في نقل الأخبار والحقائق من مصادرها، فأعلن رضي الله عنه ما سمعه من النبي عليه السلام ردا على سؤال النجاشي دون مداهنة، أو مواربة، أو نفاق، أو غير ذلك، وذلك يظهر عندما سأله النجاشي ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ .

---

(١) الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة (مراسلته إلى النجاشي) حديث رقم٤٢٤٤،ج٢، ص ٦٧٩.

(٢) أبي الفرج الحلبي، **السيرة الحلبية،** ج ١،ص٤٧٨

(٣) أبو الحسن الندوي، (٢٠٠١م)**، السيرة النبوية،** (ط١)، دمشق: دار القلم: ص ١٣٤.

فقال جعفر: (نقول فيه الذي جاءنا به نبينا عليه السلام هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول)[١].

لقد كانت رحلة الحبشة هروبا بالدين من لظى مكة، وبحثا عن محضن دافـئ لبـذرة الإيمان في القلوب، ومع كل الظروف، وملاحقة كفار مكة لهؤلاء الصحابة رضـي الله عـنهم حتى في بلاد النجاشي، إلا أن هذا الوفد استطاع أن يستثمر كل ممكن لنـشر الـدين، وتقـديم صورة فريدة عنه وجميلة، وعرض مساوئ الجاهلية، وقذارتها عند شـخص لبيـب عـالم كالنجاشي.

إنه حسن دراسة للواقع، ودقة في استغلال ما هو ممكن لنشر الإسلام ومبادئه الكريمة.

ولقد أثمر كل هذا أن أسلم النجاشي[٢]، وحمى جموع المسلمين، فاقتنع بما جـاء عـن عيسى وأمه عليها السلام، فقال :(والله ما عدا عيسى بن مريم عليه السلام ما قلت هذا العود)[٣].

المطلب الثالث: وفد نجران وحوارهم مع النبي عليه الصلاة والسلام

أوردت كتب السيرة النبوية أن وفداً من نجران[٤] قدموا إلى المدنية وكانوا ستين راكبـا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر، إليهم يؤول أمرهم، فالعاقـب

---

(١) ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام** :ج١،ص٣٦٠.

(٢) والثابت في الصحيحين أن النجاشي عندما مات نعاه رسول الله عليه السلام للصحابة وصلى عليه صلاة الجنازة فعن أبي هريرة أن النبي عليه السلام، نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه قال: استغفروا لأخيكم، ثم خرج بالناس إلى المصلى فصلوا وراءه وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات" **أخرجه البخاري** في مناقب الانصار باب موت النجاشي،ج ٨،ص٢٤٠.وبنحوه في مسلم كتاب الجنائز باب التكبير على الجنائز،ج ٧،ص٢٤. وليس فيها استغفروا لأخيكم، وإنما هي في رواية البخاري.
وانظر: الساعاتي،أحمد عبدالرحمن البنا، **الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد**: ج٢٢،ص٤٤٨.
قال الخطابي في شرح سنن أبي داود،ج ٣،ص٥٤٢ :(والنجاشي رجل مسلم قد آمـن برسـول الله عليـه السلام وصدقه على نبوته إلى أنه كان يكتم إيمانه، والمسلم إذا مات وجـب علـى المـسلمين أن يـصلوا عليه،إلا أنه كان بين ظهراني أهل الكفر، ولم يكن بحضرته من يقوم بحقه في الصلاة عليه،فلزم رسول الله عليه السلام أن يفعل ذلك إذ هو نبيه ووليه وأحق الناس به، فهذا –والله أعلم- هو السبب الذي دعـا إلـى الصلاة عليه بظهر الغيب). انظر:أبي داود،أبي سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت:٢٧٥هـ) **سنن أبي داود**، ط١، إعداد وتعليق: عزت عبيد، وعادل السيد، دار ابـن حـزم، بيـروت، ١٤١٨هــ، ج٣، ص٣٥٢.

(٣) ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام**:ج ١،ص٣٦٠ .

(٤) ولقد كان لنصارى نجران وفادة إلى مكة وهي الأولى يقول: ابن حجر العسقلاني: " إن أول من قدم على الرسول عليه السلام بمكة هم نصارى نجران، وكانت لهم وفادتان إحداهما قبل الهجرة في السنة التاسعة بعد البعثة والثانية بعد الفتح (فتح مكة)، وهذا الوفد قدم على رسول الله وهو في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وناقشوه، ولما فرغوا من سؤال الرسول عليه السلام دعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم إستجابوا لله سبحانه وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره. وهم الوفد الذين إعترضهم أبو جهل بعد إسلامهم فقال لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم لتأتوهم بخبر محمد عليه السلام، ففارقتم دينكم وصدقتموه بمـا قـال، ما نعلم ركبا أحمق منكم فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه وفيهم نزلت الآيات=

أمير القوم وصاحب مشورتهم، الذين لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المـسيح، والـسيد إمامهم، وصاحب رحلهم وأسمه الأبهم.

وأبو حارثه بن علقمة أسقفهم وحبرهم، وإمامهم وصاحب مدارسهم، وكانوا قد شـرفوه ومولوه، وبنو له الكنائس لعلمه واجتهاده.

قدموا على رسول الله عليه السلام، ودخلوا مسجده حين صلى العصر، علـيهم ثيـاب الحبرات: جبات وأردية، في جمال رجال الحارث بن كعب، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله عليه السلام: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله عليه السلام، فقال رسول الله عليه السلام: دعوهم، فصلوا إلى الشرق.

فكلم السيد والعاقب رسول الله عليه السلام، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسـلم: أسلما، فقالا: قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما منعكما من الإسلام ادعاؤكمـا لله ولـدا وعبادتكمـا الصليب وأكلكما الخنزير. قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه؟ وخاصـموه جميعـا فـي عيسى، فقال لهم النبي عليه السلام: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟ قالوا: بلى .

قال: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت؟ وأن عيسى أتى عليه الفناء؟قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى. قال: هل يملك عسى من ذلك شيئا؟ قالوا: لا، قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث، قالوا: بلى، قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة؟ ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها؟ ثم غُذّي كما يغَذى الصبي؟ ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟

قالوا: بلى، قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فسكتوا، فأنزل الله تعالى فـيهم صـدر سورة آل عمران إلى بضعة وثمانين آية منها. (1) قال المفسرون: إن وفد نجران قالوا لرسول الله عليه السلام: مالك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: إنه عبد، قـال: أجـل، إنـه عبـد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول. فغضبوا، وقالوا: هل رأيت إنسانا قط من غيـر أب؟ فإن كنت صادقًا، فأرنا مثله، فأنزل الله تعـالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(2).

=٥٢-٥٦ من سورة القصص، انظر ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام** :ج١،ص٤١٨. والحلبي، **السيرة الحلبية:** ج١، ص٤٨٧.

(1) ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام:**ج ٢،ص٢٠٤-٢٠٨، وانظر ابن القـيم **زاد المعـاد**، ج٣، ص٦٢٩-٦٤٦، والبيهقي، **دلائل النبوة: ج ٥**،ص٣٨٢-٣٩٣. **وفتح الباري شرح صحيح البخاري**:ج ٨،ص١١٧.

(2) سورة آل عمران الآية :٥٩.

وفي رواية أخرى عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله أن النبي عليه السلام لما دعاهما إلى الإسلام، فقالا: أسلمنا من قبلك، قال: كذبتما، فإن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام، فقالا: هات أنبئنا، قال: حب الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يغادياه بالغداة، فغدا رسول الله فأخذ بيد علي وفاطمة وبيد الحسن والحسين، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا، فأقرا له بالخراج، فقال النبي عليه السلام: (والذي بعثني بالحق لو قالا: لا، لأمطر عليهم الوادي نارا) [١].

إن وفد نصارى نجران من مجموع وفود قدمت إلى المدينة جاءت إلى رسول الله عليه السلام وحاورته حواراً نستجلي منه منهجه صلّى الله عليه وسلم في تعامله مع نصارى عصره وقد تضمن هذا الحوار محاور ومضامين عقدية تحتاج منا الدراسة الواعية المبصرة لنرى إمكانية الإفادة منها في زماننا الحاضر ....

١- كان من منهجه عليه السلام وهو يحاور الآخرين أن يتعامل مع الوفود بمودة وتلطف، حيث دخل وفد نصارى نجران بعد العصر فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم، فقال عليه السلام: دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم[٢] وفي هذا صورة واضحة للحرية الدينية، حيث لا إكراه في الدين.

ولقد ظهر الخُلُق الجم من رسول الله عليه السلام في تعامله مع وفود نصرانيه أخرى، فهذا عدي بن حاتم[٣] عندما جاء ليعلن إسلامه يقول: (ثم مضى بي رسول الله عليه السلام حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا، فقدمها إلي، فقال: اجلس على هذه، قال، فقلت: بل أنت فاجلس عليها؛ قال: بل أنت، فجلست عليه، وجلس عليه السلام على الأرض[٤] ".

---

(١) القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٤ ص٦٦.وانظر :القاسمي، محمد جمال الدين، (ت:٣٣٢)، **محاسن التأويل**، ط٢، (تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، **(١٣٩٨ه):** ج٤ص١١٤

(٢) ابن القيم الجوزية، **زاد المعاد:**ج ٣،ص٦٢٩

(٣) هو عدي بن حاتم الطائي ملك طيء، الذي تغنى الشعراء في الشرق بجوده، فلما قدم سيدنا علي رضي الله عنه في سرية ديار طيء هرب إلى الشام، فمن رسول الله على بنت حاتم، هي ومن معها من قومها وأعطاهم نفقة عظيمة، فخرجت إلى الشام، وحدثت أخاها عن نبل محمد عليه السلام، فتأثر عدي بما سمع، فأسرع إلى المدينة، وأعلن إسلامه، وعاد لقومه وأسلموا جميعا، انظر ابن الأثير، **أسد الغابة**: ج٣،ص٥٠٥، **الإصابة** لابن حجر :ج٢، ص٤٦٠.

(٤) ابن الإثير، **أسد الغابة**:ج ٣،ص٥٠٥ .

وظهر هذا الخُلُق الكريم في التعامل أيضا مع (وفد آخر للنصارى)[١] هـو وفـد عبـد قيس[٢] حيث قال عليه السلام: (من القوم أو من الوفود؟ قالوا ربيعة، قال: مرحبـا بـالقوم – أو بالوفد- غير خزايا ولا ندامى) [٣].

٢- اهتم عليه الصلاة والسلام في حوراه ودعوته لوفد نجران بالدعوة إلى توحيد الله وعبادتـه، فلقد كتب إلى أهل نجران كتابا، وهذا قبل أن يأتوه يحاوروه وفيه: (أما بعد؛ فإني أدعـوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد...) .

والدعوة إلى توحيد الله وعبادته قضية ركز عليها رسول الله عليه السلام مع كل الوفود فعندما جاء وفد عبد قيس قالوا: يا رسول الله، فمرنا بأمر فصل يأخذ به من وراءنا، وندخل به الجنة، فقال عليه السلام: (آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع، آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الـصلاة، وإيتـاء الزكـاة، وصوم رمضان ....) [٤].

إن العمل على تثبيت العقيدة الصحيحة في واقع الناس أمر ضروري للقضاء على كـل انحراف يعيشه الناس، فالمرض الفتاك بالناس جميعا في القديم والحديث جهلهم بربهم وكفـرهم، ورفضهم الدخول في العبودية الكاملة الصحيحة له، والسير على النهج الذي جاء به محمد بـن عبد الله عليه السلام.

وهذا النهج الصحيح الذي دل عليه القرآن الكريم، وسار عليه رسولنا الكريم حيـث إن القرآن الكريم ظل يتنزل في العهد المكي بالسور والآيات في بيان أصول العقيدة ومعانيها، مثل الإيمان بالله، ووحدانيته في الربوبية والألوهية، والإيمان بيوم الحساب، ومآل الناس إلى الجنـة والنار، وضرورة الإيمان بالرسول عليه السلام والقيام بالأعمال الصالحة[٥] .

٣. ومن منهج الرسول عليه السلام في حواره مع النصارى حرصه على تبيين الحـق وبيـان العقيدة الصحيحة بلا مجاملة ولا حسابات، ففي حديث وفد نجران السابق عندما قال لهمـا

---

(١) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**:ج ٢،ص٤٥٨ .

(٢) وفد عبد قيس: قدموا على رسول الله عليه السلام، وكان معهم الجارود بن بشر بن المعلى وكان نصرانيا فقال يا رسول الله: إني على دين، واني تارك ديني لدينك فتضمن لي ثمانية؟ قال: نعم، أنا ضامن لذاك، أن الذي ادعوك إليه خير من الذي كنت عليه، فأسلم وأسلم أصحابه، وكان فيهم الأشج بن عبد القيس الذي قال له عليه السلام : (إن فيك لخصلتين يحبها الله الحلم والأناة). أخرجه البخاري عن أبي حمزة كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس برقم : ٤٣٦٨، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج٨،ص١٠٦، وانظر ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام**: ج ٤،ص٢٤٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان،باب أداء الخمس من الإيمان،برقم ٥٣، **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** ج١،ص١٧١.

(٤) ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد،** ج٣، ص٦٣١.

(٥) د. عبد الكريم زيدان، (١٩٧٦م)، **أصول الدعوة**، (ط٣) بغداد: دار الإمام : ص ٤٠٦

رسول الله: أسلما، قالا: أسلمنا قبلك، قال: كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنازير.

إن هذا التوضيح والتفصيل من فوائده إقامة الحجة على المقابل، ثم فيه توضيح للسبب لأن الطرف الآخر قد يعتقد أن ما يفعله هو الصحيح وهو غارق في الضلال، والبعد عن جادة الطريق الصحيح.

إن من حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى الله أن يبين لهم أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، خلقه عز وجل، ويبين لعبادة أنه مخلوق، وأن ذلك لا يعجزه قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ [1].

ولسان الحال (أن ولادة عيسى عجيبة حقا بالقياس إلى مألوف البشر ولكن أية غرابة فيها حيث تقاس إلى خلق أبي البشر؟ وأهل الكتاب الذين كانوا يناظرون ويجادلون حول عيسى عليه السلام بسبب أنه نشأ من غير أب... وأهل الكتاب هؤلاء كانوا يقرون بنشأة آدم من تراب وأن النفخة من روح الله هي التي جعلت فيه هذا الكائن الإنساني، دون أن يصوغوا حول آدم الأساطير التي صاغوها حول عيسى عليه السلام ودون أن يقولوا عن آدم أن له طبيعة لاهوتية، على حين أن العنصر الذي صار به آدم إنسانا هو ذاك العنصر الذي به ولد عيسى من غير أب، عنصر النفخة الإلهية، في هذا وذاك، وإن هي إلا الكلمة " كن " تنشئ ما تراد له النشأة فيكون وهكذا تتجلى ببساطة هذه الحقيقة، حقيقة عيسى وحقيقة آدم، وحقيقة الخلق كله، وتدخل إلى النفس في يسر وفي وضوح، حتى ليعجب الخلق والنشأة جميعا[2].

ولم يكن آدم بما نفخ فيه من روحه لاهوتًا ولا ناسوتا، بل كله ناسوت، فكذلك المسيح عليه السلام كله ناسوت[3].

وقد أمر الله تعالى رسوله عليه السلام أن يباهل[4] النصارى على حقيقة عيسى. وأنه عبد الله ورسوله.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٩-٦٠.

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**:ج ١،ص٤٠٥ .

(٣) ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:** ج٤،ص٥٥، وابن كثير،**تفسيرالقرآن العظيم:** ج١،ص٣٧٥ .

(٤) المباهلة: مفاعله من الإبتهال والضراعة إلى الله بحرارة وإجتهاد.أنظر: **القاموس المحيط**،ج٣،ص٣٣٩، باب اللام فصل الباء، والفيومي أحمد بن محمد بن علي(٧٧٠هـ)،**المصباح المنير**، ط٢، المطبعة الكبرى، مصر، ج١،ص٨٠ والرازي، **مختار الصحاح**: ص٤٠. =

فقـال تعـالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[(١)].

وفي الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجـران إلـى رسول الله عليه السلام يريدان يلاعناه، فقال: فقال أحدهما لصاحبة، لا تفعل، فوالله لئن كـان نبياً فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قال: إنا نعطيك ما سألتنا وأبعث معنا رجلا أمينـاً، ولا تبعث معنا إلا أمينا فقال: لأبعثن معكم رجلاً أمينا، حق أمين، فاستشرف لها أصحاب رسول الله عليه السلام فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله: هذا أمين هذه الأمة[(٢)] .

وهذا كله يبين أن عيسى عبد الله ورسوله، وأنه مخلوق، ويبين أن النصارى بامتنـاعهم عن المباهلة وعن الدخول في الإسلام كانوا ظالمين[(٣)].

وقد حرص رسول الله عليه السلام في حواره مع نصارى نجران أن يوضح ما في كتاب الله حول حقيقة عيسى عليه السلام ووصفه وأمه وصفا كاملا لا يدع مجالا للشك، ويقطع كل شبهة ترد على بشرية عيسى وأمه، وأنه عبد الله ورسوله، وأحد أنبيائه ورسله الكرام ويتصـف بصفـات البشر، ويأكـل الطعـام كما يأكل البشر[(٤)] وصـدق الله العظيـم حيث

= وعند ابن الأثير أن المباهلة، أن يجتمع القوم إختلفوا في شيء فيقولون لعنة الله على الظالمين منا، انظر ابن الاثير مجد الدين أبي السعادات،(ت:٦٠٦ه)،**النهاية في غريب الحديث والأثر**،ط١،(خرج أحادثه:صلاح عويضه)، بيروت، دار الكتب العلمية:١٦٧/١ وانظر **الجصاص**، أبو عبدالله بن علي الرازي،(ت:٣٧٠هـ) **أحكام القرآن**، ط١،دار الكتاب العربي،١٩٣٥م :ج ٢،ص١٨ .

(١) سورة آل عمران،الآية ٦١.
ونأخذ من هذه المباهلة الأدلة التالية:
أولا: إن هذا دليل محسوس على أن القرآن من عند الله، وأنه كلام القادر على إنزال العذاب على الكافرين.
ثانيا: إن قبول النبي عليه السلام، في نبوته كان أمرا معروفا وثابتا حتى في نفوس مخالفيه من أهل الكتاب حيث نكصوا عن قبول المباهلة خوفا من نزول العذاب بهم، وأما لماذا لم يؤمنوا مع ذلك فإنما حجبهم حقدهم وكبريائهم وحسدهم والله يقول :(سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ...) الأعراف،الآية:١٤٦. وإما سبب ضم الرسول عليه السلام الأبناء والنساء مع أن المباهلة مختصة به وبمن كذبه فلأن ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحالة وإستيقانه بصدقه وقوة يقينه بحيث إستجرأ على تعريض أعز الناس عليه لهذه المباهلة، وخصهم لأنهم أعز الأهل وقدمهم لنسبه على قرب مكانهم ومنزلتهم، ،كما أن إمتناعهم يدل على أنهم على غير بينة فيما يعتقدون.
ثالثاً: وفيها دحض شُبه النصارى في أنه إله أو ابن الإله.
الزمخشري، **الكشاف**، سورة آل عمران: الآية٦١، القاسمي، **محاسن التأويل** :ج٢، ص١١٥، الجصاص، **أحكام القرآن**: ج٢، ص١٨، ١٩ وأحمد مصطفى المراغي، (١٩٩٨م)، **تفسير المراغي**، ط١، خرج أحاديثه باسل السود، بيروت،دار الكتب العلمية :ج ١،ص٥١٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي،باب قصة أهل نجران، حديث رقم ٤٣٨٠،**فتح البـاري شـرح صـحيح البخاري:ج** ٨، ص١١٧.

(٣) ابن تميمة، **الجواب الصحيح :**ج ٤،ص٥٧ .

(٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم:** ج ٢،ص٨٤ .

قال:﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾ (١).

والمعنى لو كان المسيح إلها تعالى الله عن ذلك، أو أبن إله فلا بد أنه سيدافع عن هؤلاء الذين يوضحون للناس منزلته، ولو كان هذا خطأ فإن الله سيصدر حكمه، وقد دعا النبي عليه السلام إلى هذه المباهلة لإثبات التوحيد.

٤- لقد كان رسول الله يوضح الحق ويحرص على ذلك ما علم المقابل جاهلا يريد أن يتعلم أو غافلاً يحتاج إيقاظاً أما عندما يعلم رسول الله أن المقابل يلعب ويهزل فإنه لا يضيع معه وقتاً ففي حواره عليه السلام مع وفد نصارى نجران، وكان يحاور الحبران، فقالا له: فمن أبوه يا محمد؟ أي من أبو عيسى عليه السلام، صمت رسول الله عندها فلم يجبهما، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية(٢).

٥- ومن أسلوبه عليه السلام في حواره مع نصارى نجران إرشادهم إلى تصحيح خطئهم حيث قال لهما: أسلما، فقالا: قد أسلمنا من قبلك، قال: كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير(٣).

ولقد ظهر هذا الأسلوب منه عليه السلام في مواطن متعددة حيث عمد رسول الله إلى لفت نظر المخطئ إلى خطئه، ليقوم بتصحيحه بنفسه.

ومن الأمثلة على ذلك: ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وكان مع رسول الله عليه السلام قال: فدخل النبي عليه السلام فرأى رجلا جالسا وسط المسجد مشبكا بين أصابعه يحدث نفسه، فأومأ إليه النبي عليه السلام فلم يفطن، قال: فالتفت إلى أبي سعيد فقال: (إذا صلى أحدكم فلا يشبكن بين أصابعه، فإن التشبيك من الشيطان، فإن أحدكم لا يزال في صلاة ما دام في المسجد حتى يخرج منه(٤) .

٦- ومن أسلوبه عليه السلام في محاورته حرصه ومصارحته المخطئ بحالة وخطئه لذلك قال لهما الرسول عليه السلام: منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب،

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٢) ابن الكثير، **تفسير القرآن العظيم**: ج ١،ص٣٧ .وانظر ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام**:ج٢،ص٢٠٧

(٣) القرطبي، **تفسير القرطبي** ج٤ص٦٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**:ج١،ص٧٣٢ .

وأكلكما الخنزير، ولقد قال عليه السلام للصحابي الذي عاب على أخيه، إنك امرؤ فيك جاهلية..[(١)]

٧- ومن أسلوبه عليه السلام في محاورته نصارى نجران، بيان ضرر الخطأ الذي هم عليه، فلقد كان عليه السلام يقول لهم مبينا خطأهم والضرر المترتب عليه : ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت؟ وأن عيسى عليه السلام أتى عليه الفناء؟ قالوا: بلى، ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى، قال: هل يملك عيسى من ذلك شيئا؟ قالوا: لا.

إن تبيين مفاسد الخطأ، وما يترتب عليه من العواقب، أمر هام في الإقناع للمخطئ، ففي صحيح مسلم عن سماك بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشير يقول : رأى عليه السلام رجلا بادياً صدره من الصف، فقال: عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم[(٢)].

٨- ومن أسلوبه عليه السلام أيضا تصحيح التصور الذي حصل الخطأ نتيجة لاختلاله، حيث إن الأخطاء عموما تنشأ من خَلَلٍ في التصورات، فإذا صلُح التصور قلت الأخطار كثيراً وهذا واضح في حواره عليه السلام مع نصارى نجران فهم عندهم خلط حول حقيقة عيسى عليه السلام وأمه، لذا عمد القرآن إلى إبطال عقيدة التثليث بما في كتب النصارى أنفسهم، والإتيان بالأدلة والبراهين القاطعة، على بشرية عيسى عليه السلام وأنه عبد الله ورسوله، لذا قال لهم عليه الصلاة السلام: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمله المرأة؟ ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما غذي الصبي؟ ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟ قالوا: بلى.

ولقد كان النبي عليه السلام يحرص على تصحيح التصور الذي قد يحصل الخطأ بسبب إختلاله وذلك ما ورد في قصة، الرهط الثلاثة الذين جاءوا لبيته عليه الصلاة والسلام وقال أحدهم:(أنا أصلي الليل أبدا، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً)[(٣)].

فصحح لهم النبي عليه السلام تصورهم المجانب للصواب، وأمرهم بأن يلتزموا سنته وطريقه في العبادة وبين أن الأخذ بالتشديد في العبادة يؤدي إلى إملال النفس القاطع لها عن أصل العبادة وخير الأمة أوساطها[(٤)]. ومما يجب أن يعلم التفريق بين الخطأ الناتج عن اجتهاد صاحبه وبين خطأ العمد والغفلة والتقصير.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهي عن السباب واللعن، حديث رقم ٦٠٥٠ **فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج** ١٠،ص٥٧١ .

(٢) أخرجه مسلم **في الصحيح**، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، حديث رقم ٩٧٧: ج٤، ص٣٧٧.

(٣) أخرجه البخاري كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح حديث رقم ٥٠٦٣ **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** ج ٩،ص١٣١.

(٤) **فتح الباري شرح صحيح البخاري** :ج ٩،ص١٣٤.

ولا شك أن الأول ليس بملوم، بل إنه يؤجر إذا أخلص واجتهد.

وهذا بخلاف المخطئ عن عمد وتقصير فلا يستويان، فالأول يعلّم ويناصـح، بخـلاف الثاني فإنه يوعظ وينكر عليه.

إن الجاهل يحتاج إلى تعليم، وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان، والغافل يحتاج إلى تذكير، والمصر يحتاج إلى وعظ، فلا يسوغ أن يسوى بين العالِم بالحكم والجاهل بـه فـي المعاملـة والإنكار.

المبحث الثاني: حرية الاعتقاد

جاء الإسلام مقرراً مبدأ حرية الإعتقاد وأنه لا إكراه في الدين وأنه من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولقد جعل الإسلام أساس الاعتقاد التدبر والعلم . قال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]، كما طلب الإسلام من الناس جميعاً أن يحكّموا العقل، فقال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣]، وقال أيضا مخاطباً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[٤]، وقال مخاطباً الكفار: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٥].

إن الإسلام في إقراره لحرية التدين يلزم أتباعه بهذا الإقرار دينا وعقيدة وسلوكاً، لا مجرد التسامح أو المجاملة، وذلك تقديراً لأن العقيدة لا تكون عقيدة حتى تصدر عن اعتقاد ففي العهد المكي نزلت آية يونس خطابا لرسول الله عليه السلام: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[٦].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٠.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.
(٤) سورة يونس : الآية ٩٩.
(٥) سورة الكافرون: الآية ٦.
(٦) سورة يونس: الآية ٩٩.

فالإيمان متروك للاختيار لا يكْره الرسول عليه السلام عليه أحداً، لأنه لا مجال للإكراه في مشاعر القلب وتوجهات الضمير(١).

وفي العهد المدني نزلت آية البقرة تقرر أصل التشريع: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (٢) ، ولهذا نجد في كتاب الله تأكيداً لمهمة رسول الله عليه السلام وأن ليس عليه إلا أن يبلغ رسالته، فقال تعالى:﴿فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾(٣).

ولقد التزم رسول الله عليه السلام أوامر الله في عدم إكـراه الآخـرين علـى الإسـلام واحترام ما يعتقدون وعدم الاعتداء عليه حتى وهو عليه السلام يرسل جيوشه فيوصـيهم :(ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع)(٤). والمقصود أولئك الذين التزمـوا الـصوامع(٥)، ودور العبادة وأغلقوا أبوابهم على أنفسهم وهؤلاء لا يقتلون لتركهم القتال أصلا.

وتتمثل الحكمة في عدم الإكراه أنه :

يقهر النفس الإنسانية ويذلها، و يحطم الشخصية ويقتلها، وينزع إلى النفور وردود الفعل حيث تسنح الظروف، ويسئ إلى سمعة الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج، ويجعل إيمان المكْره غير مقبول عند الله عز وجل(٦).

إن من يتأمل الآيات القرآنية يتضح له أن الشريعة الإسلامية عندما أقرتْ حرية العقيدة لم تكتف بذلك، بل عملت على حمايتها بوسيلتين، الأولى: إحترام حق الغير في اعتقاد ما يشاء،

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**: ج ٣،ص١٨٢١.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٦ .
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٠، لقد حدد القرآن في مواطن متعددة أن مهمة الرسول عليه السلام تنحصر في الإعلام والتبليغ، وقد حدد دوره، وموقعه من المكذبين به والحاقدين عليه والكارهين لدينه بما يؤكد تأصيل المبدأ الإسلامي في حرية الإعتقاد، وكل هذا لأن المسلم ليس مكلفاً أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم على الله في يوم القيامة قال تعالى: (وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ * ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ) (سورة الحج: الآية: (٦٨،٦٩)، وقال تعالى يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب: (فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ) (سورة الشورى: الآية ١٥).
(٤) ابن حنبل، **مسند أحمد**، حديث، (١٢٤/٦)، رقم ٢٥٩٥، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط:حسن لغيره.
(٥) الصوامع: أماكن عبادة النصارى بنوها في الصحاري، انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب: ج** ٢٣ص٣٦.
(٦) عبد الله ناصح علوان، (١٩٨٤م)، **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية**،(ط٢)، دار السلام: ص ١١٨.

وفي تركه يعمل طبقاً لعقيدته، وعدم إكراهه على اعتناق ما يخالف هذه العقيدة، ثانيهما: مجادلة صاحب العقيدة بالحسنى[١].

ومن أظهر الأدلة على سماحة الإسلام، وكفالته لحرية العقيدة، وعدم الإكراه والإعنات فيها، ما شرعه من إباحة الزواج بالمرأة الكتابية غير المسلمة. في قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ..﴾[٢] وفي هذا أسمى أنواع السماحة والحرية الدينية[٣].

إن الإسلام ربى المسلمين على الالتزام بتعاليمه عملياً، لذلك حفل التاريخ الإسلامي بنماذج رائعة من السلوكيات الفاضلة التي قام بتمثيلها أعلام الإسلام وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يأتي ذكره إنما مجرد أمثلة كمظاهر للتعامل الكريم من قبل المسلمين لأهل الكتاب، وإعطائهم الحرية الدينية، دون إجبار على عقيدة معينة.

ولقد اعترف بذلك غير واحد من علمائهم ومفكريهم، يقول فلاسكو إيفانيز في كتابه: (في ظل الكاتدرائية): "أما مبدأ حرية ممارسة الشعائر – وهو حجر الزاوية لعظمة كل أمة – فكان العرب حريصين على تطبيقه، ففي المدن التي حكموها كانت كنيسة المسيحيين تقوم إلى جانب معبد اليهود"[٤].

ويقول روبرتسن: (إن المسلمين وحدهم الذي جمعوا بين الغيرة لدينهم، وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وأنهم مع امتشاقهم الحسام نشراً لدينهم، تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بتعاليمهم الدينية) [٥]

---

(١) د. عبد العزيز الخياط، (١٩٧٢م)، **المجتمع المتكافل**، عمان: مؤسسة الرسالة: ص ١٣٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥.

(٣) انظر: **عالم الفكر**، مجلد أول، عدد ٤، الإسلام وحقوق الإنسان، زكريا البري، يقول الشيخ محمد عبده: "أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية نصرانية كانت أم يهودية وجعل من حقوق الزوجة الكتابية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها، والقيام بفروض عبادتها، والذهاب إلى كنيستها أو بيعتها وهي بمنزلة البعض من الكل، وألزم له من الظل وصاحبته في العز والذل – والترحال والحل- بهجة قلبه وريحانة نفسه وأميرة بيته، وأم بناته وبنيه، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه، لم يفرق الدين في حقوق الزوجية بين الزوجة المسلمة والزوجة الكتابية، ولم تخرج الزوجة الكتابية باختلافها في العقيدة مع زوجها من حكم قول الله تعالى: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا)، سورة الروم :الآية ٢١ فلها حظها من المودة ونصيبها من الرحمة".

(٤) محمد شريف الشيباني،(١٩٨٨م)، **الرسول في الدراسات الإستشراقية المنصفة**،(ط١): ص ٤٤٥.

(٥) د. يوسف القرضاوي، (١٩٩٤م)، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**،(ط٦)، بيروت: مؤسسة الرسالة: ص ٢١.

المطلب الأول: الحرية الدينية لوفد نجران[١]

ومن مشكاة النبوة في الحرية الدينية ما أعطاه عليه السلام لنصارى نجران لمن لم يسلم منهم، فقد روى ابن قيم الجوزية نص الرسول عليه السلام لأهل نجران والذي يظهر فيه معالم الحرية الدينية التي أعطاها لهم الرسول عليه الصلاة والسلام[٢] ونصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي، إلى الأسقف[٣] أبي الحارث وأساقفة نجـران وكهنتهم[٤] ورهبانهم[٥] ومن تبعهم أن لهم ما تحت أيديهم مـن قليـل أو كثيـر مـن بـيعهم[٦] وصلواتهم ورهبانيتهم، وجوار الله ورسوله، ولا يتغير أسقف مـن أسـقفيته، ولا راهـب مـن رهبانيته، ولا كاهن من كهانته ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا شـيء ممـا كـانوا عليه، على ذلك جوار الله أبدا ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم، غير مثقلين ولا ظالمين، وكتبـه المغيرة بن شعبه[٧].

فمن كتاب رسول الله عليه السلام يظهر لنا حرصه عليه السلام على إعطاء المـدعوين الأمن والأمان وبكل عدل حتى لو لم يسلموا، فكل المفردات الدينية والألقاب المعتبرة فلا يـصح التعدي عليها بل إن ابن إسحاق يقول: (لما قدم وفد نجران على رسول الله عليه السلام دخلـوا عليه مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس مـنعهم فقـال عليه السلام: دعوهم فاستقبلوا فصلوا صلاتهم[٨].

وعقب ابن الجوزي على هذه القصة في الهدي النبوي "فذكر ما فيها من الفقه : "جـواز دخول أهل الكتاب على مساجد المسلمين، وتمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين،

---

(١) نجران، بالفتح ثم السكون وآخره نون، وهي نجران الواقعة في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية وهـي إحدى مدن المملكة العربية السعودية وبها كان خبر الأخدود، **معجم البلدان**: ج ٥،ص٢٦٦-٢٧١.

(٢) ابن قيم الجوزيه: **زاد المعاد** :ج٣،ص٦٣٥ . وانظر البيهقي، **دلائل النبوة**: ج ٥،ص٣٨٩.

(٣) الأسقف: مرتبة دينية توجب على من يتصف بها رعاية كنيسة الرب، إذ يجب أن يتصف بـصفات تؤهلـه لذلك منها أنه صحيح الإيمان سليم المعتقد قادر على أن يعلم الآخرين. انظـر: د بطـرس عبـد الملـك وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**: ص٧٢.

(٤) الكاهن: خادم دين في إصطلاح الكتاب المقدس، وهو الشخص المخصص لتقديم الذبائح والقرابين .**قاموس الكتاب المقدس** :ص٧٩١.

(٥) الرهبان: جمع راهب مأخوذة من الرهبة، والرهبان: علماء النصارى وهم المنقطعون للعبـادة، المتبتلـون، الذين تركـوا الـزواج والعمـل. انظـر: القرطبـي **تفـسيرالقرطبي**: ج ٨،ص٧٧، والـشوكاني، **فـتح القدير**:ج٢،ص٤٠٣، والجرجاني علي بن محمد بن علي (ت:٧٤٠هـ)، **التعريفات** ط١، (تحقيق عادل أنو خضير): دار المعرفة، بيروت،٢٠٠٧م، ص:١٠٣

(٦) البيع، جميع بيعه، وهو كنيسة النصارى، الرازي، **مختار الصحاح**: ص٤٢.

(٧) المغيرة بن شعبة الثقفي، اسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها، وشهد بيعة الرضوان، ولاه عمر رضي الله عنه الكوفة، وأقره عثمان رضي الله عنه ثم عزله، مات سنة ٥٠ هـ، ابن الأثير: **الإصابة**: ج٣،ص٤٥٣.

(٨) ابن هشام**، سيرة النبي عليه السلام:** ج ١،ص٤١٩، وانظر البيهقي**، دلائل النبوة:** ج٥،ص ٣٥٢

وفي مساجدهم أيضا، إذا كان ذلك عارضا، ولا يمكنون من إعتياد ذلك"[١].

وعلى هدي رسول الله عليه السلام سار الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في ترك الناس أحرارا في عقائدهم، وإعطائهم الأمان على كل ما يملكون، حتى على أساقفتهم ورهبانهم وبيعهم، فقد جاء في كتاب أبي بكر –رضي الله عنه – إلى نصارى نجران قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب به عبد الله، أبو بكر خليفة محمد النبي عليه السلام لأهل نجران: أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي عليه السلام على أنفسهم، وأرضهم، وملتهم، وأموالهم، وماشيتهم، وعبادتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وأساقفتهم، ورهبانهم، وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يخسرون ولا يعشرون، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته[٢].

المطلب الثاني : الحرية الدينية التي أعطاها سيدنا عمر رضي الله عنه لأهل بيت المقدس (العهدة العمرية)[٣]

وعلى هدى رسول الله عليه السلام سار الصحابة الكرام رضي الله عنهم في إعطاء الحرية الدينية لأهل البلاد المفتوحة، ففي صلح سيدنا عمر رضي الله عنه مع أهل إيليا[١] (بيت المقدس) ما يشير إلى هذه الحرية الدينية ومنه:

---

(١) ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد**: ج ٣،ص٦٣٨. ولقد اختلف العلماء في دخول الكفار المساجد، والمسجد الحرام، وما ذهب إليه ابن القيم هو القول الوسط في هذه المسألة، وهو الذي تشهد له الأدلة والله أعلم. انظر: **تفسير القرطبي**:ج ٨،ص٦٧. والشوكاني، **فتح القدير**: ج٢/ص٣٩٨.

(٢) البيهقي، **دلائل النبوة**:ج ٥،ص٣٩١.

(٣) العهدة العمرية: لقد سمى عهد عمررضي الله عنه لأهل إيلياء:(بالعهده العمرية)، وأصبح عهد عمر، أو الشروط العمرية نواة لكتب فقهية مثل:كتاب الشيخ عبدالله محمد بن الشيخ مفلح المقدسي الحنبلي (ت:٧٦٣هـ - ١٣٦١م)،وعنوانه: (**الآداب الشرعية والمصالح المرضية**)، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٢ (أخلاق –المكتبة التيمورية)، ومثل كتاب: **منهج الصواب في قبح إستكتاب أهل الكتاب**، لابن الدريهم (أبو الحسن علي بن محمد ابن أبي الفتح المصري، (ت:٧٦٣- ١٣٦١)، وهو ميكروفيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، رقم ٥١ سياسة،ومثل كتاب **المذمة في إستعمال أهل الذمة**، لابن النقاش المصري شمس الدين أبي أمامه من علماء القرن الثامن الهجري وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٩٣، فقه الشافعي ورقم ٣٩٥٢ تاريخ ورقم ٤٣١٥، ومصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٤٦٥، **وشروط عمر بن الخطاب** لابن البلاغ عبد الغني الصباغ الذي عاش في القرن التاسع الهجري –الخامس عشر الميلادي، وقد صاغ شروط عمر بن الخطاب في قصيدة شعرية نظمها سنة ٨٤٠ه-١٤٣١م، في مائتين وأحد عشر بيتاً وهي موجودة كمخطوطة في دار الكتب المصرية، رقم ١٠٩٠/تاريخ تيمور.كذلك أشارت كتب الحسبة التي أُلفت في مصر منذ القرن ٧هـ/١٢م، وفي غيرها من ديار الإسلام إلى الشروط العمرية وإلى القيود التي كان على أهل الذمة أن يخضعوا لها مثلما نجد في كتاب **معالم القربة في أحكام الحسبة**، لابن الأخوة المصري، (٧٥٩هـ - ١٣٢٨م)، وهو كتاب منشور حيث حققه ونشره المستشرق الإنجليزي روبن ليفي مع ترجمة إنجليزية في مجموعة جب التذكارية سنة ١٩٣٨م.

" هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان:

أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، وكنائسهم وصلبانهم، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم"(٢).

أن المسلمين بعيدون جدا عن إكراه غيرهم على الدخول في الإسلام وإن كان تحت يدهم وتصرفهم،" فهذا عمر رضي الله عنه كان له عبد يقال له: (أسبق) شهد لعمر صنيعاً شريفاً في هذا الخصوص، قال أسبق : (كنت مملوكا لعمر بن الخطاب وانا نصراني فكان يعرض علي الإسلام ويقول: إنك لو أسلمت إستعنت بك على أمانتي، فأبيت عليه ذلك فقال: لا إكراه في الدين، فلما حضرته الوفاة أعتقني وأنا نصراني، وقال لي: إذهب حيث شئت)(٣).

إن معاهدة عمر رضي الله عنه مثل رائع من أمثلة الحفاظ على حقوق غير المسلمين والتي فيها الحرية الدينية، حتى إنه لم يرض أداء الصلاة في كنيسة القيامة ؛ خشية أن يقتدي به المسلمون ويقولون : هنا صلى عمر، فتصبح الصلاة في داخل الكنيسة حقا، وقد يؤدي هذا إلى الاستيلاء على الكنسية"(٤).

وتوحي هذه الدبلوماسية المرنة من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، بالهدف الحقيقي من المعاهدات الإسلامية، وهو نشر الدعوة الإسلامية وإعتناقها دون إكراه(٥).

فقد أعطاهم سيدنا عمر رضي الله عنه الأمان لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم؛ لأن الإسلام يحترم المبادئ، والشرائع غير الإسلامية(٦).

---

(١) إيلياء: اسم مدينة بيت المقدس: بيت الله، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**: ١ج،ص٢١٣.

(٢) الطبري، **تاريخ الطبري:** ج٢،ص٤٤٩، وانظر د. محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**: ص ٤٨٨.

(٣) الجصاص، أبو عبد الله بن علي الرازي (ت: ٣٧٠ هـ) **أحكام القرآن**، ط١،(خرج أحاديثه عبد السلام شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م :ج٢،ص٤٧.

(٤) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت: ٨٤٥هـ) **الخطط**، مكتبة الآداب القاهرة: ج٤،ص٣٩٤.

(٥) د. ياسين غادي، (١٩٩٥) **الدبلوماسية الإسلامية مقارنة بالقانون الدولي الحديث**،(ط١)، عمان : الشركة الجديدة: ص ٥٩.

(٦) يلزمنا التوفيق بين القول ببطلان الديانة اليهودية والمسيحية بعد أن داخلهما التحريف والإعتراف بالكيان لهما، أقول: إن الإسلام وهو ينظر إلى عالم الواقع ويتخذ موقفاً منهم لا يبني نظره وموقفه على سطحيةٍ وقصور، لا ينظر الإسلام إلى الواقع من حيث هو واقع فحسب، فيقره أو يرفضه تلقائياً، وإنما يبحث ويتحرى ما إذا كان لهذا الواقع أصل شرعي قديماً يحتوي على نقاط الإلتقاء مع الإسلام أم لا، وما هي التطورات التي شابت هذه النقاط وأدت إلى حدوث الإختلاف والتعدد في الديانات، ثم توضع هذه الأمور في عين الإعتبار عند إجراء التعامل، ومن ثَمّ فإن نظر الإسلام إلى اليهودية والمسيحية ليست كنظرته إلى ديانات أرضية وثنية ووصفُ الإسلام اليهود والنصارى بأنهم أهل الكتاب ويعاملهم لا كمعاملته لأهل الأهواء على حد تعبير الشهرستاني حيث ميز بين أهل الديانات السماوية والأرضية حتى في الإصطلاح الخاص بكلٍ منها، فوصف أهل الديانات السماوية بأهل الملل، ووصف أهل الديانات الأرضية بأهل النحل=

المطلب الثالث: الحرية الدينية التي أعطاها عمرو بن العاص للقبط

لقد أعطى عمرو بن العاص رضي الله عنه، الأمان لأهل مصر على أموالهم، وأنفسهم، وكنائسهم، وصلبانهم، وبهذا يضرب المسلمين أروع الأمثلة في احترام عقائد الشعوب، وهذا الاحترام دلالة على سعة أحكام المسلمين الصالحة لكل زمان ومكان.....

هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم، وصلبانهم....[١].

في ظل حكم المسلمين استردت البلاد حريتها الدينية كاملة، ونالت ضمانا واضحا أن تبقى للمعابد قداستها، فلا يقتحمها أحد، ولا تخدش شعائرها...

وكان الأقباط محرومين من هذا الأمان في أثناء حكم الرومان، لاختلاف المذهب الديني، وإن انتمى الفريقان للنصرانية[٢].

فمن صورة حفظ حرية العقيدة ووضع الأمور في وضعها الصحيح أن الدولة المسلمة كانت تتدخل في حل المشاكل الخلافية بين مذاهب النصارى وتنصف بعضهم من بعض، فقد كان الملكانيون[٣] يضطهدون أقباط[٤] مصر في عهد الروم ويسلبونهم كنائسهم حتى إذا فتحت مصر رد المسلمون إلى الأقباط كنائسهم وأنصفوهم وتطاول الأقباط بعد ذلك على الملكانيين، انتقاما مما فعلوه بهم قبل الفتح العربي، فشكوا ذلك إلى هارون الرشيد فأمر بإسترداد الكنائس التي إستولى عليها القبط، بمصر وردها إلى الملكانيين بعد أن راجعه في ذلك بطريرك الملكانيين[٥].

=والأهواء وهو تميز جيد .انظر :الشهرستاني،**الملل والنحل** ص:٤٠. وانظر: محمد المبارك، (١٩٦٥م)، **نحو إنسانية سعيدة**، دمشق :جامعة دمشق: ص١١٤.

(١) الطبري، **تاريخ الطبري**: ج ٢،ص٥١٤.

(٢) محمد الغزالي، **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**،ص١٧٧، وانظر مجدي جرجس، **القضاء القبطي في مصر**: ص٤٥

(٣) الملكانية: فرقة من فرق النصارى تقول بأن الجوهر غير الأقانيم، وقالوا بالتثليث، وأخبر عنهم القرآن "لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة "المائدة :٧٣.وقالوا إن المسيح ناسوت كلي لا جزئي وهو قديم أزلي، وقد ولدت مريم عليها السلام إلهاً أزلياً. والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معاًالشهرستاني، **الملل والنحل** :٢٣٦.

(٤) القبط: من ولد حام، أهل ملك بديار مصر، وقد اختلط بهم طوائف من اليونان،والعماليق،والروم،وغيرهم، وكانوا سالفاً ذوي هياكل وأصنام، ومنهم علماء بالفلسفة،ولقبت ملوكهم بالفراعنة. انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**: ج ٤،ص٢٧٢، وابن الوردي ابن الوردي، زيد الدين عمر بن الوردي، (ت: ٧٤٩)،تتمة المختصر في أخبار البشر، ط١، م٢، (تحقيق أحمد رفعت البدراوي)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م، ج١،ص١١٦، وفي **المصباح المنير**: (القبط بالكسر: نصارى مصر. الواحد قبطي). انظر: احمد بن محمد الفيومي المصري، **المصباح المنير**: ج٢،ص٦٦٩

(٥) د. مصطفى السباعي(١٩٧٥م)، **من روائع حضارتنا**،(ط١٠)، مطبعة النور النموذجية :ص٦٨.

ولقد ضرب الإسلام أجمل وأروع الصور في إعطاء غير المسلمين حقوقهم الدينية لدرجة أن إمرأة مسيحية شكت إلى "أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه " وهي من سكان مصر أن عمرو بن العاص قد : أدخل دارها في المسجد كرها عنها، فيسأل عمرا عن ذلك فيخبره أن المسلمين كثروا وأصبح المسجد يضيق بهم وفي جواره دار هذه المرأة وقد عرض عليها عمرو ثمن دارها وبالغ في الثمن فلم ترض، مما إضطر عمرو إلى هدم دارها، وإدخاله في المسجد، ووضع قيمة الدار في بيت المال تأخذه متى شاءت، ومع أن هذا مما تبيحه قوانيننا الحالية وهي حالة يعذر فيها عمرو على ما صنع فإن عمر لم يرض ذلك وأمر عمراً أن يهدم البناء الجديد من المسجد ويعيد إلى المرأة المسيحية دارها كما كانت[١].

وقريبا من ذلك أن الوليد بن عبد الملك أخذ كنيسة يوحنا من النصارى وأدخلها في المسجد، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شكا النصارى إليه، ما فعل الوليد بهم في كنيستهم، فكتب إلى عامله برد ما زاده في المسجد عليهم، لولا أنهم تراضوا مع الوالي على أساس أن يعوضوا بما يرضيهم[٢] .

يقول صاحب كتاب القضاء القبطي في مصر: " إن الأساس الذي سار عليه العرب الفاتحون في معاملة القبط كان إمتداداً لموقف الرسول عليه السلام من أهل الكتاب والذي تميز بالعطف عليهم وهكذا نظر القبط إلى العرب الفاتحين إلى أنهم معونة السماء التي خلصتهم من جور الرومان وإضطهادهم وأتاحت لهم حرية الإعتقاد وممارسة الشعائر الدينية"[٣] .

وعلى هدى رسول الله عليه السلام وخلفائهم الراشدين سار الصحابة الكرام وقادة الحملات العسكرية في إعطاء أهل البلاد المفتوحة من أصحاب الديانات الأخرى الحرية الدينية.

وقد كان خالد بن الوليد قد مر ببلاد عانات، فخرج إليه بطريقها[٤] فطلب الصلح فصالحه، وأعطاه ما أراد:

"على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة، وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا من ليل أو نهار إلا في أوقات الصلوات، وعلى أن يخْرجوا الصلبان في أيام عيدهم". وعلى مثل هذا صالح خالد بن الوليد رضي الله عنه أهل النقيب والكواثل، وأهل قرقيسيا[٥].

---

(١) د . مصطفى السباعي، **من روائع حضارتنا**، ص٦٨.
(٢) د. يوسف القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**: ص٧٩.
(٣) مجدي جرجس، **القضاء القبطي في مصر**: ص٤٦ .
(٤) البطريق: الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم، وهو ذو منصب وتقدم عندهم بمنزلة الأئمة أصحاب المذاهب لنا: ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**:ج١،ص١٢٧.
(٥) د. محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية**: ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨.وقرقيسيا :مدينة قديمة على ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات.انظر، الحموي، **معجم البلدان** :ج٤ص٣٢٨.

وكذلك معاهدة سيدنا خالد رضي الله عنه مع أهل دمشق والتي فيها: (هذا كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق: إني قد أمنتهم على أموالهم ودمائهم وكنائسهم...)[1].

وكذلك فعل الصديق رضي الله عنه عندما أرسل جيش أسامة، حيث أوصاه قائلا: (وسوف تمرون على قوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)[2].

وبعد هذا العرض يظهر لنا جمال ديننا في دعوته للآخرين، فهو دين الحجة والإقناع، وهو لا يكره أحداً على الدخول فيه؛ لأن طبيعة الإيمان تتناقض مع الإكراه فلا إيمان مع الإكراه، وغاية الإسلام أن يختار الإنسان مصيره ويتحمل مسؤوليته.

وقد بلغت الشريعة الإسلامية غاية السمو عندما كفَلَتْ حرية العقيدة وحمايتها لكل الناس المقيمين في الدولة، ففي إمكان غير المسلمين أن يعلنوا دينهم ومذهبهم وعقيدتهم، وأن يباشروا طقوسهم الدينية، وان ينشئوا المدارس والمعابد لإقامة دينهم ودراسته دون حرج عليهم، سواء أكان هؤلاء يهوداً أو نصارى، بل ولهم أن يكتبوا ما يشاءون عن عقيدتهم وأن يقارنوا بينها وبين غيرها من العقائد الأخرى، في حدود النظام العام والآداب والأخلاق الفاضلة، وأقرت الشريعة تبعا لذلك ضرورة احترام أماكن العبادة للناس جميعا دون تمييز بين الأديان وذلك إستناداً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[3][4].

ولقد أعلن الإسلام الحرية الدينية وكفلها للناس بصورة لم تعهدها الإنسانية قديما وحديثا.

وأكد المدركون[5] من العلماء والكتاب المعاصرين عدم الخلط بين مبدأ حرية العقيدة وبين تقرير عقوبة المرتد، والقرآن نفسه قد كشف أن الردة لا صلة لها بحرية العقيدة فقال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[6].

---

(1) د. محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية** : ص ٤٥٧.
(٢) عبد الله علوان، **معالم الحضارة**: ص.١٢٣
(٣) سورة الحج: الآية ٤٠.
(٤) د عبد العزيز الخياط، **المجتمع المتكافل**: ص ١٣٨.
(5) على سبيل المثال لا الحصر الأستاذ الإمام محمد عبده، والأستاذ أبو الاعلى المودودي، والمستشار عبد القادر عودة، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ عبد الله ناصح علوان.
(٦) سورة آل عمران: الآية ٧٢

إن حفظ الدين من الضرورات التي تَكَفَّل الإسلام بحفظها، والدفاع عنها، فالإسلام مع تَركِ الناس أحرارا في عقائدهم منع التلاعب في المعتقدات واتخاذ الأديان هزواً ولعباً، ومنع استحداث معتقدات جديدة تتناقض والأديان السماوية لا سيما الإسلام، ولهذا جعل عقوبة المرتدين عن الإسلام القتل، يناقش أولا ويعرف لماذا ترك الإسلام وتُقام عليه الحجج، فإن كان لظلم وقع عليه يرفع عنه، وإن كان لشبهة عرضت له تزال عن عقله، فإن أصر على الكفر يعاقب بالقتل[١].

ويبين سيد قطب خطورة التلاعب بالدين الذي استحقوا عليه هذه العقوبة (وهي طريقة ماكرة لئيمة فإن إظهارهم الإسلام ثم الرجوع عنه، يوقع بعض الناس ضعاف النفوس والعقول وغير المتثبتين من حقيقة دينهم، يوقعهم في بلبلة وإضطراب، وبخاصة العرب الأميين، الذين كانوا يظنون أهل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات والكتب، فإذا رأوهم يؤمنون ثم يرتدون حسبوا أنهم إنما إرتدوا بسبب إطلاعهم على خبيئة ونقص في الدين، وتأرجحوا بين إتجاهين فلم يكن لهم ثبات على حال)[٢].

يمنع الإسلام التلاعب بالأديان الأخرى كذلك حرصا على حرية الاعتقاد والأديان وحرصا على ثبات المجتمع، ومنعا له من الذبذبة، والتقلب مما يؤدي بالمجتمع إلى الفوضى والضياع[٣]، فما أمر الرسول عليه السلام بقتل المرتد إلا لتخويف أولئك الذين كانوا يريدون المكايد لإرجاع الناس عن الإسلام بالتشكيك، وبذلك يتفق الحديث الآمر بقتل المرتد مع الآيات النافية للإكراه في الدين[٤].

ومما يظهر لي في عقوبة المرتد أنها ليست لمعالجة خروج الناس عن الإسلام بقدر ما هي للتحرز من دخولهم فيه من غير إقتناع كامل؛ لأن الإسلام فيه من المقومات والعناصر الذاتية التي تضمن عدم رجوع من دخل فيه من غير اقتناع وإيمان تامين به كما قلنا سابقا.

---

(١) السرخسي، شمس الدين، (ت:٤٨٣هـ)، **المبسوط**، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨-١٩٧٨: ج ١٠، ص٩٨-٩٩.

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**: ج١،ص٤١٥.

(٣) د. عبد العزيز الخياط، **المجتمع المتكافل**: ص ٧١، وانظر أبو الاعلى المودودي، (١٩٨٠م)، **الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة**(ط٤)، الكويت: دار القلم: ص١٨٠ – ١٨١.

(٤) محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**:ج٣،ص٣٣٤ .

ويقول الشيخ محمد الغزالي: (إن الإرتداد عن الدين الإسلامي يساء إلى سمعة الإسلام وهو تمرد سافر على العبادات والتقاليد والشرائع والقوانين، أي التمرد السافر على نظام الدولة نفسها فلا يقل جرما عن الخيانة العظمى المتعارف عليها في كافة الدول ذات القوانين الوضعية، فالمرتدون يمثلون أكبر طعنة لوجود الدولة ذاتها، لذا لا تلام على موقفها الحازم الصارم حيالها)،أنظر: محمد الغزالي، (١٩٦٣) **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة**،(ط١)، القاهرة: مطبعة السعادة، :ص١٠١-١٠٢. بتصرف.

المبحث الثالث: التسامح واحترام إنسانية الإنسان

إن الشريعة الإسلامية يتسع ظلالها للمسلمين وغير المسلمين، وتاريخ دولة الإسلام كله يشهد واقع الحياة المشتركة المتعاونة بين المسلمين وغيرهم داخل الـوطن الإسـلامي، وهـذه الحقيقة مما يدل على إنسانية الإسلام وسماحته بقدر ما يدل على أن الاختلاف في الدين ليس من شأنه الحيلولة دون العيش بسلام بين المسلمين وسائر الملل والنحل .

إن جميع المواطنين في مجتمع المسلمين، بصرف النظر عن أصلهم العرقي أو إنتمائهم الديني، مكرمون من حيث إنسانيتهم، وهذا التكريم منحة ربانية ليس من حق أي إنسان، أو جهة إلغاؤه أو الانتقاص من َقدره، أو التنازل عنه.

قال تعالى: َ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ...﴾ [1]، ومدح الله تعالى المؤمنين فقـال﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا...﴾ [2]. فالإسلام يحث على إطعام الطعام للمسكين واليتيم، بل والأسير الذي قرنه الله بالمسكين واليتيم لضعفه وذلته في آن واحد، مع أن الأسير من قوم يعادون الآسر.

إن التسامـح[3] الذي كان يتلقـاه أفراد المجتمع الإسلامي من غير المـسلمين أمــر ذكره عدد ليس بالقليل من المستشرقين والفلاسفة والمؤرخين مـن الغـربيين فهـذا غوتيـه يقـول: (لقد ثبت أن الفاتحين من العرب كانوا على غاية من فضيلة المسامحة لم تكـن تتوقـع من أناس يحملون ديناً جديـداً، وما فكـر العـربـي قط في أشد أدوار تحمسه لدينه الجديد أن يطفئ بالدماء، ديناً منافساً) [4].

ويقول المؤرخ الشهير المعاصر "ويلز" في صدد بحثه عن تعاليم الإسلام "إنها َأسستْ في العالم تعاليم عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢) سورة الإنسان: الآية٠ ٨ .

(٣) ولابد من الإشارة لحالة عدم التسامح التي تلقاها المسلمون من أعدائهم حيث صنوف الإضطهاد والتنكيـل، ويحدثنا غوستاف لوبون عن ضرب من ضروب القسوة البربرية التي كانت طابع حكـم الـصليبيين فـي فلسطين فيقول: (لم يكتف قومنا الصليبيون الأتقياء بضروب العسف والتدمير والتنكيل التي اتبعوها، فعقدوا مؤتمراً أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود الذي كان عددهم ٦٠ ألفاً فـأفنوهم عن آخرهم في ثمانية أيام، ولم يستثنوا منهم امرأة ولا ولداً ولا شيخاً). انظر غوستاف لوبـون،(١٩٥٦م)، **حضارة العرب**، ط٣، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية: ص ٣٢٧.

(٤) محمد كرد علي، (١٩٥٠م)، **الإسلام والحضارة العربية**، (ط٢)، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمـة: ج١،ص٤٢.

إنسانية السمة، ممكنة التنفيذ". إلى أن يقول: "إن الإسلام مليء بروح الرفق والأخوة"[١]. وقـال غوبينو في دراسته عن أديان آسيا إلى حد الجزم بأن: (لا دين يضارع الإسلام في التسامح) [٢].

لقد شهد التاريخ أن غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية قد نَعموا في ظل الإسـلام بالرخاء والأمن والسلامة، حيث رسم القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه الـصلاة والـسلام الطريق القويم للمسلمين في معاملة غير أتباع ديانتهم وسار السلف الصالح في ضوء ذلك ممـا حدا بالمستشرقين والكتّاب المنصفين من الغرب أن يشيدوا بذلك التسامح.

وسوف نرى في الصفحات الآتية صوراً من حياته ﷺ وهو يتعامل مـع أهـل الكتـاب بالتسامح واللطف وعلى ذلك سار الصديق وعمر رضي الله عنهمـا والأجيـال اللاحقـة مـن المسلمين الكرام .

ولا ننسى سماحته ﷺ مع أهل نجران عندما كتب كتاباً فيه: (ولنجران وحاشيتها جـوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم، وأنفسهم، وملّتهم، وبيعهم، وغـائبهم وشـاهدهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش"[٣].

وسماحة الإسلام واحترامه لكرامة الإنسان مراعاة حتى في حالة الحرب فقد نهى ﷺ عن قتْل النساء والأطفال، وحرم التمثيل بجثث الموتى فقد روى عن صفوان بن عسال قـال: بعثنـا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فقال: (سيروا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفـر بالله ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً) [٤].

وأمر ﷺ بقتل من يقاتل فقط رجلاً أو امرأة وعندما مر على امرأةٍ مقتولة فقال: ما كانت هذه لتقاتل: (ونهى عن قتل النساء والصبيان) [٥].

---

(١) أحمد إسماعيل يحيى، (١٤٣٣هـ - ٢٠٠٢م)، **الإسلام بين الواقع والتحديات والمستقبل**،(ط١)، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب: ص ٦٣.

(٢) اليكس جوافسكي، (١٤٢١ه-٢٠٠٠م)،**الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحـوار والتفـاهم**، (ط٢)، بيروت:دار الفكر المعاصر، ترجمة د.خلف الجراد: ص١٧٦.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد: ج٣،ص٦٣٥.

(٤) القزويني، أبي عبد الله محمد بن يزيد، (ت ٢٧٣هـ)، **صحيح سنن ابن ماجه**، ط٣، م٣، (تحقيـق محمـد ناصر الدين الألباني) مكتب التربية العربي لدول الخليج، بيروت، ١٤٠٨هـ، في باب وصية الإمام، حديث رقم ٢٨٥٧، ج٢، ص١٤٠. قال: حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه **ابن ماجه في سننه**، كتاب الفرائض، بـاب الغـارة والبيـان وقتل النساء والصبيان، ، حديث رقم ٢٨٤١:ج٤، ص ٣٦٣. إسناده صحيح. القزويني، أبي عبدالله محمد بن يزيد، (ت:٢٧٣هـ)، **سـنن ابـن ماجه**، (ط١)، م٦، (حققه وخرج أحاديثه بشار عواد)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م.

ونهى ﷺ عن قتل أصحاب الصوامع في حديث رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ قـال: (ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع) [١]، فالنساء من غير المقاتلات والأولاد ورجال الدين ومن في حكمهم من المدنيين لا يقتلون ولا يقع عليهم الأسر[٢].

وأظهر رسول الله ﷺ سماحة لا نظير لها فيما عقد من صلح مع البلاد التي فتحها، ومن شأن المنتصر أن يستبد ويملي شروطه بدافع من الغيظ والانتقام والغرور.

فقد عقد معاهدة مع قبيلة تَغْلِب النصرانية سنة ٩هـ وكان الإسلام قـوي، ودانـت بـه العرب، أباح لهم فيها البقاء على نصرانيتهم[٣].

وعلى نهج رسول الله ﷺ في التسامح مع النصارى والعدل فيهم سار أبو بكر رضي الله عنه كذلك فعندما أرسل الصديق جيش أسامة أوصاه تلك الوصايا الخالدة التي سطرها التـاريخ والتي قال فيها: (يا أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني، لا تخونـوا ولا تُغِلّـوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقـروا نخـلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بعيراً إلا لمأكلةٍ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فَدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ...)[٤].

وعندما نُلقي الضوء على سيرة الفاروق عمر رضي الله عنه نطلع على صور متعـددة من التسامح والعدل وإحترام لإنسانية أهل الكتاب.

فعمر عندما كان بالشام وقد حانت الصلاة وهو في كنيسة القيامة فطلب البطريـق مـن عمر أن يصلي بها، فاعتذر بأنه يخشى أن يصلي بالكنيسة فَيدعي المسلمون فيما بعد أنها مسجد لهم، فيأخذونها من النصارى[٥].

ثم هو عمر رضي الله عنه يعطي أهل إيلياء[٦] النصارى عهداً ينم عن حرصـه علـى السِلم أكثر من حرصه على النصر فنراه يرحل بنفسه إلى مدينتهم ويكتب بينه وبينهم عهداً جـاء فيه: "…. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء، من الأمـان، أعطـاهم أمانـاً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائـسهم ولا

---

(١) أخرجه **أحمد في مسنده**، حديث رقم ٢٧٢٨، ص ٢٥٠، ونسبه في مجمع الزوائد لأحمد وأبي يعلى والبزار والطبراني في الكبير الأوسط، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا إبراهيم بن إسـماعيل وثقـة أحمـد وضعفه الجمهور، انظر الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: ج٥،ص٤٠٧.

(٢) ابن رشد، أبي الوليد (ت ٥٢٠هـ)، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، تحقيق محمد صبحي دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ج٢،ص٥٥٩.

(٣) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**: ج ١،ص٣١٦.

(٤) الطبري، **تاريخ الطبري**:ج٢،ص٢٤٦.

(٥) المقريزي، **الخطط**: ج ٤،ص٣٩٤.

(٦) إيلياء: اسم مدينة بيت المقدس، ومعناه: بيت الله، **معجم البلدان**: ج ١،ص٢١٣.

تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أمـوالهم ولا يكْرهـون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكُن بإيلياء معهم أحد من اليهود ...." [١].

ولقد كانت سماحة عمر في تعامله مع المسيحيين والنابعة من إلتزامه بالشرع الحنيـف تأخذ صوراً متعددة أراد من المسلمين الذين يجيئون بعده مهما يمتد الزمن أن يكونـوا سـمحاء مثله[٢].

وبينما هو يسير بالشام لقيه قوم من نصارى أذرعات يلعبون بالسيوف والريحان أمامه، كما تعودوا أن يفعلوا في الإحتفال، ففكر في منْعهم، لأنه يكره مظاهر الأبهة، فلما عِلِم من القائد أبي عبيدة بن الجراح أن هذه عادتهم وأنه إن منعهم ظنوا أنه نقض عهدهم، قال لأبـي عبيـدة: عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة[٣].

وبلغ من حرص عمر رضي الله عنه على الرحمة وتسامحه مع أهل الكتاب،أن عـزلَ والياً أحس أنه ضاق ذرعاً ببعض أهل الكتاب في ولايته، فخاف عمر أن يجور عليهم، روى أن نصارى تغلب كانوا يناوئون وإليهم الوليد بن عقبة، فَنَفَدَ صبر الوليد، مما كانوا يعملون، فقـال شعراً يتوعدهم ويهددهم وسمع عمر بعض هذا الشعر فخشي أن يقسو الوليد عليهم، وأن يبطش بهم، فعزله عن ولايته، وعين أميراً غيره[٤].

ولا ننسى أن نقول إن حرص عمر على أداء الحقوق على وجهها الصحيح لأهل الذمـة إنه يوصي بهم الخليفة من بعده وهو في مرض موته فقال: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، وأن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم[٥].

---

(١) الطبري، **تاريخ الطبري**: ج٢،ص٤٤٩.

(٢) ومن تسامح عمر رضي الله عنه القصة المشهورة يوم أن رأى الرجل المسن من اليهود يسأل الناس فسأله عمر ما الذي حملك على السؤال فأجاب الرجل: الحاجة والسن، فأخذه عمر وفرض له عطاء وأمر خازنه أن انظر هذا وأمثاله فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عنـد الهـرم، إنمـا الـصدقات للفقـراء والمساكين، وهذا من مساكين أهل الكتاب)، أبو يوسف، **الخراج**: ص٤١٣.

ولقد سبق القرآن في تسامحه حيث لا يجيز الظلم لمتبعيه حتى مع أعدائهم قال تعالى: (وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ)، سورة البقرة، الآية :١٩٠، وكذلك الإسلام لا يأمر الرجل بقطيعة أهله لمخالفة دينه لدينهم بل يوجب عليه معاشرتهم بالمعروف وهذه صورة من صور التسامح وصدق الله تعالى حيث يقول: (... وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا...)، سورة لقمان: الآية ١٥.

(٣) أبو عبيد، كتاب **الأموال**: ص ١٨٠.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان** إعتنى به صلاح الدين المنجـد، مكتبـة النهضة المصرية، القاهرة: ج٢،ص٣٤٣.

(٥) القرشي، يحيى بن آدم، (ت ٢٠٣هـ)،**الخراج**،(ط١)، صححه وشرحه أحمد شاكر، المكتبة العلمية، لاهور – باكستان، ١٣٩٥: ص ٨١.

وقصص صلاح الدين في تسامحه مع الصليبيين أشبه بالخيال إعترف بها كتبة التاريخ لديهم يقول الأستاذ محمد كرد علي في كتابه (الإسلام والحضارة العربية):

(... فأبقى صلاح الدين على حياتهم، واستوصى بهم خيرا، وأغضى عن جواهر الصليبيين وما معهم من الذهب والفضة، وعامل نساء الإفرنج معاملة لطف وظرف، وسهل سبيل الخروج لملكتين عظيمتين بما معها من جواهر وأموال وخدم، ورخّص للبطريرك الأكبر أن يسير آمنا بأموال البيع وذخائر الجوامع التي كان غنمها الصليبيون في فتوحهم، ولما قال المسلمون لصلاح الدين: إن هذا البطريرك يقوى بما أخذ على حرب المسلمين ثانية قال: لا أغدر به، ولم يأخذ منه إلا عشرة دنانير فقط) [1].

والفضل في ذلك إلى روح الإسلام الذي يجعل المسلم يحترم حرية الآخرين، الإسلام الذي يبغض الظلم في أية صورة ومع أي شخص كان.

وسجل المؤرخ أرنولد تصويراً لجانب من جوانب تسامح وأخلاق صلاح الدين وتأثيرها في جيوش الصليبيين فيقول: (ويظهر أن أخلاق صلاح الدين في حياته التي إنطوت على البطولة قد أحدثت في أذهان المسيحيين و قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين وكذلك كانت الحال عندما ترك النصرانية فارس إنجليزي يدعى روبرت أوف سانت ألبانس في سنة ١١٨٥ واعتنق الإسلام ثم تزوج بإحدى حفيدات صلاح الدين) [2].

إن من صور العناية بالمسيحيين وأهل الذمة والتسامح معهم أن وجدنا علماء المسلمين يهتمون بهم وبراحتهم فعندما غزا التتار بلاد الإسلام، ووقع كثير من المسلمين والنصارى في أسرهم، ثم عادت الغلبة للمسلمين، ودان ملوكهم بالإسلام، خاطب شيخ الإسلام ابن تيمية أمير التتار بإطلاق الأسرى، فسمح له الأمير التتاري بفك أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح بأهل الذمة، فقال له شيخ الإسلام: لابد من فك الأسرى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمتنا، فأطلقهم له[3].

---

(١) محمد علي كرد، **الإسلام والحضارة العربية**: ج١،ص٢٩٧-٢٩٨.
(٢) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**: ص ١١١.ظ
(٣) عبد الله علوان، **معالم الحضارة في الإسلام** : ص ١٣٣.

والأوزاعي رحمه الله تعالى كان يمارس مساعدة النصراني بنفسه فقد روى أحمـد بـن أبي الحواري قال: (بلغني أن نصرانياً أهدى إلى الأوزاعي جرة عسل وقال له: يا أبا عمرو، تكتب إلى والي بعلبك، فقال: إن شئتَ رددت الجرة وكتبتُ لك، وإلا قبلتُ الجـرة ولـم نكتب له، قال: فرد الجرة وكتب له فوضع عنه ثلاثين ديناراً)[1].

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج، (ت ٥٩٧هـ) **صفة الصفوة**، ط١، تحقيق حامد أحمد الطـاهر، دار الفجر: القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م : ج ٤،ص٤٢١.

الفصل الثاني
دعوتهم للإسلام والتواصل الحواري معهم
(الرسائل والوفود)

المبحث الأول: رسائل الرسول ﷺ للملوك والأمراء

المبحث الثاني: المضامين العقدية لرسائل الرسول ﷺ للملوك وحواراته للوفود

المبحث الثالث: الحراك الذي أحدثته رسائل الرسول ﷺ

المبحث الرابع: تمييز طوائفهم ومراعاة الفوارق في مواقفهم

الفصل الثاني : دعوتهم للإسلام والتواصل الحواري معهم (الرسائل والوفود)

المبحث الأول: رسائل الرسول عليه السلام للملوك والأمراء

لقد كانت رسائل النبي عليه السلام تمثل الانطلاقة الأولى الحقيقية للعبور بالدين الإسلامي الحنيف من محيطه المحدود في شبه الجزيرة العربية إلى آفاق العالم المعروف آنذاك، كما أن الرسائل النبوية التي أرسلت إلى ملوك العالم[1] أنذاك كان لها هدف معين واضح ارتبط بعالمية الدين الإسلامي، ودعوة البشر لاعتناقه، لأنه دين سماوي منزل من عند الله تعالى والدين عند الله الإسلام، وقد كُتِبتِ هذه الرسائل النبوية الشريفة لتكون فعلاً وبحق حلقة الاتصال الأولى بين صاحب الدعوة رسول الله محمد بن عبد الله عليه السلام وقادة العالم آنذاك، حيث كانت تحتوي وتمثل منهجه عليه الصلاة والسلام لدعوة نصارى عصره، إذا علمنا أن بعض من استلم تلك الرسائل قد دخل في الإسلام فأسلم وأسلم قومه معه، وكان جواب البعض الآخر دبلوماسياً طيباً تعرف على الإسلام وانصرف عنه [2].

وسوف نتعرض لتلك الرسائل وندرسها دراسة نصية نعمل من خلالها على تحليل هذه النصوص لمعرفة كيف كان رسول الله يدعو الآخرين وبأي أسلوب.

---

(١) لقد كتب عليه الصلاة والسلام إلى الملوك والقادة يدعوهم إلى الإسلام، فقد روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي عليه السلام كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الإسلام" **أخرجه مسلم في الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي إلى الملوك الكفار يدعوهم إلى الله حديث رقم ٨٥٨٤ ح١٢ ص ٣٢٩.

(٢) لقد أكد القرآن الكريم على عالمية هذا الدين حيث نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ سورة القلم الآية: ٥٢ وأكد ذلك رسول الله عليه السلام في حديثه حيث قال: "وأُرسلت إلى الخلق كافة". أخرجه مسلم كتاب المساجد حديث رقم ١١٦٧ **صحيح مسلم بشرح النووي**،ج٥،ص٨ .ولقد أنكر عدد من المستشرقين عالمية الإسلام حيث قصروا مهمة رسول الله عليه السلام على العرب منهم: بندلي جوزي، مرجليوث، وهناك من المستشرقين من أكد على عالمية الإسلام أمثال: أرنولد في كتابه **الدعوة إلى الإسلام**، وكولادزيهر ونولدكه وسنماو الذي يؤكد أن الرسالة الإلهية ليست مقصورة على العرب، بل إن إرادة الله تشمل جميع المخلوقات" أنظر: اللواء الركن محمود شيت الخطاب، ١٩٨٩م**. السفارات النبوية**، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي،ص٤٥٣ – ٥٦٣، بتصرف. قلت:وجدنا تباعاً لهذا وجدنا من المستشرقين من يشكك في صحة السفارات والرسائل النبوية منهم وليام ميور في كتابه (حياة محمد) و(الخلافة)، والمستشرق الإيطالي ليون كيتا في كتابه (حوليات الإسلام) والمشترق اليهود مرجليوث في كتابه (محمد).
وفي المقابل وجدنا مستشرقين يؤكدون صحة هذه الرسائل أمثال نولدكه، والفرد تبلر واشجتون أرفنج فقد ذكر هذا صاحب السفارات النبوية محمود شيت الخطاب وذكر فقرات من أقوالهم: ص ٤٦٥ – ٤٨٠.
وأنظر: محمد عزة دروزة (١٣٦٧ هـ) **سيرة الرسول عليه السلام صورة مقتبسة من القرآن**، بيروت، مطبعة الاستقامة ج٢،ص٢٣١.انظر: د محمد أمين بني عامر (٢٠٠٠م)،**خصائص الدعوة الإسلامية**، عمان الدار العلمية ص:٢٠-٢٠٧ حيث فصل الحديث في الشبهات حول عالمية الدعوة بذكر الذين أثاروها من المستشرقين والرد عليهم وبيان فهمهم الخاطئ للآيات القرآنية .

لقد أرسل النبي عليه السلام في بداية السنة السابعة الهجرية[١] رسائل إلى ملوك وأباطرة العصر كان من بينها أول رسالة أرسلت من المدينة المنورة وكانت مرسلة إلى النجاشي[٢] ملك الحبشة حملها إليه الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري فكان أول مبعوث لرسول الله عليه السلام: تبدأ الرسالة الشريفة بالبسملة ثم تتحدث عن عيسى عليه السلام وعن مريم البتول، وتختتم الرسالة النبوية الشريفة بالدعوة إلى الإسلام، والسلام على من اتبع الهدى، ونص الرسالة النبوية الشريفة الأولى التي تذكرها المصادر العربية على النحو التالي: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني فتؤمن بي، وبالذي جاءني فإني رسول الله، وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفراً، ومعه نفر من المسلمين فإذا جاؤك فأقرهم ودع التجبر، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من أتبع الهدى[٣].

لقد مر معنا سابقا أن نجاشي الحبشة قد تقبل المسلمين منذ فجر الإسلام، حيث هاجروا له عند اشتداد أذى كفار مكة، وكان المتحدث باسم وفد المسلمين جعفر بن أبي طالب، وتقول المصادر العربية إن النجاشي قد أسلم ونطق بالشهادتين وعندما استلم رسالة رسول الله عليه السلام رد عليها بالرد التالي: "إلى محمد رسول الله من النجاشي الاصحم بن أبحر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام ، أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ... فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعت ابن عمك وأصحابه، وأسلمت على يديه لله رب العالمين ..." [٤].

(١) اختلفت المصادر الإسلامية حول تحديد السنة التي وجه بها الرسول عليه السلام رسله وسفراءه إلى أطراف الجزيرة وملوك العالم المعاصر، فابن هشام (٢٠٧ هـ) يقول: كان ذلك بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية، وابن سعد (٢٣٠ هـ) ذكر روايتان أولها: أن رسول الله لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، والثانية: في ذي القعدة سنة ثمان، أنظر: د. محمد ارشيد العقيلي **السفارات النبوية**، ١٤٠٦هـ، ط ١، بيروت: دار إحياء العلوم: ص ٦٨.

(٢) وهو النجاشي الذي أسلم وأحسن ضيافة جعفر ومن معه لأن رسول الله عليه السلام أرسل أيضاً رسالة أخرى للنجاشي الثاني الذي إستلم الملك بعد الأول الذي أسلم. والثاني لم يسلم. انظر **صحيح مسلم بشرح النووي** من رواية انس ط٢، ج٢، دار إحياء التراث : ص ١١٢.

(٣) محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية** : ص١٠١.

(٤) الإمام أحمد، **مسند أحمد**: ص١٠٤.

رسالته ﷺ إلى المقوقس(١) عظيم القبط(٢)

لقد كان المقوقس من المترقبين الذين يستشفون الأخبار عن رسول عليه السلام وما أتى به، فقال مرة لوفد من تجار العرب من ثقيف حيث دار بينه وبينهم حوار وكان في آخره قول المقوقس: هذا نبي مرسل إلى الناس كافة"(٣). ومن المعلوم أن الرسول عليه السلام أرسل الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعه اللخمي(٤) برسالة إلى المقوقس وكان فيها(٥):

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من إتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٦).

ولقد أرسل عليه السلام أيضاً رسالة إلى هرقل قيصر الروم حيث إشتملت هذه الرسالة على آية كريمة، وحملها الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي(٧)ونصها(٨).

---

(١) المقوقس: لقب جريج بن مينا القبطي، كبير القبط، وهو معين على مصر من قبل هرقل وكان نصرانياً، وتابعاً لملك الروم، أرسل النبي عليه السلام إليه حاطب ابن أبي بلتعة-رضي الله عنه-،برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام،وتذكر الكاتبة الإنجليزية ا.ل.بتشر: أن اسمه جرجس بن مينا بركوبوس،وقد تحدثت عنه حديثاً واسعاً تحاملت فيه على هذا الرجل، واتهمته بالخيانة مع المسلمين، ثم واصلت حديثها الذي زورت فيه الحقائق، وجعلت من الباطل حقاً ومن الحق باطلاً.وذلك في كتابها:**تاريخ الأمة القبطية وكنيستها** ج٢،ص١٢٣،مطبعة مصر بالفجالة سنة ١٩٠١. أنظر في القصة: ابن حجر **الإصابة**:ج ٣،ص٥٣٠، الحلبي، **السيرة الحلبية** ج٣،ص٣٤٩، وابن كثير،**البداية والنهاية**ج٤، ص٢٧٢، ابن الوردي، **تتمة المختصر**:ج ١،ص١٩٥.

(٢) لقد جعل الرسول عليه السلام للقبط من الحقوق أكثر ما لغيرهم، فلهم الذمة أي عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين، وهو عهد جدير أن يرعى ويصان. ولهم رحم ودم وقرابة ليست لغيرهم، فقد كانت هاجر أم إسماعيل أبي العرب المستعربة منهم، بالإضافة إلى ماريه القبطية التي أنجب منها عليه السلام ابنه إبراهيم. في الحديث: (إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما). أخرجه مسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي عليه السلام بأهل مصر رقم :٦٤٤٠، **صحيح مسلم بشرح النووي** :ج١٦،ص٣١٣.

(٣) علي بن حسين الأحمدي، **مكاتب الرسول عليه السلام**: ص ١٠٣.

(٤) حاطب بن أبي بلتعه: أسلم قديما، شهد بدراً والحديبية، مات سنة ٣٠ هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه، أنظر: ابن حجر، **الإصابة:ج** ١،ص٢٩٩.

(٥) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك** : ج٢،ص١٣٠، وانظر: ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد: ج** ٣،ص٦٩١.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٧) دحيه بن خليفة الكلبي: صحابي أسلم قبل بدر ولم يشهدها، حضر مواقع متعددة، وكان يشبه جبريل عليه السلام لشدة جماله، عاش إلى خلافة معاوية وتوفي حوالي ٤٥ هـ. انظر الزر كلي، **الأعلام**:ج ٢ص٣٣٧. وانظر الذهبي، **سير أعلام النبلاء**: ج ٣،ص٧٣.

(٨) ابن قيم، **زاد المعاد: ج** ٣،ص٦٩١. وقد أرسل رسول الله عليه السلام رسالة إلى جيفر وعبد ابني الجلندي في عمان حملها الصحابي الجليل عمرو بن العاص وأسلما وحسن إسلامها. أنظر، ابن قيم الجوزيـة، **زاد المعاد:ج** ٣،ص٦٩٣، وأنظر محمد حميد، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي**: ص ١٦٢.

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من إتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الاريسيين[١] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ...﴾ [٢].

وفي خطاب العلاء الحضرمي عند دعوة المنذر ابن ساوى ملك البحرين (وكان المنذر نصرانياً قبل إسلامه، إذ كان قومه من عبد القيس نصارى) قال المنذر : "هذا النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه ليته أمر به، أو ليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه، إذ كل ذلك منه على أمنية العقل، وفكر أهل البصر".

وقال المنذر أيضا: "قد نظرت في الأمر الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت"[٣].

---

(١) الاريسيون: اختلفوا في المراد في الأريسيين على أقوال :
أصحها وأشهرها : انهم الأكارون أي الفلاحون و الزراعون ومعناه: أن عليك إثم رعاياك الذي يتبعونك وينقادون بانقيادك ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغاب، و لأنهم اسرع إنقياداً فإذا أسلم أسلموا، وإذا امتنع إمتنعوا .
ورجح الشيخ الندوي أن المراد بالأريسيين هم أتباع أريوس المصري، وأريوس هو الذي نادى بالتوحيد و التمييز بين الخالق والمخلوق انظر: أبو الحسن الندوي، (١٤٢٠ه)، **السيرة النبوية**،(ط١)، دار القلم: دمشق: ص ٣٠٢ و للإطلاع على الأقوال في معنى الأريسيين انظر: ابن منظور **لسان العرب**:ج٦، ص٤٥ وانظر الطبري، **تاريخ الأمم والملوك** :ج٢،ص١٣٠ وابن حجر **فتح الباري**: ج١،ص٥٤ والطحاوي احمد ابن محمد بن سلامة (ت:٣٢١) ه **مشكل الآثار**، ط١ (ضبطه وصححه محمد شاهين)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٥م:ج٢،ص٢٧٣ .
(٢) سورة آل عمران :الآية ٦٤.
(٣) ابن الأثير، **أسد الغابة**: ج٤،ص٤٩١، وانظر نور الدين الحلبي، **السيرة الحلبية**: ج ٣،ص٣٥٣.

جدول رقم (١) رسائل وكتب النبي ﷺ إلى الحكام والأمراء

التسلسل	اسم الصحابي، حامل الرسالة	اسم الحاكم أو الأمير المرسل إليه	ملاحظات: موقف الحاكم من الرسالة
١	دحية بن خليفة الكلبي	هرقل قيصر الروم	- لم يسلم. - أسلم كبير الأساقفة (ضغاطر). - أسلم أسقف بيت المقدس (ابن الناطور).
٢	عمـــرو بـــن أميـــة الضمري	النجاشي (ملك الحبشة) الأصحم بن أبجر	- أسلم. - عندما توفي صلى عليه الرسول صلاة الغائب. - أرسل ابنه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم (أرها بن الأصـحم بن الأصحم بن أبجر)
٣	عمرو بن العاص	جيفر وأخوه عبد الله الجلندي وكانا ملكي عمان	- أسلم. - أسلم.
٤	سـليط بـن عمـرو العامري	هوذة بن علي الحنفي (ملك اليمامة)	- لم يسلم.
٥	شجاع بن وهب الأسدي	الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الغساسنة (صاحب دمشق)	- لم يسلم. - أسلم رئيس ديوانه (مرى)
٦	حاطب بن أبي بلتعة	المقوقس (جورج بن مينا) ملك مصر	- لم يسلم. - وبعث جاريتين وكسوة وبغلة
٧	الحـارث بـن عميـر الأزدي	شرحبيل بن عمرو الغساني (ملك بصرى، عامل قيصر)	- لم يسلم وقتل الصحابي وكان ذلك سببا لمعركة مؤتة سنة ٨هـ - ٦٤٩/م

- ولقد ترجمت رسائل الرسول عليه السلام وردود الملوك والأمراء عليها من العربية إلى اللغات التالية:(الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الأسبانية، البرتغالية، الإيطالية، الصينية، الفارسية، الروسية، الرومانية، التركية، الأندونيسية، الأكرانية) وهي موجودة في CD رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية - عمان (٢٠٠٧/١٠/٣٢٧٠).

المبحث الثاني: المضامين العقدية لرسائل الرسول وحواراته مع الوفود

إن الدارس لرسائله عليه السلام للملوك والأمراء وحواراته مع الوفود الآتية إليه يجد أنها تتضمن عدداً من المحاور العقدية الهامة ومنها:

١. البدء بالتوحيد الذي هو الركيزة الأولى للعقيدة الإسلامية التي يدعو الرسول عليه السلام إليها، والتي تخالف ما يتظاهر به النصارى من التثليث المحرف، مما يؤكد لنا أنه لا مجاملة على حساب المبادئ مهما تكن الظروف، ثم عملية تصحيح المبادئ الخاطئة التي يؤمنوا بها حول عيسى عليه السلام وأنه ليس إلهاً ولا إبنا لإله، وإنما هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، كما خلق الله آدم عليه السلام من قطعة طين، ونفخة الروح، ونلحظ تجديد الدعوة إلى التوحيد وذكر أهم مقتضياته: الولاء والبراء وإخلاص الإتباع للرسول عليه السلام(١).

وهذا واضح في رسالته عليه السلام للنجاشي(٢)، ولقد دعِي هرقل إلى هذا أيضاً بأسلوب آخر، حيث جاء على لسان دحية رضى الله عنه لقيصر قبل أن يسلمه كتاب رسول الله عليه السلام قوله له: هل تعلم أكان المسيح يصلي، قال: نعم، قال دحية: فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له، وأدعوك إلى من دبر السموات والأرض والمسيح في بطن أمه(٣).

ومثل ذلك ما أرسل به عليه السلام إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، حيث خاطبه عليه السلام بقوله: "فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له"(٤).

٢. تركيز الرسول عليه الصلاة والسلام على نظرة الإسلام إلى عيسى بن مريم وأمه الصديقة في رسالته عليه السلام للنجاشي قوله: (وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى؛ فخلقه الله من روحه كما خلق آدم بيده ونفخه ...)(٥). وكذلك كانت رسالته عليه السلام إلى ضغاطر الأسقف(٦) فيما يخص عيسى بن مريم عليه السلام وأُمه وهو كلام موجه إلى عالم من علمائهم لابد أن يؤتي ثماره، حيث أسلم ضغاطر ونصه:

---

(١) وهذا واضح في حواره عليه السلام مع وفد نصارى نجران ووفد عبد قيس. أنظر ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد**: ٦٣١/٣ وانظر **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب أداء الخُمس من الإيمان،**فتح الباري شرح صحيح البخاري** حديث رقم ٣٥ : ج١،ص١٧١.

(٢) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**:ج ٢،ص١٣١.

(٣) السهيلي، **الروض الأنف**: ج ٧،ص١٥٣.

(٤) ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد:** ج ٣،ص٦٩٧.

(٥) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**:ج ٢،ص١٣١.

(٦) ضغاطر: هو الأسقف في الروم يحسب له الروم كل حساب وذلك لمركزه الروماني، ونفوذه المتمكن من الملوك المسيحية، وقد أسلم بعد قراءته لرسالة رسول الله وقتله قومه انظر ابن حجر، **الإصابة**:ج٢، ص٢١٦ وانظر ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**: ج٢،ص٢١١

"إلى ضغاطر الأسقف، سلام على من آمن، أما على أثر ذلك فإن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الزكية"[(١)].

٣. من الأمور العقدية التي ركز عليها رسول الله في رسائله وهو يدعو الملوك والأمراء وهو معنى ملازم لعقيدة التوحيد وهي قضية إنتصار الإسلام وإنتشاره حيث ورد في رسالة الرسول عليه السلام إلى هوذة ملك اليمامة قوله: (واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم"[(٢)].

وهو المعنى الذي ظهر في حوار الرسول مع عدي بن حاتم عندما قال لعدي "ولعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول فيه- الدين- أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال: فأسلمت"[(٣)].

٤. ومن المضامين العقدية في رسائله عليه السلام التأكيد على مفهوم عبودية عيسى عليه السلام وأنه عبد الله ورسوله، لأن تأليه النصارى لعيسى عليه السلام هو سبب المشكلة الكبرى في عقيدة النصارى، وإثبات عبوديته يحل هذه المشكلة، وقد ختم خطابه لهم بالآية التي تناديهم بنبذ عبادة البشر وعبادة الله وحده[(٤)].

٥. الدعوة إلى عبادة الله وحده سبحانه، ففي كتاب أهل نجران "أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد"[(٥)].

وهي القضية التي ركز عليها عليه السلام مع (وفد آخر للنصارى)[(٦)] وهم وفد عبد قيس عندما جاؤوه وقال لهم: "آمركم بالإيمان وحده، أتررون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا اله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان"[(٧)].

---

(١) محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي**: ص ١٣٥

(٢) ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد** : ج ٣،ص٦٩٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٥٩٥**، فتح الباري شرح صحيح البخاري**:ج ٦،ص٧٤٦، وأنظر ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام:** ج٤،ص٢٤٨، وأنظر ابن الاثير، **أسد الغابة: ج** ٣،ص٥٠٥.

(٤) الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، آل عمران: ٦٤. يقول الندوي: فالآية تخاطب أهل الكتاب، الذين آمنوا بألوهية المسيح، ولذلك لما كان (هرقل) و(المقوقس) يدينان بألوهية المسيح كليا أو جزئيا، وكونه ابن الله، جاءت في الكتابين اللذين وجها إليهما كلمة (عبد الله) مع إسم النبي الكريم صاحب هاتين الرسالتين، انظر أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية** :ص٢٩٤.

(٥) ابن قيم الجوزية: **زاد المعاد:** ج ٣،ص٦٣١.

(٦) ابن خلدون**، تاريخ ابن خلدون**: ج ٢،ص٤٥٨.

(٧) أخرجه البخاري عن أبي جمرة، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، حديث رقم ٣٥، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** :ج١،ص١٧١، **وأخرجه مسلم** عن أبي جمرة، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله عليه السلام: ج ١،ص١٣٠.

من استعراضنا لرسائله عليه الصلاة والسلام، يمكن أن نستخلص بعض أساليبه في دعوة غير المسلمين من أهل الكتاب، نوجزها فيما يلي:

١. كان النبي عليه السلام يفتتح رسائله النبوية الشريفة بعبارات مختلفة ارتبطت جميعها باسم الله جل جلاله، ومن العبارات المستعملة في بداية الرسائل النبوية الشريفة باسمك الله إله إبراهيم : (بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب[١])، بسم الله، بسم الله الرحمن الرحيم. والبدء بهذه الصورة بدء برسالة التوحيد التي جاء بها جميع الأنبياء.

٢. التعريف عن شخصية المرسِل، حيث يذكر، أنه عبد الله ورسوله، ففي رسالته للنجاشي يقول:(من محمد رسول الله) وفي رسالة إلى المقوقس قال: (من محمد بن عبد الله)، فهي رسالة مرسلة من عبد من عباد الله، وهو في الوقت نفسه رسول الله إلى الناس كافة، وفي ذلك حكمة مضمونها أن ديننا ينهي عن تعظيم الشخص لذاته ويبين أن الكل من ذرية آدم وحواء قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢].

٣. محتوى الرسائل النبوية الشريفة الأولى مكون من بلاغ وبلاغة، تبدأ بالسلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله، وشهد أن لا إله إلا لله لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فالبلاغة والإيجاز والإيمان بالله وإتباع الدين الإسلامي الحنيف عبر الشهادة والتشهد، وأن الله واحد أحد فرد صمد، لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله يدعو له الناس جميعا بدعوة الإسلام[٣]، فالاقتصار على القدر الضروري، من أصول المطالب، من دون النظر إلى فروعها، والاقتصار في ألفاظها، بلا تكاف، ومراعاة الإيجاز إلا إذا اقتضى الحال الإسهاب[٤].

٤. خاطب الرسول عليه السلام كل واحد من هؤلاء الأمراء والحكام بلغة الاعتقاد، التي يعتقدها فإن كان من أهل الكتاب، فالخطاب خاص بأهل الكتاب[٥]، وإن كان من غيرهم فالخطاب يناسب حال المرسل إليه ومقاله مع الإحاطة بثقافة من أُرسِلت إليهم[٦].

---

(١) محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية**: ص ١٣٥ حيث كان ذلك في كتابه عليه السلام إلى أسقف نجران

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣

(٣) محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**: ص ١٠١.

(٤) علي الأحمدي، **مكاتيب الرسول عليه السلام** : ص ١١.

(٥) محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية**: ص ١٠٩، حيث كانت رسائله عليه السلام المرسلة إلى من يعتنق الديانة المسيحية تشتمل على الآية الكريمة، التي تدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء الآية من سورة آل عمران : الآية ٦٤.

(٦) حيث اشتملت رسالته عليه السلام إلى كسرى انو شروان على الآية الكريمة من سورة يس، الآية: ٧٠ (لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ)، انظر: محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية**:ص١٤٠.

كما الحال في رسالته عليه السلام للنجاشي، والمعنى: معرفة الداعية بأحوال المدعوين، وما هم عليه، وما يحتاجون إليه.

٥. معرفة الرسول عليه السلام بالملوك والأمراء وخبرته بنفوسهم، وحسن تخير الألفاظ المناسبة للكل، والمثيرة للعواطف والمشاعر، كما يلحظ أن بعض من لم يسلم كان رده جميلا رقيقا، مما يدل على قوة الإسلام، وسماحة دعوته.

٦. لم يكن قصد رسول الله عليه الصلاة والسلام في دعوته للملوك والأمراء زلزلة عروشهم،وبذلك أزال حاجزاً قويا من الحواجز المانعة لهؤلاء الملوك من الدخول في الإسلام.

وقال عليه السلام في كتابه إلى ولدي الجلندي صاحبي عمان: (فإنكما أن أسلمتما وليتكما[١])

وفي كتابه عليه السلام إلى الحارث بن شمر الغساني: (فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، ويبقى لك ملكك[٢]) .

كذلك كان يحرص عليه السلام على إبقاء قادة القبائل في مواقعهم من زعامة قبيلتهم بينما بعث معهم أحد صحابته ليفقه القوم بالإسلام، وبذلك تبقى النفوس على عهدها دون أن تحس بإهانة أو تحطيم، ولكن دون أن تتخذ هذه الزعامات من الإسلام مشجبا لظلمها أو تعسفها[٣].

وفي هذا التشجيع حكمة بالغة لأنه لو شعر كل واحد من هؤلاء الملوك أن الإسلام هو الذي يذله، ويحطم مصالحه، فسيبقى في إطار العداء له على الدوام، لقد كان عليه السلام يضرب على الأوتار النفسية التي يخشاها الحاكمون، وكانت رسالته تطمئن هؤلاء الحاكمين على ملكهم، وأنه سيحفظ لهم إذا دخلوا الإسلام[٤].

قال الطرطوشي: (فمن كمال السياسية أو الرياسة أن تُبقي على كل ذي رياسه رياسته وعلى كل ذي عزعزه، وعلى كل ذي منزله منزلته، فحينئذ يكون الرؤساء لك أعوانا، ومن دانت له الفضلاء من كل قبيلة فأخلق به أن يدوم سلطانه[٥]).

٧. ومن الخلق الكريم للرسول عليه السلام وهو يخاطب الملوك والأمراء الأدب العام مع زعماء الدول الأخرى، ويتجلى ذلك في خطاب النبي عليه السلام لكل زعيم بما يتناسب مع زعامته ومكانته، فليس من أهداف الإسلام إهانة الآخرين، بل يعلمنا الإسلام أن ننزل الناس

---

(١) ابن القيم،**زاد المعاد:**ج ٣،ص٦٩٣، وانظر محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية**: ص ١٦٢ .

(٢) محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية** :ص١٢٦، وانظر ابن القيم، **زاد المعاد**:ج ٣، ص٦٩٧ .

(٣) منير الغضبان، (١٩٩٨م)، **المنهج الحركي للسيرة النبوية**، (ط١)، دار الوفاء: المنصورة : ص ٥٠٥

(٤) المصدر السابق :ص ٣٨٠.

(٥) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد (ت:٥٢٠هـ) **سراج الملوك**، ط١، (تحقيق محمد فتحي)، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، ١٤١٤هـ: ج ٢،ص٤٥٦ .

منازلهم، ففي خطابه عليه السلام لهرقل: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم.... [١]).

وقال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث، في هذا الكتاب جاء جملة من القواعد وأنواع من الفوائد: التوقي في المكاتبة، واستعمال الورع فيها فلا إفراط ولا تفريط، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (إلى هرقل عظيم الروم...) ولم يقل إلى هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة فقال: (عظيم الروم)، أي الذي يعظمونه ويقدمونه، وقد أمر الله تعالى بالإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام[٢].

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[٣].

وقال تعالى ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ [٤].

٨. ومن أساليب الدعوة التي التزمها رسول الله عليه السلام عبر رسائله وكتبه للملوك أنها يحملها صحابة كرام كانوا على درجة من العلم، والفصاحة، والبلاغة، وحسن الخلق، والصبر، والشجاعة، والحكمة، وسعة الحيلة، بحيث يمكنهم أن ينافحوا عن الدين، ويجادلوا بالتي هي أحسن، وشاهد ذلك ما حدث بين حاطب بن أبي بلتعه والمقوس، وجعفر مع النجاشي وغيرهم[5].

٩. اهتمامه عليه السلام بأحوال المدعوين الوافدين عليه، مما يدل على ضرورة مراعاة أحوال الناس في الدعوة إلى الله، حتى إنه عليه السلام كان يهتم بشوق الوفود إلى أهاليهم أثناء تلقيهم العقيدة الإسلامية فكان إذا وجد أنهم قد اشتهوا أهلهم أمرهم بالرجوع إليهم مع التوصية بتعليم أهليهم ما تعلموه منه، ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري عن مالك بن

---

(١) أخرجه **مسلم في الصحيح** كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي عليه السلام، إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام حديث رقم ٤٥٨٣ **صحيح مسلم بشرح النووي:** ج ١٢،ص٣٣٦ .

(٢) النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم:** ج١٢،ص٣٢٦ .

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٤) سورة طه: الآية ٤٤.

ولا بد من الإشارة إلى قوله عليه السلام للنجاشي (فدع التجبر) لا تعتبر خروجا على اللباقة لأن النبي عليه السلام يدعو إلى التوحيد الصحيح، ونبذ الشرك الذي وقع فيه النصارى، ولا شك أن من يقع في هذا الشرك من جهة الإسلام يكون ظالما متجبرا، والنصيحة المخلصة لأي شخص بترك هذا التجبر والإيمان بالله وحده لا شريك له، هذه النصيحة ليس فيها أي خروج عن اللباقة وهي عبارة تشير إلى خطورة ما هو عليه. ومن الملاحظ أن النبي عليه السلام قال في كتابه لهرقل .. (فإن توليت فعليك إثم الاريسيين) كما فعل نفس الشيء مع المقوقس فقال له: (فإن توليت فعليك إثم القبط) ومعنى ذلك أنه يقول لكل منهما: إذا لم تعتنق الإسلام، فلن تسلم من الضرر، لأنك لا تحتمل وزرك وحدك وإنما وزر رعيتك أجمعين، ولم يتهم أي من هرقل أو المقوقس بتهديده أو الخروج على اللباقة في المخاطبة معه، بل نجد المقوقس يرد على النبي عليه السلام رداً لطيفا مصحوبا بهدية ثمينة.

(5) محمود شيت الخطاب، **السفارات النبوية**: ص١٢١-٣٨٠. حيث فصل الكتاب الحديث في سمات السفراء الذين كانوا يحملون رسائله عليه السلام إلى ملوك وأمراء العالم آنذاك .

الحويرث رضي الله عنه قال: (أتينا رسول الله ونحن شببه[١] متقاربون[٢]، فأقمنـا عنـده عشرين ليلة، وكان رسول الله رقيقا، فلما ظن أننا قد أشتهينا أهلنا – وقد اشتقنا- سأل عمـا تركنا بعدنا : فأخبرناه، قال: إرجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم، وذكـر أشياء أحفظها أولا أحفظها – وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم[٣].

١٠. كان رسول الله عليه السلام يستعمل في دعوته للآخـرين الحكمـة والموعظـة الحـسنة، والجدال بالتي هي أحسن[٤] مع المشركين وأهل الكتاب على حد سواء لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[٥]

١١. لقد كان عليه السلام يبدأ بالأهم فالمهم من أمور الدعوة وأصولها، فأول ما بدأ بـه عليـه السلام هو تقرير العقيدة التي يدعو إليها، وتوضيحها وبيان أسسها وثمراتها، فكانت دعوته عليه السلام إلى توحيد الله على رأس ذلك.

وبذل عليه السلام الجهد العظيم في سبيل تحقيق التوحيد في نفوس من يدعوهم، لأنهـا الأساس المتين والركن الركين لهذا الدين، حتى أصبحت لا إله إلا الله محمد رسـول الله شـعار أهل الإسلام ودثاره وعنوان من يريد الدخول فيه.

١٢. ومن الطرق الدعوية التي إتبعها عليه السلام، والتي هي من مقتضيات الحكمـة إختيـار الميادين والوسائل والأساليب الحكيمة لإيصال الدعوة ونشرها، فكـان بنـاؤه للمـسجد، وتقرير المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، وبعث الرسل والكتـب، وإسـتقبال الوفـود،

---

(١) شببه: جمع شاب وهون ما كان دون الكهولة، انظر **فتح الباري** :ج ١٣،ص٢٩٠.
(٢) متقاربون: أي في السن والعلم والقراءة، انظر المصدر نفسه : ج١٣،ص٢٩٠ .
(٣) **أخرجه البخاري،** كتاب خبر الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والإحكام رقم الحديث ٧١٤٦: ج١٣،ص٢٨٤ .
(٤) يقول الرازي: واعلم أن الله تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي الحكمة الموعظة الحسنة والمجادلة بالطرق الأحسن، وقد ذكر الله تعلى هذا الجدل في آية أخرى فقال: (وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) (العنكبوت :٤٦) ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة، وعطف بعضها على بعض وجب أن تكون طرقا متغايرة، وما رأيت للمفسرين فيه كلاما ملخصا مضبوطا، الرازي، **مفاتيح الغيب،** ج٢٠،ص١١١، ولهذا وجدنا الإمام الغزالي يفرق بين تعريف كل مصطلح من هذه الثلاثة فيقول: الحكمة: وضع الأشياء في محلاتها، والموعظة الحسنة: ما تضمنه الكتاب العزيز من الرغبة والرهبة والإنذار مع إيقافك خصمك على خالص نصحك له، وجادلهم بالتي هي أحسن: بالطريقة التي هي أحسن الطرق المجادلة مع الرفق بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس، انظر الغزالي: أبي حامد (ت: ٥٠٥هـ) **القسطاس المستقيم** ط١، (صححه مصطفى الدمشقي)، مطبعة الترقي، مصر، ١٣١٨هـ : ص ١٦ وانظر عبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة:** ص ٤٦٠ .
(٥) سورة النحل :الآية ١٢٥.

ورؤساء القبائل، وبذل المال والمعروف، وغير ذلك من الأسـاليب والوسـائل الحكيمـة والمناسبة.

١٣. إشتمال رسائله على عبارات البشرى والإنذار، فالبشرى مركزه على الدعوة للإسلام، حيث بين أن إعتناقه نعمة من الله وخير وأجر يحصله المرء مرتين، حيث قال :(أسـلم تـسلم يؤتيك الله اجرك مرتين) .

أما الوعيد فواضح في رسائله عليه الصلاة والسلام، وارتبط بالإثم الذي يتحمله كل من سمع الدعوة ولم يستجب لها وقد سجل ذلك في رسائله: (فإن توليت فعليـك إثـم الأريـسيين) بالنسبة للقيصر، و(فإن توليت فعليك إثم القبط) بالنسبة لعظيم القبط: (فإن توليـت فعليـك إثـم المجوس) بالنسبة لكسرى ملك الفرس.

١٤. الوفود وسيلة هامة لتبليغ الناس وإخبارهم عن دعوة الإسلام، فلقد كان للوفود فـي العهـد النبوي الأثر الفعال في إظهار الحق داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها لأنهـا كانـت تحمل كلمة الحق وراية التوحيد.

ولقد أرسل عليه السلام القراء والفقهاء والبعوث لشرح تعاليم الدين الجديد(١).

١٥. اتبع الرسول عليه الصلاة والسلام دعوة القرآن إلى المبادرة والمحـاورة وبيـان الأمـور الشرعية لتلك الأمم والملل من أهل الكتاب، إذ قال تعالى على لسان نبيه: (يا أهل الكتاب تعالوا..) والآية صريحة في الدعوة إلى المبادرة للمحاورة ولبيان الأمور الشرعية، لـذلك أرسل رسول الله عليه السلام الرسل إلى ملوك العالم وأمرائهم يدعوهم إلى الله.

١٦. لقد دلت رسائله عليه الصلاة والسلام بأن على المسلمين في كل زمان ومكـان أن يعملـوا على تهيئة الأسباب والوسائل التي تعمل على نشر الدعوة بين الناس، وأن يجهزوا الدعاة إلى الله، العارفين بلغة أقوامهم والمزودين بالعلوم الكافية لبيان مبادئ الإسلام وأحكامه من أجل العمل على نشر الإسلام والوصول به إلى غاياته المرجوة.

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة،(١٩٧٨م)، **الإعلام في صدر الإسلام**،(ط٢)، دار الفكر العربي :ص ٩٨-٩٩ .

المبحث الثالث: الحراك الذي أحدثته رسائل الرسول عليه الصلاة والسلام

إن رسائل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الملوك والقادة، تُعد قفزة نوعية متفوقـة في تاريخ الدعوة، تعني لفت المسلمين إلى دور جديد يجب أن يضطلعوا به، ومهـام عظيمـة يجب أن يعدوا أنفسهم لها، فالإسلام خاتم الأديان، ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء، إذن فميدان الـدعوة ليس مكة أو المدينة أو بلاد العرب، وإنما ميدانها كل المعمورة من الأرض.

ولا بد من القول إن رسول الله ﷺ هدف من هذه القفزة النوعية إلى إحداث حراك فـي الجهة المقابلة، حيث ملوك وأمراء العالم وأتباعهم، إذا علمنا أن هناك بشارات ببعثة رسـول الله ﷺ في التوراة والإنجيل، وشخصيات نصرانية كانت تترقب ظهور نبي جديد.

ومن صور هذا الحراك ما حدث في دولة النجاشي حيث أسلم النجاشي، ويظهر هذا في رسالة النجاشي إلى رسول الله ﷺ قال فيها : (إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصـحم بـن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمته وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو،الـذي هـداني إلـى الإسلام)[١].

وكان الحراك أيضاً في مجلس النجاشي، حراكاً كان مـن ثمرتـه أن بكـى النجاشـي وحاشيته، وذلك عندما قرأ جعفر صدراً من سورة مريم: (كهيعص) تقول أم سلمة: (فبكى والله النجاشي حتى إخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى إخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم. ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، إنطلقوا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً، ولا أكاد)[٢].

كيف لا يسجل هذا الحراك لوفود رسول الله إلى الحبشة :(إن وفدا يـستطيع أن يبكـي ملكاً، أو رئيساً ويبكي معه كل أعضاء وفده عن صدق وقناعة، هو أعلى وفد ينجح في مهمتـه، بعد أن كانت البداية في تعرضه للطرد والإبعاد من بلاد هذا الملك، وكم كان هـذا الوفـد علـى مستوى من الكفاءة والعبقرية، أن يكسب عقائدياً بعد أن كسب سياسـياً، ويـضم الملـك إلـى الإسلام.)[٣]

وكان هذا الحراك حراكاً إيجابياً فاعلاً، نراه في موقف النجاشي مرة أخرى حينما كـان النجاشي سببا في سبب إسلام عمرو بن العاص المتكلم الرسمي باسم وفـد قـريش للإضـرار بالمسلمين آنذاك.

---

(١) محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**: ص ١٠٤.
(٢) الإمام أحمد، **مسند أحمد بن حنبل**، حديث رقم ١٧٤٠: ص ١٧٨.
(٣) منير محمد الغضبان، **المنهج الحركي للسيرة النبوية** :ص ٧٢.

يقول النجاشي لعمرو بن العاص: (ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال عمرو: قلت: فتبايعني على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام) (١).

أما في قصر هرقل فقد كان الصدى والحراك له صورة أخرى:

فعندما جاءه كتاب رسول الله يدعوه إلى الإسلام، أمر ببطارقة الروم، فجمعوا له ثم إطلع عليهم من علية له؛ وخافهم على نفسه، وقال: يا معشر الروم، إني قد جمعتكم لخير، إني قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله للنبي الذي كنا ننتظره، ونجده في كتبنا، فهلموا فلنتبعه ونُصدقه، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا، فثاروا عليه وهموا بقتله، وتدارك الأمر فقال لهم: إني قد قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم ...)(٢).

وفي رواية أخرى أن هرقل قال لدحية بن خليفة حيث قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ: (ويحك! والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، وإنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف فاذكر له أمر صاحبكم، فهو والله أعظم في الروم مني، وأجوز قولاً عندهم مني، فانظر ما يقول لك) (٣).

قال فجاءه دحية، فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل، وبما يدعوه إليه، فقال ضغاطر: صاحبك والله نبي مرسل، نعرفه بصفاته، ونجده في كتبنا باسمه، ثم دخل فألقى ثياباً عليه سوداء، ولبس ثيابا بيضاء، ثم أخذ عصاه، فخرج على الروم وهم في الكنيسة، فقال: يا معشر الروم، إنه قد جاءنا كتاب من أحمد، يدعونا فيه إلى الله عز وجل، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أحمد عبده ورسوله، قال: فوثبوا عليه وثبة رجل واحد، فضربوه حتى قتلوه(٤).

وحراك آخر يذكره الطبري " أن هرقل أخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخاصرته، ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرؤونه، يذكر له أمره ويصف له شأنه، ويخبره بما جاء منه ؛ فكتب صاحب رومية : أنه للنبي الذي كنا ننتظره، لا شك فيه؛ فاتبعه وصدقه(٥)".

ولا ننسى الحوار الذي دار بين هرقل وأبي سفيان، فإن النبي عليه السلام لما كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، طلب من كان في بلاده من العرب، وكان أبو سفيان في طائفة

(١) الطبري، **تاريخ الطبري** : ٢،ص ١٤٦.
(٢) المصدر نفسه:ج ٢،ص١٣٠.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.

من قريش في تجارة إلى بلاد الشام، فاستدعاهم هرقل إلى مجلسه، وحوله عظماء الروم ودعا بترجمانه وشرع يسألهم عن أحوال النبي عليه السلام فَيصِلُ بعدما سمع منهم إلى نتيجة قاطعة: وهي: أن ما سمعه من أحوال محمد عليه السلام وصفاته وسيرته فيهم لتدل على صدقه فيما جاء به، وأنه نبي مرسل، وفي نهاية حواره قال هرقل: (وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنـه منكم، فلو أني أعلم أني أخلُص إليه، لَتَجشمتُ لقاءه، ولو كنتُ عنده لَغَسلْتُ عن قدميه)[١].

وكذلك المناقشة بين هرقل ورجال دولته حيث حاول إقناعهم بإتبـاع ديـن التوحيـد وموقفهم المؤسف، وإسلام الكثيرين من أتباع هرقل ومتنصرة العرب، ومنهم الأسقف ضغاطر وفروه بن عمرو الجذامي، وغيرهم كثير ممن لم تذكرهم الكتب.

ويذكر اليعقوبي أن هرقل قبل كتاب الرسول ﷺ، وكتب الرد التالي: (إني أحمد رسـول الله الذي بشر به عيسى من قيصر ملك الروم، إنه قد جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنـا بـك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إن يؤمنـوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهـم، ولوددت أني عندك، فأخدمك وأغسل قدميك.)[٢]

وحراك يجري في مجلس هوذة ملك اليمامة، حيث جاءه كتاب رسـول الله ﷺ وعنـده أركون دمشق عظيم من عظماء النصارى، فسأل أركون هوذة عن النبي ﷺ، فقال :(جـاءني كتابه يدعـوني إلى الإسلام، فلم أجبه، قال الأركون : ولم لا تُجِبه قال : ظننت بـديني وأنـا ملك قومي، وإن اتبعته لم أملك، قال: بلى والله، لئن تبعته ليملكنك، فإن الخيرة لك في إتباعـه، وإنه للنبي العربي الذي بشر به عيسى ﷺ، وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل: محمد رسول الله.)[٣]

أما عند المقوقس فكان الحراك ظاهراً وواضحاً بالرغم أنه لم يسلم، لكنه كتب لرسـول الله ﷺ : (باسمك اللهم من المقوقس إلى محمد أما بعد: فقد وصل كتابك وفهمته، وأنت تقول إن الله أرسلك رسولا وفضلك تفضيلا، وأنزل عليك قرآناً مبينا، وكشفنا يا محمد خبرك، فوجدناك أقرب داع إلى الله وأصدق من تكلم بالصدق، ولولا أني ملك ملكا عظيما لكنت أول من آمن بك؛ لعلمي أنك خاتم النبيين، وإمام المرسلين، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته إلى يوم الدين)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ٦، حديث ٧، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج١،ص ٤٥.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ٦، حديث ٧، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** : ج١،ص ٤٥.
(٣) ابن القيم، **زاد المعاد:** ج٣،ص٦٩٦-٦٩٧.
(٤) أحمد صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ط١، القاهرة : ج١،ص٤٠

إن الحراك والصدى الذي كانت تفعله رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك، كان يؤتي ثمـاره بإسلام من توجه إليه الرسالة، إسلام المقتنع لما هو مقبل عليه ومدعو إليه، وهذا الذي حـدث عندما خاطب ﷺ ملكي عمان جيفر وعبد ابنا الجلندي، وما كان من رد الجلندي أن قال: (أنـه والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وإنه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يضجر، وإنـه يفـي بالعهـد، وينجـز الموعود، وإنه لا يزال سر قد إطلع عليه يساوي فيه أهله، وأشهد أنه نبي)(١).

وقيل هذا حدث عندما أسلم فروة الجذامي، حيث استدعاه ملـك الـروم، وطلـب منـه الرجوع عن دين محمد عليه الصلاة والسلام، ويعيده لملكه، فقال فروة :(لا أفارق دين محمـد، وإنك تعلم أن عيسى قد بشر به، ولكنك تظن بملكك، فحبسه ثم أخرجه فقتله وصلبه)(٢).

" وهذه المحاورة والاستجابة لما في كتاب الرسول ﷺ تدل على أن الإسلام قد تغلغل في نفس العربي"(٣).

لقد مر معنا في مبحث سابق بعنوان ترقب شخصيات نصرانية لبعثـة الرسـول ﷺ أن هناك عدداً من الرهبان كانوا ينتظرون مبعث نبي جديد، وكانت اليهود تؤمن بذلك، وكان لـذلك إشارة في العهد القديم والجديد كما ذكرت، فكان هناك ثمة حراك وحديث يتناقله الركبان داخـل الجزيرة وخارجها عن مبعث رسول جديد.

وبعدما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إزداد الحراك والحديث، حيث صار للإسلام قوة وهيبة وكيان، وتفاعل الحراك عندما راح رسول الله يرسل رسله ورسـائله إلـى الملـوك والأمراء فأسلم من أسلم وبقي على دينه من بقي، وتنوعت ردود الفعل آنذاك.

وهذا الحراك نلحظه اليوم مع كل إعتداء على الإسلام وتشويهٍ لحقائقِـه حيـث نـرى إلتزاماً به عند المسلمين، وبحثاً عن جوانبه ومعالمه عند غيرهم حدا بالكثير منهم للدخول فيـه والتزامه.

---

(١) السهيلي، **الروض الأنف**: ج٧،ص٥١٦.
(٢) أحمد صفوت، **جمهرة رسائل العرب**: ج ١،ص٦٢.
(٣) محمد أبو زهرة، (١٤٠٠هـ)، **خاتم النبيـين**، الدوحـة: المـؤتمر العـالمي الثالـث للـسيرة النبويـة: ج٢،ص١١٧٥.

المبحث الرابع : تمييز طوائفهم ومراعاة الفوارق في مواقفهم

إن نظرة الإسلام لأهل الكتاب[1] لها مظهران هما.

المظهر الأول: هو مظهر التعاون الدنيوي.

والمظهر الثاني: هو ناحية الحكم الأخروي.

فمن ناحية الحكم الأخروي فإن القرآن قد حكم فيها بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2] فمن وافقت عقيدته دين الإسلام فهو مقبول، وكل من خالفت عقيدته دين الإسلام فهو في جهنم، والعياذ بالله مع العلم أن الإسلام معنى عام لكل الرسالات السماوية.

وحتى لا نُتهم بالأنانية فإننا نُبين أنه حتى المسلم الذي يخالف عمداً توجيهات الإسلام أو يجحد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة أو يكفر بنبي من الأنبياء فهو من أهل النار[3] ما لم يتغمده الله برحمته ويتوب من ذنبه.

أما من ناحية التعامل الدنيوي فيفرق فيها بين حالتين:

الحالة الأولى: حالة السلم والمعاهدة، والإلتزام بحسن الجوار مع المسلمين، وعدم إلحاق الأذى بهم.

---

(١) اختلاف الفقهاء في تحديد من هم أهل الكتاب:

أ- قال الحنابلة والشافعية إنهم اليهود والنصارى دون غيرهم مستدلين بالآية:(أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ) [سورة الأنعام،الآية: ١٥٦]، وبذلك يخرج غيرهم كأصحاب صحف إبراهيم وشيت والزبور، وانظر ابن قدامة، موفق الدين، (ت: ٦٣٠هـ)، **المغني**، بعناية جماعة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)، ج ٧،ص٥٠١، وقال الجصاص من الأحناف: (إن أهل الكتاب في القرآن هم اليهود والنصارى)، انظر الجصاص، **أحكام القرآن**:ج٢،ص٢٨٢.

ب- قال الأحناف وبعض الحنابلة أهل الكتاب: هم (كل من يعتقد ديناً سماوياً وله كتاب منزل كصحف إبراهيم وشيت وزبور داود عليهم السلام).

انظر: جلال الدين المحلى، الإمام (ت :٢٦٤هـ) **شرح منهاج الطالبين مع (حاشيتي القيلوبي وعميرة)**، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط٣، سنة(١٣٥٧هـ/١٩٥٦م): ج٣،ص٢٨٢.

أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، الإمام (ت :٢٦٤هـ)، **مختصر المزني**، دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ: ج٣، ص ٢٥.

القول الأول هو الراجح لأن القرآن أطلق اسم أهل الكتاب على اليهود والنصارى دون غيرهم فهو خاص بهم، محمد رشيد رضا،**تفسير المنار**:ج ٦،ص١٩٠.

(٢) آل عمران: الآية ٨٥.

(٣) الطحاوي، القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز، (ت :٧٩٢هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط٢، (تحقيق عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ص ٤٥٨. وانظر د. محمد نعيم ياسين،١٩٨٧م، **الإيمان أركانه، حقيقته، نواقضه**، ط٥، عمان: مكتبة الرسالة: ص٢٤٤.

الحالة الثانية: حالة الحرب أو إيذاء المسلمين، ومحاربتهم في دينهم، أو المظاهرة عليهم وخِلافه من أنواع الإيذاء.

والإسلام ميز بين طوائفهم، وراعى الفوارق في مواقفهم، ففي الحالة الأولى وهي حالة الالتزام، وعدم إلحاق الأذى بالإسلام والمسلمين، فهو يتعامل معهم فيها تحت مسمى (أهل الكتاب)، لا تحت مسمى الكفار الأصليين أي (عباد الصنم والوثن)، فهم شريحة من الناس ميزهم الإسلام عن المشركين عباد الوثن، لأنهم يؤمنون بالله في الجملة، وباليوم الآخر، وعندهم معلومات عن الرسل والكتب، وإن شابها الخطأ بخلاف منكري وجود الله، فهم يعاملون كأهل كتاب، وإن بقوا على عقائدهم، فلنا ديننا ولهم دينهم، وليس للإسلام هدف من وراء ذلك إلا أن يضع أتباعه في صورة مثالية تكفل احترام العالم لهم، وتجعل غير المسلم يطمع في اللحاق بمنهاجهم، وتعطي الكتابيين نوعاً من الإحساس باحترام المسلمين لإنسانيتهم، مما يستميل قلوبهم نحو الإسلام.

والحق أن تَلَقي النصارى للإسلام لم يكن كتلقي اليهود له، ولا كان موقفهم من نبيه كموقف اليهود منه، وإنما كانوا أكثر المخالفين قرباً إليه، وأحسنهم موقفاً.

ولقد مر معنا أن (بحيرا) (١) الراهب النصراني هو الذي اقترح على أبي طالب أن يقطع رحلته إلى الشام، ويعود بابن أخيه محمد ﷺ إلى مكة، وذلك حيث توسم في الغلام اليتيم إمارات النبوة، وعرف أنه هو الذي بشرت به التوارة، والإنجيل كنبي لهذه الأمة.

ومر معنا موقف (ورقة بن نوفل) (٢) – وكان شيخاً نصرانياً – حيث قص عليه الرسول ﷺ ما وقع له في الغار، وما نزل عليه لأول مرة من آيات القرآن الكريم، لقد بشره ورقة بأنها من آيات النبوة، ووعده بالمناصرة والتأييد حيث يتعرض لأذى المشركين كما تعرض غيره من الأنبياء السابقين.

ولا يفوتنا أن نشير إلى موقف إثنين من ملوك النصارى من المسلمين، وذلك لما يتسم به هذا الموقف من سماحة وأريحية.

أما أحدهما فقد فصلنا الحديث عنه سابقاً وهو (النجاشي) (٣) ملك الحبشة الذي رحب بالمهاجرين إليه من المسلمين، وأكرم وفادتهم، ورفض تسليمهم إلى وفد قريش بل رد هدايا الوفد، وازداد عطفه على المهاجرين حين عرف سماحة الإسلام، وهو الذي عقد لرسول الله ﷺ

(١) ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام**: ج ١،ص١٩٣، وابن كثير، **البداية والنهاية**: ج ٢،ص٢٢٩.
(٢) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ج ١،ص٣٤، وابن الأثير، **أسد الغابة**: ج ٤،ص٦٧١.
(٣) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، حديث رقم ١٧٤٠: ص ١٧٨.

على السيدة (أم حبيبة) بنت أبي سفيان إحدى المهاجرات إلى الحبشة حيث تنصر زوجها، وقـام النجاشي عن الرسول ﷺ بدفع ما يلزم من الصداق وهدايا العروس.

وأما الرجل الآخر فهو (المقوقس) [١] أمير مصر الذي أرسل إليه النبي ﷺ يدعوه إلـى الإسلام، فأحسن استقبال حامل كتاب النبي ﷺ وبعث معه إليه بالهـدايا التـي تعبـر عـن أدب وتقدير.

وكان من ضمن الهدايا – السيدة - (مارية جارية المقوقس التي تزوجهـا الرسـول ﷺ) ورزق منها بإبراهيم آخر أولاده[٢].

وليس عجيباً إذن أن يختلف موقف الإسلام من النصارى عن موقفه مـن اليهـود، وأن يلفت أنظار المسلمين إلى اختلاف الطبيعة المسيحية عن الطبيعة اليهودية، بـشكل عـام، ومـا يقتضيه اختلاف الطبيعتين من ضرورة اختلاف معاملة هؤلاء عن معاملة أولئك.

فاليهود خونه يكذبون على الله وعلى الناس لاستحلال الحرام وإن كان قليلاً، والنصارى أمناء أوفياء لا يستحلون مال غيرهم وإن كان كثيراً.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٣]، واليهود – جفاة الطباع – غلاظ القلوب يكفرون بالله ويقتلون الأنبياء. أما النصارى فأصحاب قلوب رقيقة وأرواح صافية، وفيهم من يقوم الليل بين الضراعة والخشوع، وفيهم من يغتنم كل فرصة مواتية لفعل الخيرات والاستـزادة من الطاعات[٤].

---

(١) الطبري، **تاريخ الطبري**: ج ٢،ص١٢٨، وانظر، المقريزي، تقي الدين أحمد بـن علـي، (ت ٨٤٥هـ ـ)، **أمتاع الأسماع**، ط١،(تحقيق محمد النميسي)، دار الكتب العلميـة، بيـروت، ١٤٢٠هـ ـ - ١٩٩٩م : ج١،ص٣٠٥.

(٢) وذلك في قوله تعالى :(لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ) سورة آل عمران :الآية ١١٢-١١٤.

ويقول قتادة في قوله تعالى: (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ)، سورة المائدة، الآية:٨٢. نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم آمنوا به فأثنى الله عليهم. انظر: القرطبي، **تفسير القرطبي** ج٦ص١٦٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٥.

(٤) كما في سورة المائدة الاية: ٨٢-٨٣.

قال تعالــى: ... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١).

بيد أننا نلحظ في كتاب الله تفريقاً وتمييزاً بين طوائف النصرانية لوجــود ثمــة فــارق وفوارق في مواقفهم واعتقاداتهم.

لقد أشار القرآن الكريم إلى فساد عقيدة طائفة منهم، فندد بفعلتهم قائلاً سبحانه تعالى: لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ (٢).

وقال تعالى: لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ (٣).

تحدثنا كتب السيرة أن وفود النصارى قد وفدت إلى مكة والمدينة، وجالست رســول الله ﷺ وناقشت وحاورت، فمنها من آمن واطمئن إلى إيمانه، ومنهم من جادل ونافح عــن عقيدتــه على ما فيها من إنحراف، فنزل جزء كبير من سورة آل عمران يبين لهم ما اختلفوا فيــه ومــا ابتدعوه، ثم دعاهم إلى المباهلة، ولكنهم وادعوا الرسول ﷺ، وقد أكرمهم الرسول ﷺ بالمدينــة وسمح لهم بالصلاة في مسجده، ثم عادوا إلى بلادهم دون أن يدخلوا في الإسلام(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ١١٢-١١٥.
(٢) سورة المائدة: الآية ٧٢.
(٣) سورة المائدة: الآية ٧٣.
* يلتفت الإسلام إلى عقيدة النصارى من ناحيتين لسببين:
الأول: تحذير المسلمين من فسادها حتى لا يتم تقليدهم من قبل المسلمين من مثل إتخاذهم قبــور أنبيــائهم مساجد، ومن مثل إلحاق صفاتٍ بالله تعالى لا تليق به كنسبة الولد لــه أو وصــفه بالجــسمية وخلافهــا. ومبالغتهم في وصف أنبيائهم حتى رفعوهم إلى درجة تفوق درجة البشرية.
الثاني: إرشادهم إلى الطريق الصواب، وإتباع الصراط المستقيم، والإيمــان برســول الله عليــه الــسلام، وتصحيح عقائدهم وأفعالهم وأقوالهم التي أدت بهم إلى الضلال والفسق، وذلك بالأسلوب الحسن، والحــوار الهادي.
(٤) ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام**: ج ٢،ص٢٠٦.

ونجد أيضا إشارة في القرآن الكريم وكتب السيرة إلى فئة أخرى من النصارى هم أقرب مودة للذين آمنوا قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[١].

وآية الأعراف تبين موقف النصارى من دعوة الإسلام، حيث كانوا في مكة قد وجـدوا صفات النبي ﷺ مطابقة لما في أيديهم من أسفار التوراة والإنجيـل، فـآمنوا بـه ﷺ واتبعـوه ونصروه فاستحقوا التنويه الذي احتوته الآية[٢].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٣].

وسورة الأعراف من السور المبكرة في النزول فتكون الصورة التي احتوتها الآية مـن الصور المبكرة لإيمان فريق من النصارى واليهود برسالة الإسلام[٤].

وفي السيرة (قدم على النبي ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة، من النصارى حين ظهر خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد فكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله تعالى، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه فاضت أعينهـم مـن الدمـع، ثـم استجابوا لـه وآمنـوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢-٨٣.
(٢) محمد عزة دروزة، (١٣٦٧هـ-١٩٤٨م **سيرة النبي صلى الله عليه وسلم**: ص ٣٣٧.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.
(٤) محمد عزة دروزة، **سيرة النبي صلى الله عليه وسلم**: ص ٣٣٧.

فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تظهر مجالستكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركبا أحمق منكم، فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألوا أنفسنا خيراً، فيقال: إن النفر النصارى من أهل نجران"[١]، ويقال: إن فيهم نزلت هذه الآيات:

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ [٢].

يتبين لنا من هذا العرض أن القرآن الكريم يمايز بين طوائف النصارى من جهة أن فيهم من سمع الحق ورفضه، ومن سمع الحق واتبعه وكان هذا في مرحلة مبكرة من مراحل الـدعوة حيث كان رسول الله ﷺ في مكة كما ذكرنا.

وتباعاً فإن كتاب الله يرسم لنا منهجاً في التعامل معهم، (حيث فرق تفريقاً واضحاً في المعاملة بين صنفين من غير المسلمين: صنف (المحاربين) المقاتلين لهم في الدين، الذين شردوهم من ديارهم، وأعانوا على تشريدهم، وصنف آخر مسالم لهم لم يشارك في شيء من هذه الأعمال، وذلك في آيتين كريمتين تُعدان تشريعاً محكماً في تحديد العلاقة بغير المسلمين[٣] يقول تعالى:

لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ [٤]. يقول الشيخ محمد الغزالي: والبر هو:الخير،والقسط هو:العدل، وقد نزلت

---

(١) ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام**: ج٢،ص٢٠٦، وانظر القرطبي،**تفسير القرطبي**:ج ٦،ص١٦٥، وانظر الحلبي، **السيرة الحلبية**: ج١،ص٤٨٧، "وقيل إن الوفد الذي جاء لرسول الله عليه السلام وهو فـي مكـة وجالسه واستمع منه (وكانوا نصارى) هم الذين قدموا مع جعفر من الحبشة والشام وكان عـددهم سـبعين رجلاً، فقرأ عليهم الرسول عليه السلام سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فنزلت فيهم الآية: (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ)، سورة المائدة: ٨٢، انظر القرطبي، **تفسير القرطبي**: ج ٦،ص١٦٦.

(٢) سورة القصص: الآيات ٥٢-٥٥.

(٣) د. يوسف القرضاوي،(٢٠٠١م)، **مدخل لمعرفة الإسلام**،(ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة: ص ٢٧٥.

(٤) سورة الممتحنة: الآية ٨-٩.

هاتان الآيتان في شأن المشركين الوثنيين، كما دلت على ذلك أسباب نزول السورة . فأهل الكتاب أولى بالبر والقسط من المشركين[١].

فلا يجوز مقاتلة من اختار السلام والتعايش السلمي على القتال والحرب (فالآية حاسـمة في أن الذين لا يعتنقون الإسلام إذا آثروا السلام وابتعدوا عن أسباب الصدام، فلا يجوز البته أن نغرر بهم أو نتعرض لهم بِشَر، ولم أوذي رجلاً تركني أدعو فلم يمنعني من دعوة، وتَرك مـن شاء يسلِم فلم يضع في طريقه عقبة"[٢]. حتى مع المشركين[٣] فثمة تفريق بين من يمارس الكيـد والأذى علينا وبين الآخر. قال تعـالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ [٤] فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾[٥].

يقول الشيخ الغزالي: المشرك المستجير الذي لم يبسط لنا يده بالأذى، ولم يـنقض لنـا عهداً لا يجوز أذاه ولا ترويعه، وسياق آيات القتال في – براءة – حاسم في أن المراد بـإعلان الحرب هم المشركون الغدرة، والقول بأن تأمين المشرك المستجير قد أُلغي باطل"[٦].

وهو حق دل عليه الواقع النبوي في التعامل مع المشركين في مكة قبل الهجرة وبعدها.

وعن مجاهد في تفسير الآية (وإن أحد من المشركين إستجارك ...) قال:" إنسان يأتيـك ليسمع ما تقول وما أُنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فتسمعه كلام الله وحتى يبلغ مأمنـه حيـث جاء، ومن هذا كان ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه مسترشداً أو في رسالة، كما جاء يـوم الحديبيـة جماعة من الرسل من قريش منهم عروة بن مسعود، ومكرز بن حفص، وسهيل بـن عمـرو،

---

(١) د. يوسف القرضاوي، **مدخل لمعرفة الإسلام**: ص٢٥٧

(٢) محمد الغزالي، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، **جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج**، ط٣، القاهرة: مكتبـة وهبة: ص ٣٥.

(٣) المشركون: هم الذين لا يفردون الله بالعبادة، ويشركون معه غيره، كعبدة الأوثان في العـرب والـذين ورد ذكرهم في القرآن بجانب أهل الكتاب كقوله تعـالى: (مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ)، سورة البقرة، الآية: ١٠٥.
والشرك: نقيض التوحيد، سواء توحيد الربوبية، أو الألوهية أو الصفات، ولقد تقرر هذا التقسيم عنـد العلمـاء، انظر أبي العز الدمشقي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص ٢١، وانظر د. محمد نعيم ياسين، **الإيمان**، ص ١٥.

(٤) الإستجارة: هي قانون تعارف عليه العرب في الجاهلية أن ينجدوا من يستجير بهم، وقد استجار النبي عليـه السلام بالمطعم بن عدي لدخول مكة، انظر، المقريزي، **أمتاع الأسماع**، ط١، ص ٤٦، ودخل ابـو بكـر رضي الله عنه بجوار ابن الدغنة، انظر ابن هشام، **سيرة النبي عليه السلام**،ج ١،ص٣٩٥.
ولم ينكر الإسلام هذا القانون، ولقد رخص القرآن للنبي عليه السلام أن يجير مـن ينـزل بجـواره مـن المشركين ويؤمنه حتى يسمع الحق، فإما يؤمن وإلا ينصرف.

(٥) سورة التوبة: الآية ٦.

(٦) محمد الغزالي، **جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج**: ص ٤٢.

وغيرهم فرأوا من إعظام المسلمين لرسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم"[١].

أخيراً: إن حالات التسامح والإنصاف والعدل مع النصارى ضابطها تمييز القرآن بين فئتين منهم فئة نُهينا عن التعامل معها ومصادقتها وأخرى هي التي لها البر والإحسان والفاصل في ذلـك قول الله تعـالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[٢].

---

(١) ابن كثير، **تفسير ابن كثير**،ج٢،ص٣٥٠، وانظر ابن هشام، **سيرة النبـي عليـه الـسلام**: ج ٣،ص٣٦٠ بتصرف.

(٢) سورة الممتحنة: الآية ٨-٩.

الباب الثالث: إعتماد الضوابط الشرعية في بناء العلاقات بين النصارى والمسلمين

الفصل الأول: الانصاف في التعامل

المبحث الأول: تعريف الإنصاف

المبحث الثاني: صور عملية للإنصاف

الفصل الثاني: بناء العلاقات الاجتماعية

- المبحث الأول: الزاوج بين المسلمين وأهل الكتاب
- المبحث الثاني: طعام أهل الكتاب
- المبحث الثالث:الإهداء للكفار وقبول هديتهم
- المبحث الرابع : عيادة مريض غير المسلمين
- المبحث الخامس :التعزية والمواساة
- المبحث السادس : شهود جنائز غير المسلمين وزيارة قبورهم
- المبحث السابع: زيارة غير المسلمين ومشاركتهم في المناسـبات الخاصة
- المبحث الثامن: المشاركة والتهنئة بالأعياد الوطنية والدينية
- المبحث التاسع: أحكام التحية بين المسلم وغيره
- المبحث العاشر: صلتهم والإحسان إليهم والتصدق عليهم
- المبحث الحادي عشر: بناء العلاقات الاقتصادية

الباب الثالث

اعتماد الضوابط الشرعية في بناء العلاقات بينهم وبين المسلمين

تمهيد:

نظر الإسلام إلى هذا الوجود وهذه الحياة نظرة شمولية على أنها وحدة منسجمة بناموس رباني واحد، والعلاقة بين العوالم علاقة التناسق والتكامل، لا علاقة التباغض والعـداء، الكـل يتحرك وفق إرادة الخالق الواحد، ويتجه إلى بارئه الأحـد، فيتحـدد تعامـل الإنـسان بـسائر المخلوقات في إطار الصداقة لا العداوة أو الغلبة، ومن ثم يحرم عليه الاعتداء على حيـوان أو جماد، بإفساد في التصرف، أو تبذير في الاستعمال، أو تجاوز في القتل، وإذا كان هـذا قـانون العلاقات بين الإنسان عامة، وبين الحيوانات والجمادات، فالعلاقة بين إنسان وإنسان لن تكـون بالتأكيد أدنى مستوى منها بين إنسان وسائر المخلوقات، ولاسيما إذا كان أحدهما مسلما.

حدد القرآن نوع العلاقة بين البشر في قولـه تعـالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[(١)]. والتعارف كمحور العلاقات بين البشر على اخـتلاف شـعوبهم وقبائلهم "واختلاف الألسنة والألوان، وإخـتلاف الطبـائع والأخـلاق، وإخـتلاف المواهـب والاستعدادات تنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون بالنهوض بجميع التكـاليف والوفاء بجميع الحاجات"[(٢)]، إنه تعارف له مدلول أبعد من مجرد معرفة شخص إسم آخر، بـل التعارف الذي يؤدي إلى تبادل المنافع، وإيجاد التعاون فيما بينهم، لقوله تعـالى:﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[(٣)].

ومن أجل هذا التعارف يتطلب طبيعة العلاقة السلمية الإيجابية، وبذلك كان السلم الحالـة الأصلية التي تهيئ للتعاون، والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامة، وهو بهـذا الأصـل لا يطلب من غير المسلمين، إلا أن يكفوا شرهم عن دعوته وأهلـه وأن لا يثيـروا عليـه الفـتن والمشاكل[(٤)].

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.
(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**:ج ٦،ص٣٣٤٨.
(٣) سورة الزخرف: الآية ٣٢.
(٤) محمود شلتوت، (١٣٧٩هـ- /١٩٥٩م)، **الإسلام عقيدة وشريعة**، القاهرة: مطبوعات الإدارة العامة للثقافـة الإسلامية بالأزهر:ص ٣٨٣.

الفصل الأول: الإنصاف في التعامل

المبحث الأول: تعريف الإنصاف

يقول صاحب لسان العرب:

الإنصاف: إعطاء الحق، وأنصف: إذا أخذ الحق وأعطى الحق وأنصف الرجل أي عدل[١].

ولقد سطر الله تعالى في كتابه العزيز نداء للمؤمنين يأمرهم فيه بالإنصاف مع غيرهم حتى لو كانوا أعداء قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [٢].

فالآية كما يقول القرطبي دلت على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه[٣]،" وما من عقيدة أو نظام في هذه الأرض يكفل العدل المطلق للأعداء المشنوئين، كما يكفله لهم هذا الدين، حين ينادي المؤمنين به أن يقوموا لله في هذا الأمر، وأن يتعاملوا معه، متجردين عن كل اعتبار، وأن يكون العدل فريضة على معتنقيه، يتعاملون فيها مع ربهم، مهما لاقوا من الناس من بغض وشنآن[٤].

وهذا الإنصاف الذي أمرنا الله تعالى به مع الآخرين أمرنا به حتى في ساحة المعركة أن نكون عادلين منصفين غير معتدين قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [٥]. من هنا ورد النهي عن قتل النساء والصبيان والرهبان وهذا ما أوصى به الصديق رضي الله عنه بقوله: (وستجد أقواماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له) [٦].

وهذا الإنصاف المطلوب مع غير المسلمين هو مما حرص رسول الله ﷺ في علاقته مع أهل الذمة فلقد أوفى الرسول ﷺ بجميع المعاهدات التي عقدها لأهل الذمة حيث قال عليه السلام:

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**:ج ٩،ص٣٣٢.
(٢) سورة المائدة: الآية ٨
(٣) القرطبي، **تفسير القرطبي**: ج ٦،ص٧٣.
(٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن**: ج ٢،ص٨٥٢.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٩٠.
(٦) القرطبي، **تفسير القرطبي**:ج ٢،ص٢٣٢.

(نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم) [١]. ولقد أمر الله تعالى بذلك: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾[٢].

وهذا ما أوصى به عمر رضي الله عنه: (أوصيكم بذمة الله وذمة رسوله عليه السلام أن يوفَى لهم عهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا إلا طاقتهم) [٣].

ولقد اهتم فقهاء الإسلام بحالة إنصاف أهل الذمة والعدل معهم مسترشدين بهدي كتاب الله العزيز، يقول الماوردي: "لأهل الذمة حقان ببذل الجزية: أحدهما: الكف عنهم، والثاني: الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين"[٤].

يقول السرخسي: (يجب على إمام المسلمين أن ينصر المستأمنين ما داموا في دارنا وأن ينصفهم ممن يظلمهم، كما يجب عليه ذلك في حق أهل الذمة، لأنهم تحت ولايتنا) [٥]

إن النفس البشرية يبقى لها داعي الاحترام حتى وإن زاغت، لا لذاك الفكر الذي يفكر به ذلك الشخص وإنما لتلك النفس التي خلقها الله، فوقوف النبي ﷺ في مثل هذه المواقف والظروف وقوف باحترام للنفس من حيث خلقها الله، لا من حيث ما اختارت من الأفكار.

إن الأساس الفكري لتسامح المسلمين وإنصافهم لأهل الذمة يرجع إلى اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، أيا كان دينه أو جنسه أو لونه قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [٦]، وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية[٧].

من هنا قال ﷺ: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)[٨].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب، الجهاد، باب الوفاء بالعهد حديث رقم ٤٦١٦، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج١٢،ص٣٥٦.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الوصية بأهل ذمة رسول الله عليه السلام، حديث رقم ٣١٦٢، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ج٦،ص٣٢١.
(٤) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠)،**الأحكام السلطانية**، (تحقيق سمير مصطفى)، المكتبة العصرية،بيروت،(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م): ص١٦٤.
(٥) السرخسي، **المبسوط:** ج١٠،ص١١٩.
(٦) سورة الإسراء:الآية ٧٠.
(٧) د. يوسف القرضاوي،(١٩٩٣م)، **من هدي الإسلام، فتاوى معاصرة**، (ط٢)، المنصورة: دار الوفاء: ج٢،ص٦٧٧.
(٨) أخرجه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، حديث رقم ٣١٦٦، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ج ٦،ص٣٢٤.

الناس جميعاً في ميزان الإسلام سواء، لا فضل لأحد على الآخر بسبب عرقه، أو لونه، أو قبيلته، أو جنسيته، فشعار الإسلام قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[١].

وهذه المساواة التي فرضها الإسلام أمر أصيل في ديننا، تتضمن أن الناس أمام الشريعة سواء فلا وساطات، ولا رشاوى، ولا قرابات تنفع، يقول ﷺ "وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[٢].

المبحث الثاني: صور عملية للإنصاف

لقد جعل الله تعالى من رسوله عليه السلام قدوة وأسوة للناس، فأعطى من نفسه القدوة في كل شيء، فانتصر لغير المسلم على المسلم، إقامة للحق والعدل، بتوجيه الوحي المعصوم ونذكر لذلك موقف من مواقفه الدعوية التي أعطى فيها القدوة لغير المسلم، فأقنع العالمين بأحقية الإسلام في قيادة البشرية .

إن الإنصاف الذي حظي به أهل الكتاب من رسول الله ﷺ وصحبه الكرام إنصافاً لم يرد في التاريخ مثيلاً له... حتى الميت منهم أُنْصِفَ وذُكر ما فيه من خصائل وفضائل ففي قصة إسلام عدي بن حاتم، حين وقعت أُخته سفانة في الأسر لدى المسلمين، فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يمر بها والأسرى، فتقول لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي من الله عليك، فإني بنت سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويطعم الطعام، ولم يرد طالب حاجة قط. أنا سفانة بنت حاتم الطائي، فقال ﷺ: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، ثم قال لأصحابه خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق. فخلوا عنها هي وقومها[٣].

إنه إنصاف حتى لو كان لامرأة مسكينة، لكنها صاحبة حق، وحتى لو كان المعتدى عليها هو الأمير وحتى لو كان الاعتداء فيه هضم لحقها لصالح الإسلام والمسلمين فإنه مرفوض في ديننا الكريم.

مما يروى أن امرأة قبطية شكت عمرو بن العاص – والي مصر – إلى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب بسبب قراره بضم بيتها إلى المسجد لحاجة المسلمين إلى توسيعه، فاستدعى

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، حديث رقم ٤٣٨٦، **صحيح مسلم، شرح النووي**،ج ١١،ص١٨٦.

(٣) الجصاص، **أحكام القرآن** :ج٣ ص٣٢٩ ابن حجر **الإصابة** :ج٢ ص٢٩٥.

الخليفة العادل عمرو بن العاص لشرح القضية، فبين أن إزدياد عدد المصلين في المسجد يقتضي توسيعه وإن بيت المرأة ملتصق بالمسجد فعرض لها الثمن المرتفع لبيتها ولكنها رفضت فكان القرار بهدم البيت وحل محله جزء موسع من المسجد، أما الثمن المخصص لها فهو مدخّر في بيت المال بوسعها أخذه متى شاءت. يبدو أن لقرار عمرو ما يبرره فهو مقبول حتى في عرفنااليوم، ولكن الخليفة – ومن باب إنصاف المرأة – فضل إصدار أمر بهدم جزء من المسجد الذي حل محل بيت المرأة كما أمر بإعادة بناء بيتها[١].

وفي حالة وقوع الظلم من الوالي نفسه أو من ذويه وحاشيته، فإن أمير المؤمنين هو الذي يتولى ردعه ورد الحق إلى أهله بكل إنصاف، وأشهر الأمثلة على ذلك الإنصاف قصة القبطي مع عمرو بن العاص والي مصر، حيث ضرب ابن عمرو بن العاص القبطي بالسوط لأنه سبقه على فرسه قائلاً له: أنا ابن الأكرمين، فما كان من القبطي إلا أن ذهب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالمدينة وشكا إليه، فاستدعى الخليفة العدل عمرو بن العاص وابنه وأعطى السوط للقبطي وقال له: اضرب ابن الأكرمين، فلّما انتهى من ضربه التفت إليه عمر وقال له: أدرها على صلعة أبيه، فإنما ضربك بسلطانه، فقال القبطي: إنما ضربت من ضربني، ثم التفت الخليفة إلى عمرو، وقال كلمته الشهيرة: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً[٢].

وفي ظل عدل الإسلام فإن إنصاف أهل الكتاب وإعطاؤهم حقوقهم أمر يحرص عليه الإسلام فأموالهم مصونة وأعراضهم محمية وأرواحهم محافظ عليها.

وعن عمرو بن دينار عن رجل (أن أبا موسى كتب إلى عمر بن الخطاب في رجل مسلم قتل رجلاً من أهل الكتاب، فكتب إليه عمر: إن كان لصاً أو محارباً فاضرب عنقه، وإن كان لطيرة[٣] منه في غضب فأغرمه أربعة آلاف درهم) [٤].

---

(١) د. مصطفى السباعي، **من روائع حضارتنا**: ص ٦٨.

(٢) الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، (ت: ٩٧٥هـ)، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ط١،(ضبطه وفسر غريبه بكري حياني وصفوة السقا)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م)، حديث رقم ٣٦٠١٠: ج١٢ص٦٦٠-٦٦١. وانظر: ابن الجوزي، جمال الدين بن علي بن محمد،(ت:٥٩٧ه)، **تاريخ عمر ابن الخطاب**، ط١،(تحقيق علي محمد علي)،مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧ه-١٩٩٧م:ص١١٢. وانظر ابن عبد ربه، محمد بن طلحة، (٦٥٢هـ)، **العقد الفريد للملك السعيد**، ط١، مطبعة الوطن، القاهرة: ص٥٩.

(٣) الطيرة: العثرة والزلة، قال ابن كثير: إياكم وطيرة الشباب: أي عثراتهم وولاتهم، انظر ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**:ج ٣،ص١٣٨.

(٤) الصنعاني، أبي بكر عبد الرزاق بن همام، (ت :٢١١هـ)، **المصنف**، (تحقيق حبيب الأعظمي)، باب دية أهل الكتاب، رقم ١٨٤٨: ج١٠،ص٩٣.

وهذا الإنصاف لأهل الكتاب يراعيه الإسلام حتى في أبسط الأمور، فعن يزيد بن أبي مالك قال: كان المسلمون بالجابية ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتاه رجل من أهل الذمة يخبره أن الناس قد أسرعوا في عنبه، فخرج عمر حتى لقي رجلاً من أصحابه يحمل ترساً عليه عنب، فقال عمر: وأنت أيضاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين أصابتنا مجاعة، فانصرف عمر، وأمر لصاحب الكرم قيمة عنبه"[(١)].

ومن صور العدل والإنصاف التي حدثت في تاريخنا الإسلامي ولم يفعلها غيرنا ما حدث من إعادة الجزية لأهل الشام حيث أخذها قائد المسلمين لقاء حمايتهم والدفاع عنهم، وحينما علم أنه لا يستطيع حمايتهم، والجزية ضريبة الدفاع أو الحماية عنهم، وحيث إنتفى الدفاع إنتفت الجزية قال لهم: إنا كنا قد أخذنا منكم أموالاً على أن نحميكم، وندافع عنكم، ونحن الآن خارجون عنكم لا نملك حمايتكم فهذه أموالكم نردها إليكم! فقال أهل المدن: ردكم الله ونصركم، والله لحكمكم وعدلكم أحب إلينا من جور الروم وظلمهم! والله لو كانوا مكانكم لما دفعوا إلينا شيئاً أخذوه بل كانوا يأخذون معهم كل شيء يستطيعون حمله![(٢)].

وقد يحدث تصرف يرى فيه أهل الذمة عدم عدل وإنصاف، ولكنه سرعان ما عارضه الرأي العام المتمثل في العلماء، أو قد يأتي أمير بعده يلغي ما تم على عهد سابقه ترضية لأهل الكتاب، ومثال ذلك: أن الوليد بن عبد الملك أخذ كنيسة (يوحنا) من النصارى وأدخلها في المسجد، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شكا النصارى إليه، ما فعل الوليد بهم في كنيستهم فكتب إلى عامله برد ما أدخله في المسجد عليهم، لولا أنهم تراضوا مع الوالي على أساس أن يعوضهم بما يرضيهم[(٣)].

ومن مواقف العلماء الذين هم بجانب الحق والمظلومين من أهل الكتاب والحرص على إنصافهم موقف الإمام الأوزاعي مما حدث لأهل جبل لبنان، كان ناس من المواطنين النصارى أحدثوا حدثاً وعلى الشام يومئذ صالح بن علي بن عبد الله احد قواد العباسيين، فحاربهم وأجلاهم جميعاً فكتب إليه الأوزاعي، "قد كان من إجلاء أهل الذمة من أهل جبل لبنان مما لم يكن تمالأ عليه خروج من خرج منهم، ولم تطبق عليه جماعتهم، فقتل منهم طائفة ورجع بقيتهم إلى قراهم، فكيف تؤخذ عامة بعمل خاصة؟ فيخرجون من ديارهم وأموالهم؟ وقد بلغنا أن من حكم الله عز وجل أنه لا يأخذ العامة بعمل الخاصة، ولكن يأخذ الخاصة بعمل العامة ثم يبعثهم على أعمالهم، فأحق ما اقتدى به ووقف عليه حكم الله تبارك وتعالى، وأحق الوصايا بأن تحفظ وصية رسول

(١) أبو عبيد، القاسم بن سلام، **كتاب الأموال:** ص ١٧٩.
(٢) د. مصطفى السباعي، **من روائع حضارتنا**: ص ٨٧.
(٣) البلاذري، **فتوح البلدان**: ج ١،ص٤٩.

الله ﷺ، فإنهم ليسوا بعبيد فتكونوا من تحويلهم من بلد إلى بلـد في سعة ولكنهـم أحـرار أهـل الذمة ....[١].

وستبقى عبارات الأوزاعي مفخرة من مفاخر التاريخ الإسلامي في دفاع فقهاء الشريعة الإسلامية عن الذميين وإنصافهم.

وكذلك موقف العلماء والمسلمين من صنيع الوليد يزيد عندما أجلى من كان بقبرص من الذميين، وأرسلهم إلى الشام مخافة حملة الروم رغم أنه لم يفعل ذلك إلا حماية للدولة واحتياطـاً لها في نظره، فقد غضب عليه الفقهاء، وعامة المسلمين واستعظموا ذلك منه، فلما جاء يزيد بن الوليد وردهم إلى قبرص استحسنه المسلمون وعدوه من العدل والإنصاف[٢].

ولم يتوان ولاة الأقاليم في دولة الإسلام من إنصاف ظلم وقع على أحد المـواطنين، لا سيما إذا قدمت شكوى اليهم "فقد شكا أحد رهبان النصارى في مصر إلى الوالي أحمد بن طولون أحد قواده، لأنه ظلمه وأخذ منه مبلغاً من المال بغير حق، فما كان من ابن طولون إلا أن أحضر هذا القائد وأنبه وعزره وأخذ منه المال، ورده إلى النصراني، وقال له: لو إدعيتَ عليه أضعاف هذا المبلغ لألزمته"[٣].

ومن باب الإنصاف فقد كان للذميين نوع من التـأمين الاجتمـاعي ضـد الـشيخوخة والمرض والفقر ، فإن خالد بن الوليد رضي الله عنه حين كان يقود معارك الفتح فـي العـراق أعلن في معاهدة الصلح مع أهل الحيرة – وكانوا مسيحيين –: (وجعلت لهم أيما شـيخ ضـعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر، وصار أهـل دِينـهِ يتـصدقون عليـه طرِحت جزيته، وعِيلَ من بيت مال المسلمين هو وعياله ما أقاموا بدار الإسلام)[٤].

وحالة الإنصاف لا تتمثل في معاملة المسلمين لأهل الكتاب، بل تمتد إلى إنصاف الظلـم الذي وقع بين أهل الكتاب بعضهم البعض. مثال ذلك أنه بعد فتح مصر استغل اليعاقبة فرصـة إقصاء السلطات البيزنطية ليسلبوا كنائسهم ولكن المـسلمين أعادوهـا أخيـراً إلـى أصـحابها الشرعيين، بعد أن أثبت الأرثوذكس ما يدل على ملكيتهم لها[٥].

---

(١) أبو عبيد، كتاب **الأموال**: ص ١٩٩.
(٢) أبو عبيد، كتاب **الأموال**: ص ٢٠٣.
(٣) د. يوسف القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**: ص ٢٧.
(٤) أبو يوسف، **الخراج**، ص ٤٥٣.
(٥) فيليب حتى، (١٩٥٣م)، **تاريخ العرب**،(ط٢)، دار الكشاف: ج٢،ص٢٥٩.

إن الإنصاف الذي كان يعامل به أهل الكتاب، كانت تراعي شروطه من قبل المـسلمين حتى في ظل الإعتداء والمخالفة من قبل أهل الكتاب، حتى لو كان بين المسلمين وأهل الكتـاب عهد وميثاق ونقض أهل الكتاب ذاك العهد والميثاق.

والأصل في ذلك أن الله تعالى يقول ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [1].

وما رواه أبو داود والترمذي عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من كان بينه وبين قوم عهد فليشد عقدته ولا يحلها حتى ينقض أمرهـا وأن ينبذ إليهم على السواء"[2].

من هذه النصوص يتبين أنه إذا كان بين المسلمين وبين غيرهم عهد أو معاهـدة فعلـى المسلمين أن يحفظوا لهم عهدهم إلى مدته، فإذا بدا من هؤلاء المعاهدين ما يشير إلـى الخيانـة والاحتيال على نقض المعاهدة فلا تحل محاربتهم إلا بعد نبذ عهدهم إليهم، وإعلان هـذا النبـذ بحيث يكون معلوماً لدى الطرفين لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ [3] عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [4].

ومما يدل على هذا أن عمير بن سعد قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حـين قـدم عليه: " إن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها: (عربسوس)، وإنهم يخبرون عدونا بعوراتنا وقد بدت منهم الخيانة، فلا يظهروننا على عورات الروم، فقال: إذا رجعت إليهم فخيرهم أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بقرة بقرتين، ومكان كل شيء شيئيين، فإن رضـوا فـأعطهم إياهـا وأجلِهم عن هذه القرية، وإن أبوا ذلك فانْبذ إليهم وأمهلهم سنة ثم حاربهم"[5].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٢) أخرجه الترمـذي كتاب السير عن رسول الله عليه السلام، باب ما جاء في الغدر برقم ١٥٨٠، الترمـذي، محمد بن عيسى بن سورة (٢٩٧هـ) **الجامع الصحيـح (سنـن الترمـذي)**، دار إحياء التراث العربـي، بيروت، ط١،(٢٠٠٠م): ص ٤٦٠. وقال عنه :حسن صحيح.

(٣) فانبذ إليهم: إطرح عليهم عهدهم وأعلمهم نقضه: (وقل قد نبذت إليكم عهدكم، وأنا مقاتلكم، ليعلموا ذاـك ولا تقاتلوهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك فيكون ذلك خيانة وغـدراً)، القرطبـي، **تفـسير القرطبـي**،ج ٨،ص٢٢، وانظر الراغب، **المفردات**: ص ٧٨٨.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

(٥) أبو عبيد، **كتاب الأموال**: ص ٢٤٦

إن هذه الأخلاق التي كان يتعامل بها المسلمون مع غيرهم يشهد بها الواقع ويشهد بها المؤرخون والفلاسفة ورجال الدين المنصفون فهذا البطريرك (عبشويابه) عام ٦٥٦هـ يشهد بسماحة الإسلام وإنصافه حين يقول: (إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم، يعاملوننا بعدالة كما تعرفون، إنهم ليسوا أعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملّتنا، ويوقّرون قديسنا، ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا) (١).

وإذا ذهبنا إلى كتب الفقه فإننا نجد فقهاؤنا الكرام ناقشوا مسائل فقهية متنوعة يظهر فيها الإنصاف لأهل الذمة، فمثلاً مسألة: سرقة المسلم من مال الذمي، فهم لا يختلفون في إثبات حد السرقة على المسلم إذا سرق من مال الذمي ما يبلغ النصاب وتقطع فيه اليد لأنه سرق مالاً معصوماً على جهة التأبيد لا شبهة له فيه، وكذا لا يختلفون في قطع الذمي بسرقته مال المسلم لكون مال المسلم معصوما بالإسلام عصمة مؤبدة أيضا، وإذا لم يكن مال المسلم أكبر من مال الذمي في العصمة فلا أقل من أن يكون مساوياً له(٢).

ومما يدل على قطع المسلم بسرقة مال الذمي، والذمي بسرقة مال المسلم عموم قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣).

إن هذا الإنصاف الذي تعرضنا له نابع من إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل ويدعو إلى مكارم الأخلاق ولو مع المشركين، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين ولو كان الظلم من مسلم لكافر قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٤).

ولقد قال عليه السلام: (ألا من ظلم معاهداً(٥) أو انتقص حقه، أو كلفه فوق طاقته، أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة) (٦).

---

(١) عبد الله علوان، **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية**: ص ١٤٤.

(٢) يراجع، الماوردي **الأحكام السلطانية**، ص ٢٤٨. وانظر ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت ٤٥٦هـ)، **المحلى**،(تحقيق أحمد محمد شاكر)، دار الفكر، ج١١،ص٣٣٤، وانظر ابن قدامة، **المغني** ١٠ج،ص٢٧٦، وانظر الكاساني، علاء الدين أبي بكر بن مسعود (ت: ٥٨٧ه)،**بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م: ج٧،ص٧١.

(٣) سورة المائدة، الآية:٧.

(٤) سورة المائدة،الآية: ٧.

(٥) معاهداً: هو من كان بينه وبين المسلمين عهد، وأكثر ما تطلق على أهل الذمة.

(٦) الحديث ورد ذكره في ترتيب أحاديث: **(صحيح الجامع الصغير وزيادته)** للإمام السيوطي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط١،مكتبة المعارف، الرياض،١٩٨٧، ج٣،ص٤٩، قال الشيخ الألباني رحمه الله الحديث حسن، وإسناده جيد انظر محمد ناصر الدين الألباني(١٩٩٤م)، **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**،ط٤،بيروت: المكتب الإسلامي: ص:٢١٥.

الفصل الثاني: بناء العلاقات الاجتماعية والاقتصادية

تمهيد: الأدلة العامة الواردة في بر وصلة غير المسلم

لقد وردت أدلة عامة في جميع صور بر وصلة غير المسلم مستخدمة ألفاظاً تعم جميع الناس من المسلمين أو غيرهم أو ألفاظاً تعم جميع صور البر وصلة غير المسلم، ويمكن من خلال هذه الأدلة استنباط حكم عام في جميع صور بر وصلة غير المسلم، ثم ينصب البحث بعد ذلك في هذا الفصل في الأدلة الخاصة بكل صوره التي وردت إما تخصيصاً للحكم العام أو تأكيداً له، ومن أبرز الأدلة العامة ما يأتي:

١. قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾[١]. ومن المعلوم أن هذه الآية أصل في البر والصلة والإحسان بغير المسلم عموماً[٢]، فكل صورة حققت هذا المقصود فهي مشروعة ابتداء إلا إذا ورد نص خاص أو قاعدة كلية تحرمها.

٢. حديث أسماء بنت أبي بكر قالت: (قَدِمتْ علي أمي وهي مشركة في عهد النبي ﷺ فاستفتيتُ رسول الله قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة[٣]، أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك) [٤].

٣. قول النبي ﷺ: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم) [٥]. ويلحظ في الحديث أنه إستخدم لفظ (الناس) وهي عامة لكل البشر بخلاف لو استخدم لفظ (المؤمن). وحكمة هذا العموم في نظري أن خلطة المؤمن تنمية لروح الأخوة الإيمانية وللمحبة والولاء للمؤمنين، وأما خلطة الكافر فهي خير إذا كان فيها معاملة حسنة تدعوه إلى ألفة أهل الإسلام وإلى اعتناقه الإسلام بإذن الله كما حدث في بلاد كثيرة مثل دول جنوب شرق آسيا.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

(٢) انظر القرطبي، **تفسير القرطبي**: ج ١٨،ص٤٠.

(٣) راغبة: أي طالبة بر ابنتها لها.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الهبة باب الهدية للمشركين، رقم٢٦٢٠، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ج٥،ص٢٨.

(٥) ابن حنبل، أحمد، **المسند**، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، حديث رقم (٥٠٢٢)، قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح ورجاله رجال الشيخين:ج٩،ص٦٤.

٤. حديث عمرو بن العاص قال: (سمعت النبي ﷺ – جهاراً غير سر – يقول: إن آل أبي – قال عمرو: في كتاب محمد بن جعفر بياض – ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين ... ولكن لهم رحماً أبلها ببلالها، يعني أصلها بصلتها) [1]. وهذا يدل على تأكيد صلة الرحم حتى ولو كانت كافرة وأن البراء من الكفار لا يعني قطع الأرحام وعلاقات القرابة، وحكمة إبقاء رابطة الرحم مع الكافر في تقديري هي أن يبقى للكافر صلة قريبة بالمسلمين حتى يطلع على تعاليم الإسلام في سلوكهم اليومي، فلا ينضم إلى فريق المحاربين لهم.

٥. حديث البراء بن عازب: (أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض وإتباع الجنائز وتشميت العاطس وإجابة الداعي وإفشاء السلام ونصر المظلوم وإبرار المقسم ...) [2]. وهذا الحديث ضمن صوراً من البر والصلة وعمم الأمر بها مع المسلمين والكفار ما لم يأت دليل يخصص أو يقيد صورة بعينها، فقد وردت أدلة في اجتناب الدعوات التي تحتوي على محرمات – مثلاً – ووردت أدلة مقيدة لبعض الصور المذكورة مع غير المسلمين – سيرد بعضها لاحقاً إن شاء الله تعالى – ولكن بقي الأصل العام في باقي الصور على الجواز.

من خلال هذه الأدلة يتضح أن الأصل في جميع صور بر غير المسلم وصلته هو الجواز ما لم يرد نص أو قاعدة كلية تُحرم صورة بعينها، وقد يصل حكم الجواز هذا إلى الندب أو الوجوب بحسب طبيعة العلاقة، فالأرحام تجب صلتها، كما وتُندب صلة من له حق صحبة أو زمالة أو شراكة أو جيرة.

وسنقوم - إن شاء الله تعالى - بدراسة صور معينة من بر وصلة غير المسلم بالنظر إلى الأدلة الخاصة الواردة فيها للوصول إلى الحكم النهائي الذي يؤكد، أو يخصص العموم الوارد هنا.

المبحث الأول: الزواج بين المسلمين وأهل الكتاب

ليس هناك خلاف ذو بال في جواز نكاح المسلم بكتابية من نصرانية أو يهودية، لأنه مما ثبت في القرآن بوضوح وإن لم يصل إلى درجة الإجماع بين المسلمين، وهذا ما دعا ابن المنذر

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب تُبل الرحم ببلالها رقم ٥٩٩٠ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ج١٠،ص٥١٤

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب آنية الفضة، برقم ٥٦٣٥، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ج١٠،ص١١٩.

إلى القول بكل تأكيد انه (لا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك)، وصرح صاحب المغنـي قائلاً: (ليس بين أهل العلم بحمد الله إختلاف في حل حرائر نساء أهل الكتاب)[١]، كما قرر ابـن رشد بأن العلماء "إتفقوا على أنه يجوز أن ينكح الكتابية الحرة"[٢].

إذاً فالمسألة شبه إتفاق وإن لم يصل إلى درجة الإجماع، لذلك لم يصرح الفقهاء بكلمـة الإجماع، بل اكتفوا بكلمة تدل على اتفاق، ذلك أن وجود القول المخالف لا يمكن إنكاره، حتـى وإن صدر من القلة مع ضعف ما تستند إليه، وهو ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما ومـا قد يفهم خطأ من سياسية عمر بن الخطاب ثم قول الشيعة الإمامية وبعض الزيدية[٣].

ومذهب جمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في كل عصر ومصر حل زواج المسلم بكتابية، واستدلوا من القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[٤].

ووجه دلالة الآية الكريمة أنها ذكرت أن المحصنات من أهل الكتاب تحـل للمـسلمين كالمحصنات المسلمات والظاهر، وأن المحصنات هنا هن العفاف ولسن الحرائر[٥]، كما لم تفرق الآية بين الذمية والحربية فيشمل الحل كل كتابية[٦].

وقد نقل بعض المفسرين[٧] إجماع الصحابة على حل زواج الكتابية للمسلم، فقـد روي عن عمر بن الخطاب جوازها وعن عثمان بن عفان أنه تزوج نصرانية وعن طلحة بن عبيد الله زواجه بيهودية من الشام، وعن حذيفة بن اليمان زواجه بيهودية، وأجاب جابر بن عبد الله لمـا

---

(١) ابن قدامة، **المغني،** ج ٧، ص ٥٠٠، وابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت:٧٢٨ه) **مجموع الفتاوى،** جمع وترتيب عبدالرحمن قاسم :ج ٣٢، ص ١٨١.

(٢) ابن رشد، محمد بن رشد القرطبي، (ت ٥٩٥هـ)، **بداية المجتهد ونهاية المقتـصد،** ط٦، دار المعرفـة، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م: ج٢، ص٤٤.

(٣) والجصاص، **أحكام القرآن**:ج ٢، ص٤٠٨ - ٤١١، وابن قدامة، **المغني**:ج ٧، ص٥٠٠-٥٠١، وابـن رشـد **بداية المجتهد**:ج ٢، ص٤٤، وابن حزم، **المحلـى**: ج٩، ص٤٤٥، وابـن تيميـة، **مجمـوع الفتـاوى**:ج ٣٢، ص١٨١، والشافعي، أبي عبد الله محمد بن إدريس، (ت ٢٠٤هـ)، **الأم**، ط٢، دار الفكـر، بيـروت، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م): ج٥، ص٧.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥.

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**: ج٢، ص٢٢.

(٦) القرطبي، **تفسير القرطبي**: ج ٦، ص٥٣.

(٧) انظر الطبري، **تفسير الطبري**ك ٤ج، ص٤٤٣، والرازي، **التفسير الكبير**:ج ١١، ص١١٦، والقرطبي، **تفـسير القرطبي**:ج ٦، ص٥٣.

سئل عن ذلك : "نكحناهن بالكوفة عام الفتح وسعد بن أبي وقاص ونحن لا نكاد نجد المسلمات كثيرة فلما انصرفنا من الطرف وطلقناهن تحل لكم نساؤهم ولا تحل لهم نساؤنا" فكان هذا إخباراً منه أحوال جماعة المسلمين الذين معه فصار ذلك أمراً منتشراً مجمعاً عليه من المسلمين آنذاك[١].

والخلاصة: فإننا نفهم عدم إستئناس سيدنا عمر رضي الله عنه بزواج بعض الصحابة بكتابيات، وميول العلماء – وهم في عهود قوة المسلمين – إلى القول بأن الأفضل عدم الزواج بهن[٢]، ونقل ابن تيمية الكراهة عند عدم الحاجة من جمهور المذهب المالكي والشافعي والحنبلي، ويبدو أن هذا يناسب الوضع الراهن للمسلمين على وجه العموم إلا لمن يضطر لذلك الزواج لوضع خاص به[٣].

المبحث الثاني: طعام أهل الكتاب

يقول تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ ..﴾[٤].

والطعام على عمومه هو كل ما يطعم ويؤكل، ومنه الذبائح، ومن هذه الآية استدل البعض[٥] على – أن جميع طعام أهل الكتاب من غير تمييز بين اللحم وغيره حلال للمسلمين، وهذا بلا شك يتحدد بما يحل أكله طبقاً لشريعة الإسلام، فالخمر والميتة وما في معنى الميتة[٦] والدم المسفوح، ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله مع الله بذلك محرمة على المسلمين، وإن أكلها أهل الكتاب، ويكون الطعام أيضا مما يستلذه آكله ويستطيبه مما أحله الله للعباد يستوي في ذلك ما أحله أهل الكتاب وما حرمه على أنفسهم كالشحم، لأن المرجع للمسلمين ما أحلته شريعة

---

(١) الجصاص، **أحكام القرآن** :ج٢،ص٤٠٨-٤١١، وانظر النووي، أبي زكريا محي الدين بن شرف، (ت:٦٧٦هـ)، **المجموع شرح المهذب**، ط١، دار الفكر: ج١٦،ص٢٣٣.
وللإطلاع على الأدلة وتفاصيلها حول موضوع الزواج من الكتابية يراجع الجصاص، **أحكام القرآن،**٢\،ص٤٠٨-٤١١ والأستاذ المودودي، **الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة**، ص ١١٠.وانظر:محمد الغزالي، **الحق المر**،ط١القاهرة، مكتبة التراث، الإسلامي،ص١٤١،حيث ناقش الموضوع تحت عنوان(آفة الزواج بالأجنبيات).

(٢) ابن قدامة، **المغني**: ج٧،ص٥٠١، وانظر ابن تيمية، **الفتاوى**: ج٣٢،ص١٨١، وانظر المودودي **الإسلام في مواجهة التحديات المعاصر**، حيث يبين ضرر الزواج الذي يختلف فيه الزوجان ثقافياً ودينياً وأثر ذلك على النظام الاجتماعي،وتكوين الأسرة وتربية الأطفال: ص ١١٢٣-١٢٥.

(٣) ابن تيمية، **الفتاوى** :ج٣٢ص١٨١.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥.

(٥) ممن إختار هذا المعنى العام، الشوكاني، في **تفسير فتح القدير**: ج٢،ص١٦.

(٦) الميتة: هي الحيوان الذي مات حتف أنفه، ويدخل في معناها المنخنقة التي تختنق والموقوذة التي تضرب فتموت، والمتردية من علو أو بئر فتموت، والنطيحة بنطح الشاة أو البقرة الأخرى فتموت، وما أكل السبع وكل هذه ما لم تدرك ذكاتها، وانظر الجصاص، **أحكام القرآن**:ج٢،ص٢٨٢.

الإسلام وما حرمته، لأن شريعتهم منسوخة بشريعتنا، فسواء ما حرم عليهم أو حرموه على أنفسهم فهو في وقت شريعة الإسلام أمر باطل كما أكد عليه الفقيه ابن رشد[١].

والطعام على خصوصه المقصود لهذه الآية هو الذبائح كما ذهب إليه أكثر المفسرين[٢]، أما حل سائر أطعمة أهل الكتاب غير الذبيحة فمأخوذ من إجماع المسلمين كما حكاه ابن رشد والقرطبي وابن كثير[٣].

ويذكر ابن كثير علة أن طعامهم حلال، ولابد من الإشارة إلى مسألة هامة هنا مفادها أن من المعلوم قرآنياً أن اليهود والنصارى يقولون في الله بما يتنزه عنه، وهو قولهم ببنوة عزير وعيسى وأن الله ثالث ثلاثة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ومع ذلك أذن الله في طعام أهل الكتاب، وبمعتقداتهم هذه من المحتمل إن لم يكن من المؤكد أنهم يذكرون اسم عزيراً والمسيح أو روح القدس مع الله عند الذبح ولذلك يقول أحد مشايخ المالكية أبو بكر المعروف بابن العربي : (إنه سبحانه أذن في طعامهم وقد علم أنهم يسمون غيره على ذبائحهم، ولكنهم لما تمسكوا بكتاب الله وتعلقوا بذيل نبي جعلت لهم حرمة على أهل الأنصاب) [٤].

ويقول ابن كثير أيضا: (وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن ذبائحهم حلال للمسلمين، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله وإن إعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عنه تعالى وتقدس) [٥].

المبحث الثالث: الإهداء لهم وقبول هديتهم

إن تبادل الهدايا بين الناس من العادات الاجتماعية التي تهدف إلى زيادة الوئام والترابط بين أعضاء المجتمع الواحد، وخاصة بين الأقارب، ولذلك فإن تبادل الهدايا من غير المسلمين يعد صورة من صور برهم وصلتهم، وقد تبين في تمهيد هذا الفصل أن الأصل في عموم بر غير المسلمين وصلتهم هو الجواز ما لم يرد دليل أو قاعدة تحرمه. فسيكون البحث في هذا

---

(١) انظر ابن رشد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**: ج ١،ص٤٥٢.

(٢) انظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**: ج٢،ص٢١، والشوكاني،**فتح القدير: ج** ٢،ص١٦، والقرطبي، **تفسير القرطبي**: ج٦،ص٥١،والرازي، **التفسير الكبير**: ج١١،ص١١٥، والطبري، **تفسير الطبري، أو جامع البيان في تأويل البيان** :ج٤،ص٤٤٠.

(٣) القرطبي، **تفسير القرطبي**:ج ٦،ص٥٢، والطبري، **جامع البيان في تأويل البيان**:ج ٤،ص٤٤٠، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**: ج ٢،ص٢١.

(٤) ابن العربي، أبو بكر محمد بن محمد(ت: ٥٤٣هـ)،**أحكام القرآن**، ط١، (خرج أحاديثه محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت،(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م): ج ٢،ص٤٢.

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**: ج ٢،ص٢١.

المطلب عن الأدلة المخصصـة أو المؤكدة لعموم الجواز للوصول إلى الحكم النهائي الخاص بهذه الصورة. وقد وردت أدلة في تبادل الهدايا مع غير المسلمين أذكر بعضها فيما يأتي:

١- حديث أنس بن مالك قال (إن أكيدر دومة أهدى إلى النبي عليه الصلاة والسلام)، وفي رواية عنه (أُهدي للنبي ﷺ جبة سندس) (١). وقد بوب له البخاري: (باب قبول الهدية من المشركين) (٢).

٢- علق البخاري باب قبول الهدية من المشركين بخبر أبي حميد: (أهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء وكساه برداً وكتب إليه ببحرهم) (٣).

٣- حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (رأى عمر حلة على رجل تباع، فقال للنبي عليه الصلاة والسلام: ابتع الحلة تلبسها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفـد، فقال: إنمـا يلبس هذه من لا خَلاق لـه في الآخرة، فَأُتـي رسـول الله منها بحال، فأرسل إلى عمـر منها بحلـة، فقال عمر: كيـف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت؟ قال: إني لم أكسكها لتلبسهـا، تبيعها أو تكسوهـا. فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم)(٤)، وهو بظاهره يدل على جواز الإهداء للمشرك المحارب إذا لم يضر بمصلحة المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الهبة،باب قبول الهدية من المشركين، برقم ٦٢١٥-٦٢١٦ **فتح الباري شرح صحيح** البخاري: ج ٥،ص٢٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ج٥،ص٢٨٢.

(٣) المصدر نفسه: ج ٥،ص٢٨٣.

*ومن الهدايا التي قبلها الرسول عليه السلام ما ذكره المقوقس في كتابه: (وقد بعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام). انظر: الحلبي، **السيرة الحلبية** ج٣،ص٣٥٠.

والجاريتان: مارية بنت شمعون إختارها الرسول عليه السلام لنفسه، وولدت له ابنه إبراهيم، وأختها سيرين حيث أهداها إلى حسان بن ثابت الشاعر المشهور، وأنجبت له عبد الرحمن بن حسان، وأهدى له بغلة سموها الدلدل وحمار أشهب سموه يعفور وثياباً من قباطي، وعسلا من عسل بنها. انظر: الحلبي، **السيرة الحلبية** ج٣،ص٣٥٠، وابن الأثير **الكامل في التاريخ**،ج٢،ص٢١١ وبن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، (ت:٢١٤هـ)، **فتوح مصر وأخبارها**، ط١، (تحقيق محمد الحجيري)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦: ص:١٢٥.

وأضاف السهيلي أن من ضمن الهدايا غلام اسمه مأبور وقدحاً من قوارير كان يشرب به النبي عليه السلام، وأرسل مع الهدية طبيباً فقال النبي عليه السلام: (ارجع إلى قومك فنحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع). انظر: المقريزي **أمتاع الأسماع**،ج١،ص٤٦، **والجمهرة**: ج١،ص٣٩، وعلي بن حسين الأحمدي **مكاتيب الرسول عليه السلام**، بيروت، دار مهاجر :ج١،ص١٠٠.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الهبة، باب الهدية من المشركين، برقم٢٦١٩ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**:ج٥،ص٢٨٦.

إن هذه الأحاديث حملت كثيرا من الفقهاء على القول بجواز تبادل الهدايا مع المشركين، وهو مذهب الحنفية[١] والمالكية[٢] والشافعية[٣].

غير أن الإمام احمد روى في مسنده حديثاً عن عياض بن حمار المشجعي، وكانت بينه وبين النبي ﷺ معرفة قبل أن يبعث، فلما بعث النبي ﷺ أهدى له هدية – قال أحسبها إبلاً – فأبى أن يقبلها وقال: (إنا لا نقبل زبد المشركين) [٤]. وبيان موقف المحققين من الحديث هو أن ابن حجر يشير إلى أن حديث عياض هذا منسوخ بما ثبت في الصحيح من قبوله ﷺ هدية المشركين[٥]. ونقل ابن عبد البر عن بعض العلماء أن أحاديث قبول الهدايا من المشركين منسوخة بحديث عياض، ثم رد على ذلك بأن الثابت من هدي النبي ﷺ في الصحاح والسير – من خلاف بين العلماء – هو قبول الهدايا من كل الناس[٦]. وقد رجح ابن حجر عدم النسخ لإمكان الجمع بين الروايات فقال بأن: (الامتناع في حق من يريد بهديته التودد والموالاة، والقبول في حق من يرجى بذلك تأنيسه وتأليفه على الإسلام وهذا أقوى من الأول) [٧]. وترجيح ابن حجر قوي في النظر لولا أنه مرسل كما أشار في معرض حديثه عن الحديث[٨]، وهو ما أكده المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريجه للحديث[٩].

أقول بعد نقل بعض الأقوال في دلالة الحديث وثبوته: إن الحديث لا يقوى على رد حكم الجواز الذي أثبتته الأحاديث – وهي في الصحيح – التي أوردتُ، فينبغي الرجوع إليها والعمل بها، وعلى فرض ثبوت الحديث فإن التأويل الذي ذهب إليه ابن حجر قد جمع بين الروايات جمعاً يوافق الأدلة والقواعد العامة.

وعلى هدى النبي عليه السلام في قَبول الهدية من أهل الكتاب وتبادل الهدايا سار الصحابة الكرام، فهذا عبدالله بن عمرو تُذبح له شاةٌ، فيسـأل غلامـه: أهـديت لجارنا

---

(١) القادري، محمد بن حسين بن علي الطوري، **تكملة البحر الرائق كنز شرح الدقائق** ط١ ضبط: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧: ج ٨،ص٣٧٤-٣٧٥، السرخسي، **المبسوط**: ج ٣،ص١٥٩.

(٢) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، **الاستذكار**، (تعليق سالم عطا ومحمد معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م: ج٥،ص٨٨.

(٣) الشربيني، محمد بن الخطيب، **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج**، (عناية محمد عيتاني)، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م: ج ٢،ص٥١١.

(٤) رواه **احمد في مسنده** برقم ١٧٤٨٢، قال الشيخ شعيب: حديث صحيح إلا أنه مرسل: ج٢٩،ص٢٩-٣٠.

(٥) ابن حجر، **فتح الباري**: ج ٥،ص٢٨٤.

(٦) ابن عبد البر، **الاستذكار**: ج ٥،ص٨٨-٨٩.

(٧) ابن حجر، **فتح الباري**: ج ٥،ص٢٨٤.

(٨) المصدر نفسه، ج٥،ص٢٨٣

(٩) الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج الحديث في **مسند أحمد**، ج٢٩،ص٢٩-٣٠.

اليهودي؟أهديت لجارنا اليهودي؟ فإني سمعتُ رسول الله يقول :ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه) [١].

وهذا الجواز لتبادل الهدايا مع المشركين يحرم في حالة كون الإهداء لأجل عيدهم لأن ذلك تعظيم وإقرار بعيدهم[٢] (مع التفصيل الذي سيمر في المطلب السابع من هذا المبحث من حكم المشاركة والتهنئة بأعياد المشركين)، وأما قبول الهدايا من الكفار في أيام عيدهم فلا بأس به لدخوله في عموم جواز الإهداء لأنه لا يشتمل على إعانة لهم في شعائر الكفر كما يقول ابن تيمية[٣] مستدلاً بفعل علي وعائشة رضي الله عنهما في قبول هدية الكفار يوم عيدهم[٤] وكذلك تبادل الهدايا معهم في أعياد المسلمين، فهو من الأمور الجائزة لدخوله في عموم الجواز ولعدم المانع الشرعي.

المبحث الرابع : عيادة مريض غير المسلمين

إن عيادة المريض من العادات الاجتماعية التي تزيد الألفة والترابط بين أفراد المجتمع، فالعيادة تعني للمريض مساعدته في تَحمل المرض والوقوف بجانبه للتهوين عليه وتسليته في محنته. لهذا السبب جاء الإسلام فحض المجتمع المسلم عليه – بوجه عام – وجعله من أخلاق المسلمين وعاداتهم. وأما عيادة غير المسلمين فهي من صور البر والصلة بهم، فتدخل في الأصل العام لجواز البر والصلة إلا إذ ورد ما يخصصها، فسيتوجه البحث في هذا المطلب نحو النظر في الأدلة الواردة في عيادة غير المسلمين للوصول إلى الحكم النهائي فيها بإذن الله.

وأصح ما ورد في الباب ما رواه البخاري في صحيحه من فعل النبي ﷺ مع عمه أبي طالب لما مرض، ومع الغلام اليهودي الذي كان يخدمه لما مرض فأتاه فعرض عليه الإسلام فأسلم[٥]. ولم يرد حديث – فيما وقفت عليه من كتب الحديث – يمنع عيادة غير المسلم. فالذي

(١) أخرجه الترمذي في سننه،كتاب البر والصلة، باب ما جـاء فـي حـق الجـوار، حـديث رقـم ١٩٤٣، ص:٥٤١.وقال:هذا حديث حسن صحيح،الترمذي ،أبو عيسى محمد بن عيسى ،(ت:٢٩٧هـ)،الجامع الصحيح

(٢) ابن القيم،محمد ابن أبي بكر (ت:٧٥٢ه)، **أحكام أهل الذمة**،ط١،(تحقيق صبحي الصالح)،مطبعة جامعة دمشق، دمشق،١٩٦١م: ج٢،ص٧٢٥. والبهوتي،منصور بن يونس، (**١٠٥١هـ)، كشاف** القناع عن متن الإقناع، ط١، (تحقيق محمد إسماعيل الشافعي)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٧م.

(٣) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم،(٧٢٨ه)، **إقتضاء الصراط المستقيم**، دار الفكر: ص٢٥٠-٢٥١.

(٤) فعلُ علي رواه البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، (ت: ٤٥٨ه)، **السنن الكبرى**، ط١، (تحقيق محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م،ج٩،ص٣٩٢. وخبر عائشة نقله ابن تيمية في **إقتضاء الصراط المستقيم**: ص ٢٥٠

(٥) أخرجه البخاري كتاب المرضى، باب عيادة المشرك، برقم ٥٦٥٧، **فتح الباري**،ج١٠،ص١٤٨. وكتاب الجنائز، باب هل يعرض على الصبي الإسلام، برقم ١٣٥٦، **فتح الباري،شرح صحيح البخاري**: ج٣،ص٢٧٨.

يظهر- والله أعلم - في هذه المسألة هو الجواز لفعله ﷺ المؤكد لعموم الجواز الثابت بالأدلة المذكورة في تمهيد هذا الفصل.

وقد ذهب إلـى جواز عيادة غير المسلم فقهاء الحنفية[١] والشافعية[٢] والإمام احمد – في رواية [٣]، مستدليـن بفعله ﷺ وبعمـوم جـواز الإحسان إلى غير المسلمين المسالمين، أما فقهاء الحنابلـة فقد ذهبوا إلى تحريم هذه العيادة لأنها تعظيم وإكرام وتسلية ليس الكافر من أهلها[٤].

وهذا وجه من الرأي لا يقوى على رد فعل النبي عليه الصلاة والسلام . وقد قيد ابن حجر جواز عيادة غير المسلم بحالة رجاء إسلام المريض، فإن لم يرج إسلامه حرمت عيادته، مستدلاً بأن قَصدِ النبي ﷺ من عيادة عمه واليهودي هو دعوتهما إلى الإسلام: (وقد دعاهما فأسلم اليهودي ومات عمه كافراً) [٥]. وهذا الوجه من الاستدلال لا أجد له سنداً في علم الأصول فليس لفعل الرسول ﷺ مفهوم مخالف كما هو لقوله، فالمصير إلى عموم الحديث أولى من التأويل. وخير ما وجدت في المسألة ما نقله ابن حجر عن الشافعية بأن العيادة جائزة ولكن الثواب موقوف على الحرمة المقترنة بالعيادة كحق القرابة أو الجوار[٦]. وكيف يأمر الإسلام بحسن صحبة الأبوين المشركين اللذين يجاهدان المسلم على الشرك ثم يمنع من عيادتهم؟ وتزيد أهمية الدعوة لإحياء هذه العادة الاجتماعية – في نظري – في واقع الأقليات المسلمة لأنهم يعيشون في مجتمع ذابت فيه كثير من العادات الاجتماعية الحسنة حتى صارت خاضعة لحساب المصالح الشخصية وللقيم الفردية السائدة.

المبحث الخامس : التعزية والمواساة

إن التعزية والمواساة لأهل ميت بفقيدهم وتصبيرهم على مصابهم من العادات الاجتماعية الإسلامية التي تزيد الترابط والتواد بين أفراد المجتمع، لما فيها من موقف إنساني

---

(١) ابن عابدين، محمد أمين،(ت:١٢٥٢ه)،**رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار(حاشية ابن عابدين)**، ط١، (تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض)، دار عالم الكتب الرياض، ٢٠٠٣م: ج٩،ص٥٥٦.

(٢) الشربيني، **مغني المحتاج**: ج١،ص٤٩١.

(٣) ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**،ج١،ص٢٠١، والبهوتي، **كشاف القناع** : ج ٣،ص١٤٩، والمرداوي، علي بن سليمان بن أحمد (ت:٨٨٥هـ)، **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد** ط١، (تحقيق محمد الشافعي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م : ج ٤،ص٢٢١.

(٤) البهوتي، **كشاف القناع:** ج ٣، ص١٤٩.

(5) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب عيادة المشرك،رقم ٥٦٥٧ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** :ج١٠، ص١٤٨.

(٦) المصدر نفسه: ج١٠،ص١٤٨.

يحترم المشاعر الإنسانية في فقد عزيز أو قريب. وقد تكون التعزية لمسلم بمسلم – وليس هي محل بحثي – أو لمسلم بقريبه الكافر أو لكافر بقريبه المسلم أو لكافر بكافر. وقد تبين في تمهيد هذا الفصل أن الأصل في صور البر والصلة لغير المسلم – والتعزية من صورها – هو الجواز إلا إذا ورد دليل أو قاعدة تنفي ذلك، ولذلك سيقتصر الحديث هنا على الأدلة التي تخصص عموم الجواز أو التي تؤكده للوصول إلى الحكم الأقرب إلى روح الشرع.

ولا بد أولاً من بيان مدلولات ومشمولات التعزية حتى يتم الحكم عليها من خلالها لأن (الحكم على الشيء فرع عن تصوره) كما يقال، فالتعزية – كما يقول ابن رشد – تشمل ثلاثة أمور[١]:

١- التهوين والتسلية بالمصيبة والحض على الصبر عليها والرضا بها.

٢- الدعاء للمعزى بأن يعوضه الله خيراً مما فقد.

٣- الدعاء للميت والترحم عليه والاستغفار له.

أما بالنسبة للإستغفار للكافر والترحم عليه فالمتفق عليه عدم جوازه لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾[٢]. وأما بالنسبة لمعنى التهوين والتصبير على المصيبة والدعاء بالعوض الصالح فليس هناك دليل يمنع منه شرعا، ولا توجد قاعدة شرعية تمنعه، ويمكن أن يقاس جواز تعزية الكافر على جواز عيادته بجامع أن كلا الصورتين تهوين وتسلية لشخص مصاب بمرض (الموت نهاية المرض) فإذا جازت عيادة المريض في أول المرض للتهوين والتصبير جازت التعزية في نهايته تهويناً وتصبيراً لأهله، وحزناً على موته مشركاً، ودعاء لأهله بالعوض الصالح (أي بابن أو قريب مسلم)، ويؤكد صحة القياس الأصل العام في جواز بر وصلة غير المسلم الذي تم تأصيله في تمهيد هذا الفصل. وقد ذهب جمهور الفقهاء الحنفية[٣] والشافعية[٤]

---

(١) ابن رشد، أبو الوليد الجد، **البيان والتحصيل،**(تحقيق محمد صبحي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م: ج٢،ص٢١١.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٣.

(٣) ابن عابدين، **حاشية ابن عابدين،** ج٩،ص٥٥٧، والقادري، **تكملة البحر الرائق**: ج ٨،ص٣٧٤.

(٤) الرافعي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، **العزيز شرح الوجيز،**(تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج٢،ص٤٥٩، والشربيني، **مغني المحتاج**: ج١،ص٥٢٧.

والإمام احمد – في رواية[١] – وابن رشد من المالكية[٢] إلى جواز التعزية بكل صورها (للكافر بالكافر وللمسلم بالكافر وللكافر بالمسلم). وقد استند هؤلاء إلى عموم جواز البر والإحسان لغير المسلمين، وأضيف بأن التعزية تظهر المسلم بالمظهر اللائق الذي يحبب الناس به لأخلاقه السامية في التسامح مع المخالفين والشعور بشعورهم وتهوين المصيبة عليهم، ويتأكد جواز التعزية – بل ندبها – إذا كانت تعزية لمسلم بقريبه الكافر، فإن في ذلك مواساة للمسلم ومساندة له في الصبر على المصاب.

ويقال في التعزية كل لفظٍ لا محظور يرتكب فيه، فيعزى الكافر بالمسلم بقوله: (غفر الله لميتك وأحسن عزاءك)، ويعزى المسلم بالكافر بقوله (أعظم الله أجرك وصبرك)، ويعزى الكافر بالكافر بقوله (أخلف الله عليك ولا نقص عددك) أو (أخلف الله عليك خيراً منه وأصلحك) [٣].

وقد يختلف حكم التعزية بين الندب والجواز والكراهة التنزيهية بحسب المقصود منها وبحسب حال الكافر أيرجى إسلامه أم لا – هكذا قال الشافعية[٤]. قلت: ليس حكم التعزية على الوجوب إبتداء، ولكنه يدور حول الجواز والندب بحسب المقصد الذي يحقق منه، فإن كان لكافرٍ عدو فقد يصل حكم تعزيته إلى الكراهة التنزيهية (أي خلاف الأولى). وإن كانت لكافر مسالم يؤلف قلبه بها فهي مندوبة، وإن كانت لمسلم تقي قريب فقد تصل إلى الوجوب، والله أعلم.

وخالف حكم الجواز الإمام مالك وجمهور المالكية[٥] والحنابلة[٦]، فقالوا بحرمة تعزية الكافر بمسلم أو بكافر وحرمة تعزية المسلم بكافر أيضا، واحتجوا بالقياس على حرمة إبتدائه بالسلام، ولأن في التعزية تعظيم وتوقير له.

ويمكنني الرد على هذا بأن القياس على تحريم ابتداء الكافر بالسلام قياس مع الفارق من وجهين:

الأول: إن تحريم ابتدائهم بالسلام حكم مربوط بعلته وجوداً وعدماً ولا توجد هنا.كما سيأتي معنا لاحقاً.

الثاني: إن التعزية مواساة وحث على الصبر والرضا بالقدر، وهو أمر يندب المسلم إلى فعله خاصة مع أخيه المسلم الذي فقد أباً كافراً – مثلاً – وليس هذا المعنى موجوداً في السلام.

---

(١) ابن قدامة، **المغني** :ج ٢،ص٤١٠.

(٢) ابن رشد، **البيان والتحصيل**: ج٢،ص٢١١.

(٣) الشربيني، **مغني المحتاج**، ج١،ص٥٢٧-٥٢٨، وابن عابدين، **حاشية ابن عابدين**:ج ٩،ص٥٥٧.

(٤) المصدرنفسه: ج١،ص٥٢٨.

(٥) ابن رشد، **البيان والتحصيل**،ج ٢،ص٢١١، والحطاب، محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي الرعيني، **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**، (ضبط زكريا عميرات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م: ج٣،ص٤٠.

(٦) البهوتي، **كشاف القناع**: ج ٢،ص١٨٧.

وأما قولهم بأن في تعزيتهم تعظيما من شأن الكافر، فبعيد عن معنى التعزية ومدلولها الذي بينه ابن رشد، وقد أكد ابن رشد في هذا المجال أن حرمة معنى من معاني التعزية – وهي الاستغفار وطلب الرحمة للكافر – لا تمنع جواز التعزية بالمعاني الأخرى(١).

إن من المهم هنا أن نذكر أنه يكره – إن لم يحرم – سب الأموات في حضرة من يتأذى بذلك وخاصة وقت العزاء، فلا يليق بالمسلم الخاوق أن يجرح مشاعر الآخرين، ويهول من فجيعتهم لأنه جاء للحث على الصبر وتسلية المصاب. ويتأكد هذا بورود الحديث النبوي فيما يرويه المغيرة بن شعبة عن رسول الله قوله: (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء) (٢).

وقد روى البخاري هذا الحديث بطريق عائشة رضي الله عنها بلفظ: (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) (٣) إن علة النهي أن الأموات قد وصلوا إلى ما قدموه لأنفسهم: (فلا فائدة ترجى من سبهم والتفكه بأعراضهم) (٤).

وظاهر النهي في الروايتين أنه عام للميت المسلم والكافر، وللعلماء تفصيل في ذلك لورود أحاديث أخرى في الباب تجيز سب الأموات وذِكْر شرهم. وقد رجح الصنعاني بأن علة: (فإنهم قد أفضوا) تفيد النهي عن السب بعد الدفن لأنه الإفضاء الحقيقي، وأما قبله فالأصل حرمته ولكن يجوز أذا كان من باب جواز غيبة الفاسق للتنبيه والتنفير عن فعله(5).

ولذلك قال ابن بطال: (سب الأموات يجري مجرى الغيبة) (٦).

المبحث السادس: شهود جنائز غير المسلمين وزيارة قبورهم

أولا: شهود جنائزهم

إن شهود الجنائز يشمل تشييع الجنائز للأقرباء أو المشي مع الجنازة أو القيام لها وغير ذلك من الصور، وغالبا ما يكون المشارك في الجنازة من قرابة الميت أو أصدقائه أو جيرانه. ومحل البحث في هذه العادة الإجتماعية هو عند عدم مشاركة المسلم بفعل ما هو محظور في

---

(١) ابن رشد، **البيان والتحصيل**: ج ٢،ص٢١١.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه ابن بلبان،علاء الدين علي الفارسي،**الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** ط١ (تحقيق وتخريج شعيب الأرنؤوط)، برقم ٣٠٢٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨م، قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط الشيخين:ج٧،ص٢٩٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما ينْهى عن سب الأموات، برقم ١٣٩٣، **فتح الباري شرح صحيح البخاري:**ج ٣،ص٣٢٧.

(٤) الصنعاني، محمد بن إسماعيل، **سبل السلام شرح بلوغ المرام**، دار الأرقم، بيروت: ج١،ص٣٧٦.

(5) المصدر نفسه: ج١،ص٣٧٧.

(٦) أخرجه البخاري،كتاب الجنائز، باب ما ينْهى من سب الأموات،**فتح الباري شرح صحيح البخاري** :ج٣،ص٣٢٨.

الشرع، فإن قيام المسلم بعمل محرم أثناء شهوده الجنازة لا يجعل حضوره محرما وإنما يأثم لذات الفعل المحرم الذي قام به، إلا إذا لزم من شهوده وحضوره فعل ما هو محظور شرعاً.

ولأنني بينت الأصل العام في بر وصلة غير المسلم في تمهيد هذا الفصل – وشهود الجنائز منها – فسوف أقتصر على ذكر أهم الأدلة التي وردت في خصوص صورة شهود جنائز الكفار. فقد وردت بعض الأحاديث في المسألة أوردها فيما يأتي:

١- حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (مر بنا جنازة فقام لها النبي ﷺ فقمنا به، فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا) [(١)]، وفي لفظ عند البخاري (أليست نفساً) [(٢)].

٢- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تمر بنا جنازة الكافر أفنقوم لها؟ قال: (نعم فقوموا لها فإنكم لستم تقومون لها، وإنما تقومون إعظاماً للذي يقبض الأرواح) [(٣)].

٣- حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (قلت يا رسول الله: إن عمك الشيخ الضال قد مات، قال (إذهب فوار أباك ثم لا تُحدثن شيئاً حتى تأتيني) فذهبتُ فواريته ثم جئته فأمرني فاغتسلت ودعا لي) [(٤)]. ووجه الدلالة من الحديث أن علياً رضي الله عنه قد قام بدفن أبيه بأمر من النبي ﷺ ثم دعا له النبي مواساةً له وتطيباً لخاطره. وهذا يدل على جواز المشاركة في تشييع جنازة القريب الكافر.

بعد إيراد هذه الأحاديث أقول: إن مسألة شهود الجنائز تنبني – بعد الأصل العام في البر والصلة – على مدى صحة نسخ جواز القيام للجنائز، ومدى إمكانية قياس حكم شهود الجنائز عليها، والإستدلال بفعل علي رضي الله عنه مع أبيه عندما مات.

إن مسألة شهود الجنائز مسألة اجتهادية صرفة، ولذلك يمكننا القول:

- إن شهود وحضور جنائز الكفار صورة من صور برهم وصلتهم والإحسان إليهم، فالأصل العام جوازها.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي برقم ١٣١١،**فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٣**،ص٢٩٩.

(٢) المرجع السابق،برقم، ١٣١٢: ج٣،ص٢٣٠.

(٣) رواه **ابن حبان في صحيحه** برقم ٣٠٥٣، قال الشيخ شعيب: إسناده قوي: ج٧، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٤) رواه أبو داوود، **صحيح سنن أبي داوود،** كتاب الجنائز، باب الرجل يموت له قرابة مشرك، حديث رقم ٣٢١٤، م٢، ج٢، قال الألباني: حديث صحيح.

- إن الراجح في تفسير أحاديث القيام عدم نسخها لأن النسخ يلجأ إليه عند تعذر الجمع ولم يتعذر. فقد رجح ابن حجر أن النهي عن القيام – الوارد في روايات أخرى للأحاديث التي أوردت – صرف أمر النبي ﷺ بالقيام في الحديث من الوجوب إلى الجواز(١).
- إذا ثبت عدم نسخ القيام صح قياس الشهود والحضور عليه فيجوز، والجامع بينهما أن القيام نوع من أنواع الشهود، وكلاهما فيه معنى المواساة والوقوف بجانب أهل الميت في مصيبتهم، وإن رأى البعض نسخ جواز القيام للجنائز فإن ذلك يفيد جواز شهود الجنائز استناداً إلى الأدلة العامة الواردة في تمهيد هذا الفصل وإلى فعل علي رضي الله عنه عندما مات والده ودعاء الرسول ﷺ له.

من هذه الأسس الشرعية يمكن القول بجواز كل الصور من تشييع الجنائز ومراسمها إذا كان ذلك يحقق مصلحة شرعية كأن يكون لحق قرابة أو جيرة أو زمالة، ودون ارتكاب ما يحرم شرعاً فيها. ولا شك أن في شهود الجنائز – لاسيما للأقارب – مصالح كثيرة تخدم المسلم في دعوته الإسلامية بإظهاره بمظهر الإنسان صاحب القلب، والذي يشفق على الأحياء والأموات.

وقد ذهب إلى جواز شهود جنائز المشركين وتشييعها فقهاء الحنفية(٢) والشافعية(٣) والإمام أحمد – في رواية(٤) – قياساً على جواز عيادته – لأنه إذا جازت المواساة في الحياة جازت في الممات – واستناداً إلى أصل البر والإحسان. وقد خالف في ذلك المالكية(٥) والحنابلة(٦) فحرموا ذلك لأن التشييع إكرام وتعظيم للكافر. ويمكن الرد على هذه الحجة العقلية بأن الشهود لا يلزم منه بالضرورة تعظيم للكافر في ذاته لأنه قد مات، بل هو تعظيم لجنس بني آدم أو – كما ورد في الحديث الذي ذكرت سابقا – للذي يقبض الأرواح. كما وأن دخول الشهود والحضور للجنائز في عموم البر والصلة أقرب من دخوله في باب تعظيم الكافر المناقض للولاء والبراء. ذلك أن شهود وحضور الجنائز هو بالضرورة صورة من صور بر وصلة غير المسلم،

---

(١) ابن حجر، **فتح الباري**: ٢٣١/٣.
(٢) الشيخ نظام، **الفتاوى الهندية**، ط١، (ضبط عبد اللطيف عبد الرحمن)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٥، ص٤٣٠-٤٣١.
(٣) الشربيني، **مغني المحتاج**: ج ١،ص٥٣٤.
(٤) ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**: ج ١،ص٢٠٢-٢٠٤.
(٥) ابن رشد، **البيان والتحصيل**،ج٢،ص٢١٨، والخرشي، محمد بن عبد الله بن علي، **حاشية الخرشي على مختصر خليل**، (ضبط زكريا عميرات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، كراهة القيام للجنازة، ٣٦٧/٢، وحرمة تشييع جنائزهم: ج ٤، ص٨٧.
(٦) البهوتي، **كشاف القناع**: ج ٢،ص١٧٣-١٧٤.

ولكنه ليس بالضرورة التلازمية صورة من صور تعظيم الكافر، وهذا يقتضي إلحاقه بقاعدة البر والصلة والإحسان بدلا من إلحاقه بقاعدة تعظيم الكافر لكفره.

وقد رجح جواز شهود وتشييع جنائز المشركين – عند خلوها من المحذور الشرعي – كثير من المعاصرين كالأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي[١]، وآية الله السيستاني[٢] ويستند هذا الموقف من المعاصرين إلى ما ذكرته من الإستدلالات ولما فيه من تحبيبٍ بالإسلام وحفظٍ للعلاقات المثمرة.

ثانيا: زيارة قبور المشركين

إن زيارة القبور من العادات الاجتماعية الموجودة في أكثر المجتمعات مع تحقيقها أهدافاً مختلفة بحسب المعتقدات السائدة في كل مجتمع، وقد منع الإسلام في بداية مراحله المكية زيارة القبور مطلقا، لشدة إرتباطها بمنكرات عقدية وعملية في المجتمع الجاهلي، وبعد أن استقرت العقيدة الصافية في النفوس أجاز الإسلام زيارتها وحض على ذلك، لأنها تُذكر بالآخرة.

يدلنا على أن زيارة القبور – على وجه العموم – كانت محرمة، ثم أجيزت يقول الرسول ﷺ (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ... الحديث) [٣]. وزيارة قبور المشركين من العادات الاجتماعية التي تدخل في أصل جواز بر وصلة غير المسلم، غير أن البحث هنا سيكون في الأدلة الخاصة الواردة في زيارة قبور المشركين للنظر إن كانت تؤكد هذا العموم أو تخصصه حتى أستطيع الجزم في المسألة.

لقد ورد في المسألة حديث واحد هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: (استأذنتُ ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت) [٤]. قال القاضي عياض: (في الحديث دليل على جواز زيارة القبور، وصلة الآباء المشركين وإذا كان هذا بعد الموت ففي الحياة أحق)[٥]. وهذا الحديث نص في المسألة مؤكد لعموم الجواز الذي بحث في تمهيد هذا الفصل، ومؤكد أيضا لعموم الحض على زيارة القبور – الذي ورد قبل أسطر – بعد النهي عنه.

---

(١) القرضاوي، يوسف، فتوى (**زيارة مقابر الأقارب من غير المسلمين**)، مطبوع على موقع: www.islamonline.net.

(٢) السيد علي الحسني السيستاني، (٢٠٠٠م)، **الفقه للمغتربين**، (ط٣)، بيروت: دار المؤرخ العربي:ص٢٣٥.

(٣) رواه **مسلم في صحيحه** برقم ٩٧م:ج٣،ص٤٥٢.

(٤) رواه **مسلم في صحيحه** برقم ٩٧٦ (١٠٨): ج ٣،ص٤٥٢.

(٥) القاضي، عياض، **شرح صحيح مسلم:**ج ٣ص٤٥٢.

من هذه الأدلة يمكن القول بجواز زيارة قبور المشركين شرط عدم إرتكاب أي محظور عقدي أو عملي، كالدعاء للميت الكافر بالمغفرة والرحمة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [(١)]. والفارق بين زيارة قبور المسلمين والمشركين هو عدم جواز الدعاء والاستغفار للكافر بخلاف المسلم، وتتفق فائدة زيارة قبور المسلمين مع زيارة قبور المشركين وهي الاتعاظ بما آلوا إليه وتَذَكر الموت والآخرة.

استناداً إلى ما ذكر من الأدلة الخاصة والعامة في زيارة قبور المشركين ذهب أكثر الفقهاء إلى جوازها[(٢)]، ولم أقف على ذكر لمخالفة في حكم الجواز إلا ما نسب للماوردي الشافعي[(٣)]. وقد تعلق الماوردي في حكم الحرمة بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [(٤)].

ويبدو لي أن وجه الدلالة هو صريح النهي عن القيام على قبر المشرك، لأنه كَفَر بالله ورسوله. وقد رد عليه بأن الآية نزلت بسبب عبد الله بن أبي بن سلول لما صلى عليه الرسول ﷺ واستغفر له[(٥)]، فالقيام المنهي عنه هو الاستغفار والدعاء بدلالة فعله ﷺ، والله أعلم.

المبحث السابع : زيارة غير المسلمين ومشاركتهم في المناسبات الدنيوية الخاصة

إن المراد بحثه هنا ينحصر في صورة من صور العادات الاجتماعية، وهي تبادل الزيارات مع غير المسلمين في الأحوال العامة والمناسبات الخاصة من زواج وولادة، أو قدوم مسافر، أو وداع زميل في العمل، أو حفل تخريج طلاب المدارس والجامعات، وغيرها من الصور الخاصة. أما المناسبات العامة التي تعني الأعياد الوطنية والدينية فستبحث في المبحث التالي، كذلك فإن محل البحث منحصر هنا في تبادل الزيارات التي تخلو من المنكرات المختلفة، فإن وجود منكر من المنكرات يعد مانعاً من موانع مثل هذه العادات – كما سيتبين معنا لاحقاً.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٨٤.
(٢) البهوتي، كشاف القناع:ج٢،ص١٧٤. والشيخ نظام، **الفتاوى الهندية:** ج٥،ص٤٣٠، والشربيني، **مغني المحتاج:** ج١،ص٥٤٢.
(٣) الشربيني، **مغني المحتاج**:ج ١،ص٥٤٢.
(٤) سورة التوبة: الآية ٨٤.
(٥) البهوتي، **كشاف القناع**: ج ٢،ص١٧٤.

لقد ثبت في تمهيد هذا الفصل عموم حكم الجواز في صور بر وصلة غير المسلم، ولذلك فسيكون الحديث هنا عن كل ما يرد على العموم من أدلة خاصة تؤكده أو تخصصه، ولم أقف على أدلة خاصة في حكم تبادل الزيارات الخالية من المنكرات مع غير المسلمين. وليس معنى ذلك أن المسألة لم تكن معروفة لديهم، وإنما كان ذلك لأن الصحابة فهموا أن عموم بر وصلة غير المسلم مشمول بالأوامر العامة في صور صلة الرحم وبر الجار والشريك وذوي الحقوق علينا. يدلنا على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال لغلامه وهو يسلخ الشاة: (يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي. فقال رجل من القوم: آليهودي أصلحك الله؟ قال إني سمعت رسول الله ﷺ يوصي بالجار حتى خشينا أو رؤينا انه سيورُثه) [(١)].

وهذا الأثر يؤكد الأصل العام في عموم جواز جميع صور البر والصلة لغير المسلم، ولم يرد ما يخصصه إلا وجود المنكرات – كما سيتم بحثه لاحقاً من هذا الأساس الشرعي يمكننا القول بأن الأصل في المسألة المبحوثة هنا هو الجواز، والله أعلم.

،وينبغي التأكيد على ضرورة أن يكون المسلم عاملاً إيجابياً عند الزيارة لأقربائه أو زملائه أو جيرانه من غير المسلمين، وأن يتمثل الخلق الإسلامي دون مداهنة أو تملق، وينبغي التحذير من خجل البعض من إظهار إسلامه عند الزيارات، أو حضور المناسبات المختلفة، فيستحي من الصلاة أو من رفض المشاركة في منكر من المنكرات، فهذا كله مما لا يجوز، وقد يوصل مثل هذا السلوك المشاركات إلى درجة الحرمة الخاصة بذلك الشخص لإيصالها إلى ما يخالف مقصود الشارع فيها.

ويتفرع على جواز المشاركة جواز التهنئة بمثل هذه المناسبات، فقد ذكر ابن القيم جوازها قياسا على العيادة والتعزية، مع التحذير من الوقوع في ألفاظ تدل على الرضا بالكفر، وسمى هذه المناسبات الخاصة بالأمور المشتركة – أي بين المسلمين وغيرهم[(٢)].

المبحث الثامن : المشاركة والتهنئة بالأعياد الوطنية والدينية

أولا: المشاركة بالأعياد الوطنية والدينية

إن مسألة المشاركة في أعياد الكفار مسألة كثر الحديث عنها في السنوات الأخيرة لتأثيرها الخطير على الحفاظ على الهوية المسلمة بالبعد عما يرتبط بعقائد الكفار، ذلك أنها مسألة

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، حديث رقم :١٩٤٣، **الجامع الصحيح، سنن الترمذي**:ج٤،ص٣٣٣. قال أبو عيسى :هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**:ج ١،ص٢٠٥.

مرتبطة بالتشبه بالكفار في خصائص عقائدهم، ومرتبطة بالبراء من الكفر وأعماله، ومرتبطة بالعادات الإجتماعية المميزة لكل أمة، لهذا السبب فإن الحديث عنها متنازع الأطراف بين جانب العقيدة وبين جانب العبادات (الأعياد) وبين جانب العادات الاجتماعية.

إن المراد بالمشاركة هنا شهود العيد، فتشمل الحضور، أو الممارسة الفعلية لأي طقوس دينية تابعة له سواء كانت في الكنيسة، أم في المنازل، كما وتشمل ممارسة أي عادة إجتماعية مرتبطة به، كالسهرات، والزيارات، والهدايا، ووضع نوع معين من الزينة وغيرها.

والأعياد صورة من صور العادات الاجتماعية الموجودة في كل المجتمعات، فالعيد اشتقاقه من عاد يعود، وقيل من العادة لأنهم اعتادوه، وهو كل يوم فيه جمع على حزن أو فرح يعود ويتكرر[١]. وقد يكون العيد من العادات الاجتماعية التي تعارف الناس عليها دون أصل عقدي، أو يكون عادة اجتماعية أمر بها الدين، ونشوء الأعياد في الواقع لا يرتبط بالضرورة بأمر ديني أو عقدي بدليل أنه لا توجد طقوس مقدسة لها بل تسمى غالبا بـ "يوم" أو "مناسبة مرور كذا"

والعيد الذي ينشأ من أصل عقدي قد يفقد صفته الدينية بمرور الزمن أو زوال الدين، ولكنه يتصف مع ذلك بالاستمرارية والثبات، وهذا بخلاف الأعياد ذات المنشأ العرفي، فهي دائمة التغير في صفتها وأهدافها وقد تنقلب إلى أعياد دينية عند تحريف الأديان. ولأن الدين الإسلامي الحنيف رفض أن تكون الأعياد الدينية في الإسلام لعبة بين أيدي الناس فقد حدد أعياد المسلمين الدينية بعيدين هما عيد الفطر وعيد الأضحى.

ويدلنا على ذلك رفضه ﷺ أن يوجد عيد يحتفل به المسلمون يضاهي ما شرع لهم الإسلام. فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قدوم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال رسول الله: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، قال: إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم النحر) [٢].

وقد استدل ابن تيمية في كتابه: (اقتضاء الصراط المستقيم) كثيرا على حرمة التشبه بالكفار في أعيادهم لأنها من جملة العقائد[٣]. ولا شك أن التشبه بالكفار في أعيادهم ذات الطقوس والمعاني الدينية أمر محرم قد يصل صاحبه إلى الكفر إن رضِي به، ولا أظن أحداً ينازع في حرمة المشاركة بمثل هذه الأعياد، ولذلك سألخص أهم الأدلة على ذلك فيما يلي:

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**:ج٣،ص٣١٩، مادة (عود)،

(٢) **رواه أحمد في مسنده** برقم ١٣٦٢٢، قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم: ج٢١/ص٢٢٥-٢٢٦.

(٣) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم** :ص ٢٠٧-٢٠٨.

١. قول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ (١)، قال الطبري: (لا يشهدون شيئا باطلا من شرك أو غناء أو كذب وكل ما لزمه اسم الزور، لأن الله عم بالوصف) (٢).

٢. الحديث الذي مر: (إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم النحر) (٣)، ويدل بظاهره إلى منع النبي ﷺ المؤمنين أن يشهدوا ويمارسوا ما يمارسه غيرهم في أعيادهم، لأن الله أبدلهم خيراً منه.

٣. الأثر الموقوف عن عبدالله بن عمرو والذي يحرم التشبه بالكفار في نيروزهم(٤) حيث قال: (من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم ومِهرجانهم(٥) وتشبه بهم حتى يموت حشِر معهم يوم القيامة)(٦).

٤. إن المشاركة في أعمال الكفر الخاصة مناقضة للولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، ومناقضة لحرمة التشبه بما يتعلق بعقائد الكفر.

غير أن الخلاف في موضوع المشاركة بالأعياد يقع فيما يسمى عيدا من باب المجاز كالمناسبات والإحتفالات الوطنية العامة والخاصة، مثال المناسبات العامة عيد الإستقلال وعيد ميلاد الرئيس ويوم العمال ويوم المرأة، ومثل الأعياد الخاصة – أي المتعلقة بالأشخاص ولكنها ظاهرة عامة – عيد الحب وعيد الأم وعيد ميلاد الفرد وعيد مرور فترة على الزواج وغيرها، فهل كل عيد هو بالضرورة ذو علاقة بعقائد الكفر؟ أم أنه توجد مناسبات عامة غير دينية؟ (الأفضل عدم تسميتها بالأعياد حتى لا تلتبس بالأعياد الدينية).

لقد حاول البعض نفي وجود عيد غير عقدي، ويشتهر على الألسنة أن ذلك قول ابن تيمية، لكن الذي فهمته من كلامه عكس ذلك، حيث يقول عند الإستدلال أن لكل قوم عيدا:

---

(١) سورة الفرقان:الآية ٧٢.

(٢) الطبري، **تفسير الطبري**: ج٩،ص٤٢١.

(٣) رواه أحمد في مسنده برقم، ١٣٦٢٢م، قال الشيخ شعيب:إسناده صحيح على شرط مسلم: ج٢١:ص٢٢٥-٢٢٦.

(٤) النيروز: كلمة فارسية معناها اليوم الجديد، وهو عيد لأهل فارس في أول يوم في السنة الشمسية الفارسية، انظر : مجموعة المؤلفين . **المعجم الوسيط** :ص ٩٦٢

(٥) المِهرجان: كلمة فارسية لعيد هو إحتفال يقام إبتهاجاً بالإعتدال الخريفي، انظر مجموعة المؤلفين، **المعجم الوسيط** :٨٩.

(٦) رواه البيهقي، **السنن الكبرى** :ج ٩،ص٣٩٢.

(أوجب ذلك اختصاص كل قوم بوجهتهم وبشرعتهم، وذلك أن اللام تورث الإختصاص، فإذا كان لليهود عيد وللنصارى عيد كانوا مختصين به فلا نشركهم فيه) [١].

فمفهوم قوله إن الذي يحرم من أعيادهم هو ما اختصوا به، كعيد اليهودي وعيد المسيحي وغير ذلك، ثم يؤكد هذا المفهوم قوله بعد الفراغ من أدلة تحريم مشاركة النصارى واليهود بأعيادهم: (النوع الثاني: ما ليس في الأصل مأخوذاً عنهم لكنهم يفعلونه أيضا، فهذا ليس فيه محذور المشابهة، ولكن قد يفوت فيه منفعة المخالفة) [٢].

ومن المعلوم أن ابن تيمية أجاز للمسلم التشبه بغير المسلمين في هذه الأمور، لكنه إن صح عنه ذلك فقد انطلق بذلك من الواقع الصراعي الذي عاشه في حرب التتار والفتن الداخلية عند المسلمين، فإذا كانت المناسبة غير عقدية ذات معانٍ حسنة فليس هناك ما يمنع من مشاركة المسلم فيها، ذلك أنه فعل أصله الإباحة، وله مصالح اجتماعية متعددة.

يقول ابن تيمية: (ومثل ذلك اليوم هو أن المسلم بدار حرب أو دار كفر غير حرب لم يكن مأموراً بالمخالفة لهم في الهدي الظاهر لما عليه في ذلك من الضرر بل قد يستحب للرجل أو يجب عليه أن يشاركهم أحياناً هديهم الظاهر إذا كان في ذلك مصلحة دينية من دعوتهم إلى الدين والإطلاع على باطن أمورهم لأخبار المسلمين بذلك أو دفع ضرر عن المسلمين ونحو ذلك من المقاصد الحسنة) [٣].

فمثلاً هناك يوم في أمريكا تعطل فيه الدوائر الرسمية اسمه يوم الشكر ويصادف خامس يوم خميس في شهر نوفمبر، فهذا يوم وطني أمريكي، يحتفل فيه الناس بنعم الله تعالى، فتجتمع فيه الأسر ويأكلون لحم الديك الرومي ويوزعونه على المحتاجين، دون أن يكون للكنيسة فيه دور، فليس أصله دينيا بل يعود إلى قرار جمهوري عام ١٧٨٩ هدفه: (شكر الخالق عز وجل على النعم التي وهبها لنا لإقامة حكومة تكفل الأمن والسعادة) [٤]. ولهذا فإن كثيراً من الخطباء في أمريكا يتحدثون يوم الجمعة عن معنى الشكر في الإسلام فيؤكدون بأن المسلم ينبغي أن يكون شاكراً لربه على الدوام وأن يدعو غيره لإحياء قيمة الشكر، ولا يجري تبادل الهدايا بين الناس ولا يضعون زينة معينة، وكل ما فيه أكل لحم الديك الرومي كعادة اعتادوها، ومثال الأيام الوطنية في أمريكا التي يشوبها بعض الخرافات يوم الهالويين المصادف لآخر يوم في شهر أكتوبر، ويعود أصله إلى خرافات شيطانية يرفضها كثير من النصارى فضلاً عن غيرهم ويقوم

---

(١) ابن تيمية، **إقتضاء الصراط المستقيم** :ص ١٩٣.
(٢) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم** :ص ٢٢٣.
(٣) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم :ص** ١٧٦-١٧٧.
(٤) **Contemporary Publishing Group**, Chase's ٢٠٠٠ Calendar of Events, USA, ٢٠٠٠, pp. ٥٩٠.

الأطفال في هذا اليوم بإرتداء ملابس تنكرية ترعب من يراها حتى يعطيه حلويات الأطفال، دون طقوس أو عبارات دينية، ورغم أن الأطفال يحبون هذا اليوم فإن أصله محرم فَيحرم على المسلمين المشاركة فيه[١].

وهذا الموقف من جواز المشاركة للأقليات المسلمة بالأعياد الوطنية غير الدينية هو توجه كثير من فقهاء عصرنا كالشيخ عطية صقر[٢]والشيخ فيصل مولوي[٣] والدكتور يوسف القرضاوي[٤] وغيرهم.

ثانياً: التهنئة بالأعياد الوطنية والدينية

السؤال الذي يجب أن يدقق فيه هنا: هل التهنئة بالشيء إقرار بصحة ما يهنأ به؟ أم أن التهنئة من الأعمال الظاهرة التي لا يقصد منها إقرار ولا نفي ما يهنأ به، وجواب هذا السؤال هو الذي كان سبب الخلاف في حكم التهنئة بأعياد ومناسبات غير المسلمين، ونعني بالتهنئة ما يشمل العبارات الملفوظة أو المكتوبة بخلاف ما مر من المشاركة، فهل تلحق به في الحكم أم تلحق بأحكام البر والصلة؟

لقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والحنابلة من بعدهم إلى أن التهنئة بأعياد الكفار إقرار بالكفر والباطل الذي يعملونه في عيدهم[٥]. بل لقد بالغ ابن القيم في المنع قائلاً: (وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثماً عند الله وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام) [٦]. وهذه المقارنة غير جائزة عقلا ولا شرعا، ذلك أن قوله :(أشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر) مفتقر إلى نص يوضحه، كما وهي مقارنة تخالف ما قاله الفقهاء من تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر، فكيف تكون التهنئة (وهي من الصغائر) أكبر عند الله من الكبائر المحرمة قطعاً.

---

(١) صديقي، مزمل، فتوى بعنوان (Halloween)، على موقع الإنترنت: www.islamonline.net بالمير، إدريس، فتوى بعنوان (Halloween) على نفس الموقع.

(٢) عطية صقر، فتوى (**الاحتفال بالأعياد المختلفة**) على موقع: www.islamonline.net

(٣) مولوي، فيصل، **من حوار حي بعنوان (فتاوى أسرية)**، موقع www.islamonline.net بتاريخ ٢٠٠١/٣/٢٢.

(٤) القرضاوي، يوسف، فتوى بعنوان (**حدود التعامل مع النصارى وحكم تهنئتهم في أعيادهم**)، على موقع www.islamonline.net

(٥) ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**،ج ١،ص٢٠٥، وانظر: البهوتي، **كشاف القناع** : ج٣/ص١٤٩.

(٦) ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**:ج ١ص٢٠٦.

وقد وافق على حرمة التهنئة بالأعياد الدينية بعض المعاصرين ومنهم الشيخ محمد الحانوتي[١]. ووجه الحرمة هو أن التهنئة هي بذاتها إقرار بصواب ما يعمله الكفار في عيدهم من الشكر والمعاصي، وتنازل عن اعتقادنا ببطلان أعيادهم مما يقدح في عقيدة الولاء والبراء

لكن القول بأن التهنئة تفيد بذاتها إقراراً بصواب ما يعملون أمر فيه نظر، فالأصح أن الاعتقاد راجع إلى نية الشخص لا إلى اللفظ المجرد الذي يطلقه، ولذلك فإن الشيخ مصطفى الزرقا يرى جواز التهنئة بعيد الميلاد وبصوم النصارى، لأنه يدخل في باب البر والمجاملة الحسنة[٢]. ويوافق الشيخ الزرقا في ذلك جمع من المعاصرين كالدكتور يوسف القرضاوي[٣] والشيخ عبد الستار فتح الله سعيد (الأستاذ في الأزهر الشريف) [٤] وقرار المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في دورته الأخيرة بدبلن[٥]. وقد قيد المجيزون لهذه التهنئة الجـواز بألا تحتوي ذات عبارة التهنئة على ما يحرم شرعا، كأن تحتـوي على عبارة (الصليب) أو الخمر أو غيرها.

والواضح أن المسألة ليست مسألة قطعية كما هو حكم المشاركة في الأعياد الدينية، بل راجعة إلى تفاوت الأنظار في تحليل معنى التهنئة وما يلزم منها، لهذا السبب فإنني أرجح القول بالجواز مع القيد الذي قُيد به، لأن ذلك أقرب لمعنى البر والصلة بغير المسلمين ولأصل المداراة والتعايش الدعوي مع غير المسلمين، وأمر التهنئة يمكن أن يحل بما يحل الخلاف بقول عبارة التهنئة المتعارف عليها في كل الأعياد والمناسبات في أمريكا وهي (عطلة سعيدة).

وهذا الحكم للتهنئة يخضع إلى قواعد الترجيح بين المصالح والمفاسد، فإذا لم تحقق مصلحة شرعية فينبغي البعد عنها مراعاةً للخلاف، كما وأن استعمالها بين المسلمين أمر محرم لأنه ليس عيداً لهم.

أما الأعياد والمناسبات غير الدينية فيجوز المشاركة والتهنئة والإهداء فيها ؛لأنها لا تتصل بالعقائد، مثل عيد الأم (شرط ألا يقتصر الاهتمام بالأم بهذا اليوم) والميلاد – كما قال

---

(١) الحانوتي، محمد، فتوى بعنوان (**Celebrating Non-Muslim Holidays**)، على موقع www.islamonline.net

(٢) الزرقا، مصطفى، **فتاوى مصطفى الزرقا**، إعداد مجد مكي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٩م: ص ٣٥٥.

(٣) القرضاوي، فتوى بعنوان (**حدود التعامل مع النصارى وحكم تهنئتهم في أعيادهم**).

(٤) سعيد، عبد الستار، فتح الله، فتوى بعنوان (**هل يجوز تهنئة النصارى في أعيادهم**) على موقع www.islamonline.net

(٥) نقلاً عن: هويدي، فهمي، **نداء إلى مسلمي الغرب باحترام القوانين وفاء بعهد الأمان**، مجلة المجلة، لندن، عدد ١٠٩٩، ٤-٢٠٠١/٣/١٠، ص ٣٧.

الشيخ علي الطنطاوي(١) – ويوم الإستقلال ويوم الشكر ويوم العلم وغيرها، وهذا هو الذي ذهب إليه من أجاز التهنئة بالأعياد الدينية من باب أولى.

المبحث التاسع : أحكام التحية بين المسلم وغيره

إن التحية بين بني البشر من العادات الاجتماعية القديمة، لأنها مفتاح التعارف واللقاء بين الشعوب مع اختلاف صيغها من مجتمع لآخر. وقد جاءت الشريعة الإسلامية بصيغة خاصة للتحية هي: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، لتكون شعاراً للمسلم وبياناً بأن غايته نشر الأمن والسلام. والأصل في السلام أنه من شعائر الإسلام التي أمر بها، لتكون مدخلاً لترابط المجتمع المسلم كما في الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ قوله: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) (٢).

والتحية صورة من صورة البر والصلة، بل مفتاحه والسبيل الموصل إليه. وقد مر في تمهيد هذا الفصل أن الأصل في جميع صور البر والصلة هو الجواز، غير أنني لن أجزم فيه حتى أكمل البحث في الأدلة الواردة في تحية غير المسلم. فقد ورد الأمر بالسلام بلفظ خاص بالمؤمنين – كما في الحديث السابق – وبلفظ عام لجميع الناس كما في حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص: أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف) (٣). وهذا العموم في الأمر بإفشاء السلام مع المسلم والكافر هو ما فهمه الصحابة حتى جاء النهي النبوي في قوله ﷺ – فيما يرويه أبو هريرة – (لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) (٤). وقد اختلف السلف في فهم هذا النهي بين دلالته على التحريم أو الكراهة أو أنه نهي مرتبط بعلته، وهي الحرب؛ لأن النهي قد ورد عند ذهاب المسلمين لحرب بني قريظة.

وقبل البحث في مناهج تفسير السلف لهذا الحديث لابد من تحرير محل النزاع في المسألة، فأقول:

---

(١) علي الطنطاوي، **فتاوى علي الطنطاوي**، جمع مجاهد ديرانية، دار المنارة: جدة، ط٤، ١٩٩١م: ص٣٠٨.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب :بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، رقم ١٩٢،**صحيح مسلم بشرح النووي** :ج٢،ص٢٢٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة،برقم ٦٢٣٦،**فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ج١١،ص٢٦.

(٤) مسلم، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**،(تحقيق د. يحيى إسماعيل)، دار الوفا، مصر، ط١، ١٩٩٨م، مطبوع مع شرح القاضي عياض،باب النهي عن إبتداء أهل الكتاب بالسلام حديث رقم ٢١٦٧: ج٧،ص٥٢.

إن السلام المنهي عنه هو السلام المخصوص بالمسلمين لا عموم النهي عن ابتداء التحية، فليس النزاع في جواز ابتداء غير المسلمين بتحية مثل: (صباح الخير) أو (أهلاً وسهلاً ومرحباً)، فقد أجازها أكثر الفقهاء(١) سوى الإمام أحمد – في رواية – فقد ذهب إلى كراهتها لعموم النهي عن إبتداء غير المسلمين بالسلام(٢). كذلك فإن الفقهاء متفقون على وجوب رد السلام على غير المسلم إذا بدأ بالسلام(٣) للحديث الوارد عند البخاري: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم)(٤). فمحل النزاع إذن هو في إبتداء غير المسلم بلفظ السلام.

إن الفقهاء من السلف والخلف مختلفون في فهم الحديث الذي ينهى عن ابتداء غير المسلمين بالسلام إلى عدة مناهج نوردها فيما يأتي:

- ذهب جمهور الفقهاء من المالكية(٥) والحنابلة(٦) والإمام الشافعي – كما أورد الشيرازي عنه(٧) – والشوكاني(٨) وغيرهم إلى أن النهي في الحديث يفيد الحرمة، وأنها غير مقيدة بقيد معين، بل مطلقة في كل زمان، فحديث النهي يخصص الأحاديث العامة في إفشاء السلام، ويخصص عموم جواز وصلة غير المسلم في هذه الصورة، فيكون ابتداء غير المسلم بالسلام محرماً.
- ذهب الإمام أحمد – في رواية(٩) – والشافعية في وجه(١٠) إلى أن النهي الوارد في حديث أبي هريرة يفيد الكراهة لا التحريم، ورد الشوكاني هذا القول بأنه: (مصير إلى معنى النهي المجازي بلا قرينة صارفة إليه) (١١)، أي أنه عدول عن قاعدة (الأصل في النهي التحريم ما لم ترد قرينة تصرفه) من غير قرينة. وإن جاز لي أن أستدل لهذا

---

(١) نقل الإتفاق: ابن مفلح، محمد، **الآداب الشرعية**،(تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م: ٣٩٠/١، والنووي، يحيى بن شرف، **روضة الطالبين**، (تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت: ج٧،ص٤٣٢.

(٢) المرداوي، **الإنصاف**: ج٤،ص٢٢٠.

(٣) نقل الاتفاق: النووي، **روضة الطالبين**، ج٧ص٥١٣، وابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد**،(تحقيق محمد عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م: ٥٠٩،٦، وابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة** : ج ١،ص٢٠٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإستئذان،باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام؟برقم، ٦٢٥٨، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**:ج١١،ص٥١.

(٥) ابن عبد البر،، **التمهيد** :ج ٦،ص٥١٠.

(٦) البهوتي، ج ٣،ص١٤٧، وابن القيم، **أحكام أهل الذمة**: ج١،ص١٩٧.

(٧) الشيرازي، أبو إسحاق، **المهذب**، مطبوع مع مجموع شرح المهذب للنووي بتكملة محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة: ج ١٢،ص٣٣١.

(٨) الشوكاني، محمد بن علي، **نيل الأوطار**، عناية وهبة الزحيلي، دار الخير، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م:ج٨،ص٤٠٣.

(٩) ابن مفلح، **الآداب الشرعية**:ج ١،ص٣٩٠.

(١٠) النووي، يحيى بن شرف، **الأذكار**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٥، ١٩٨٦م: ص ٢٢٦.

(١١) الشوكاني، **نيل الأوطار**:ج ٨،ص٤٠٣.

الفريق فإنهم رأوا أن حديث النهي المطلق ورد بلفظ آخر مقيد – سيرد لاحقاً عند الحديث عن المنهج الخامس من فهم الحديث – فكان ذلك قرينة صارفة من التحريم إلى الكراهة، أو أن هذا الفريق يرى بأن الأصل في النهي المطلق الكراهة لا التحريم.

- ذهب الحنفية(١)، والإمام الطبري – فيما نُسب له - (٢)، وعلقمة والنخعي من التابعين(٣) إلى أن النهي في الحديث نهي تحريم، ولكن التحريم يزول عند وجود الحاجة، كأن يكون إبتداء السلام وفاء لحق قرابة أو جيرة أو صحبة. وهذا توجه في فهم النهي لا يختلف عن التوجه الأول للجمهور إلا في جوازه للحاجة إستثناء من التحريم. وهؤلاء خصصوا النهي عن ابتداء السلام بأدلة صلة الرحم، وأدلة الإيصاء بحق الجار وغيرها. وهذا الفقه للحديث يقضي بأن النهي منصب ابتداء على ابتداءِ السلام على غير المسلم من غير حاجة أو حق لذلك، لما في ذلك من مراعاة لأحوال المكلفين المختلفة. فلِمن يعتقد الحرمة في الحكم أن يأخذ بهذا القول تيسيراً عليه، وإن كنت لا أراه كما سأبين.

- ذهب ابن عبد البر إلى أن النهي الوارد عن ابتداء السلام تقديره: (أي ليس عليكم أن تبدأوهم كما تصنعون بالمسلمين وإذا حمل على هذا ارتفع الخلاف) (٤)، وهذا التقدير هو اعتبار بخصوص السبب الوارد في الذهاب إلى بني قريظة، لأنه معنى مناسب في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام. وقوله يرفع الخلاف في المسألة ولكني لا أراه موافقاً لأصول حمل المطلق على المقيد الذي هو منهج من أجاز مطلقاً كما سنرى إن شاء الله.
- ذهب بعض السلف والخلف إلى أن النهي الوارد في الحديث نهي خاص بحالة الحرب، لوروده في سياق حرب بني قريظة عندما نقضوا العهد، فلم يستحقوا السلام والأمان من المسلمين. وهذا القول هو الثابت عن أبي أمامة الباهلي، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وفضالة بن عبيد(٥) وابن عباس وابن محيرز، وابن عيينة(٦) وهو قول الشعبي والقاضي شريح(٧) وقول عند الحنفية(١) ووجه عند

(١) ابن عابدين، **رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**،ج٩،ص٥٩٠، والقادري،، **تكملة البحر الرائق شرح كنز الدقائق** :ج ٨،ص٣٧٣.
(٢) ابن حجر، **فتح الباري**: ج ١١،ص٤٩.
(٣) القاضي عياض، **شرح صحيح مسلم**: ج ٧،ص٥٣.
(٤) ابن عبد البر، **التمهيد**،ج٦: ص٥١١.
(٥) ابن عبد البر، **التمهيد**: ج ٦،ص٥١٠.
(٦) ابن حجر، **فتح الباري**: ج١١،ص٤٥، والقاضي عياض، **شرح صحيح مسلم**: ج ٧،ص٣٧، والشوكاني، **نيل الأوطار: ج** ٨،ص٤٠٣.
(٧) رواه البخاري في **الأدب المفرد** برقم ٩٩٧، قال الألباني: صحيح الإسناد: ص ٣٦٠.

الشافعية[٢] وقول ابن وهب المالكي[٣]. وقد رد الشوكاني هذا المنهج في فهم حديث أبي هريرة بقوله: (وهو من ترجيح العمل بالعام على الخاص وذلك مخالف لما تقرر عند جميع المحققين) [٤]، أي أنه إعمال لعموم الأمر بإفشاء السلام بين المسلم وغيره وإغفال لنص خاص، وهو خلاف الأصل.

ولكنني أرى بأن هذا الفهم للحديث موافق لقاعدة حمل المطلق على المقيد ولقاعدة (إعمال الكلام أولى من إهماله) [٥]. ذلك أنه روي بسند صحيح عن النبي ﷺ قوله (إني راكب غداً إلى اليهود فلا تبدأوهم بالسلام، وإذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم) [٦].

فهذا الحديث نص على أن علة النهي عن إبتداء اليهود بالسلام هو توجه الرسول ﷺ لحربهم، وهذه العلة هي من العلل المنصوصة التي هي أقوى أنواع العلل المتفق عليها، أي حرف الفاء وهو للتعقيب والتسبب كما قال الأصوليون[٧].

إن الملحوظ في هذه الرواية أنها قرنت النهي بعلته بينما حديث النهي المطلق لم يقرن بعلته فوجب الجمع بينهما وإعمالهما معاً بصرف النهي إلى حالة وجود الحرب. ولا يقال هنا بأن هذا المنهج في فهم النص مخالف للقاعدة المعروفة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، لأن السبب غير المعتبر في القاعدة هو سبب ورود الحديث ومناسبته وهو هنا حرب بني قريظة بعينها[٨]. أما إذا ورد نص مقرون بعلته، فالقاعدة فيه أن حكمه يدور مع علته وجوداً وعدماً، والعلة هنا هو وجود حالة الحرب، لأنها تقتضي عدم إلقاء السلام والأمان للأعداء. فليس القول بتعليل الحكم بعلته المقرونة مرادف للقول باعتبار سبب ورود الحديث ومناسبته، فالأول إعمال التحكيم حيث وجدت علته (وهي الحرب هنا)، والثاني تعطيل وإبطال للحكم الشرعي ودوامها (فحرب بني قريظة لن تتكرر بعينها). يؤكد هذا الفهم لمعنى النهي في الحديث القرائن التالية:

---

(١) ابن عابدين، **حاشية ابن عابدين**: ج ٩،ص٥٩١، والشيخ نظام، **الفتاوى الهندية**: ج ٥،ص٤٠١.
(٢) النووي، **الأذكار**: ص ٢٢٦.
(٣) ابن عبد البر، **التمهيد**: ج ٦،ص٥١١.
(٤) الشوكاني، **نيل الأوطار**: ج ٨،ص٤٠٨.
(٥) انظر شرح القاعدة: شبير، محمد عثمان،(٢٠٠٠م)، **القواعد الكلية والضوابط الفقهية**، ط١، عمان: دار الفرقان، ص٢٧٠.
(٦) **رواه احمد في مسنده** برقم ١٧٢٩٥، قال الشيخ شعيب، حديث صحيح لكن من حديث أبي بصرة الغفاري : ج٢٨،ص٥٢٦- ٥٢٧.
(٧) الغزالي، أبو حامد،**(ت:٥٠٥هـ)، المستصفى في علم الأصول**، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ط١، ١٩٣٧م: ج ٢،ص٧٥.
(٨) مولوي، فيصل،(١٩٩٩م)، **السلام على أهل الكتاب**،ط١، بيروت، المؤسسة الإسلامية: ص ٤٨.

١- روى الإمام مسلم بعد حديث أبي هريرة – المطلق في النهي – روايات بألفاظ مختلفة بنفس السند مثل: (إذا لقيتم اليهود فلا تبدأوهم...)، ورواية (إذا لقيتموهم) (١)، واستخدام أسلوب الشرط (إذا لقيتم) وجوابه المقترن بحرف الفاء هو أيضا من مسالك العلة المنصوصة. وهذه زيادة من ثقة أخرجها مسلم فوجب إعتبارها علة للحديث المطلق إعمالاً لمجموع الروايات.

٢- فعل الرسول ﷺ فيما يرويه أسامة بن زيد لما مر بخليط من المسلمين والمشركين واليهود (فسلم عليهم ثم وقف فنزل ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن) (٢) ولست أرى وجهاً لمن قال إنه ﷺ نوى السلام على المسلمين بين الخليط، لأن الرواية تنص أنه: (سلم ثم دعاهم إلى الله) وهو الموجه لغير المسلمين لأن المسلمين يحضرون إلى المسجد فيستمعون إلى القرآن. وإلقاء السلام على غير المسلمين قبل الشروع في دعوتهم إلى الإسلام هو مقتضى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والذي هو من خلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الحديث إستدل به من قال بجواز السلام عند الحاجة لحق صحبة أو قرابة أو جيرة، وهو إستدلال صحيح لولا ما ذكرت من قاعدة حمل المطلق على المقيد التي تخصص النهي ابتداء.

٣- كتاباته ﷺ إلى الملوك، ومنهم هرقل الذي أرسل إليه: (السلام على من اتبع الهدى، أما بعد ...) (٣)، فواضح أنه ﷺ استخدم لفظ "السلام" في الكتاب وهو مما يقتضيه أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا يرد من كل وجه تعليل النهي عن الإبتداء بالسلام بأن السلام اسم الله تعالى كما في قول ابن القيم: (فحقيق بتحية هذا شأنها أن تُصان من بذلها لغير أهل الإسلام) (٤).

٤- يرجح هذا التوجه ما مر من أحكام مداراة الناس، وأنها أسلوب للدعوة إلى الله باللين واللطف، والتحية بلفظ السلام من ذلك القبيل. فالسلام إعلان من المسلم بإعطاء الأمان للكافر المسالم فلا يدخل في باب تعظيم وإكرام الكافر، بل في المداراة لأجل اتقاء شره

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب السلام باب النهي عن إبتداء أهل الكتاب بالسلام حديث ٥٦٢٧ **صحيح مسلم بشرح النووي**: ج١٤،ص٣٧٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإستئذان، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، حديث رقم ٦٢٥٤، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**:ج١١،ص٤٧.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الإستئذان،باب كيف يكْتَب إلى أهل الكتاب برقم ٦٢٦٠ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج١١،ص٥٧. وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الجهاد، باب كتاب النبي عليه السلام إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام،رقم٤٥٨٣، **صحيح مسلم بشرح النووي** : ج١٢،ص٣٢٦.

(٤) ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**: ج ١،ص١٩٧.

وللرغبة في تأليف قلبه. ولست أرى وجهاً لأمر الشرع البر والصحبة بالمعروف للوالدين الكافرين إذا لم يكن بالتحية الحسنة.

٥- قال الطبري: قد ورد عن السلف أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب، وفعله ابن مسعود في دهقان صحبه في طريقه، فقال له علقمة:يا ابن مسعود، أليس يكره أن يبدأ بالسلام؟ قال: نعم، ولكن حق الصحبة؟وقال الأوزاعي إن سلمت فقد سلم الصالحون قبلك وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك[١].

إن هذا المنهج من فهم الحديث هو الذي وصل إليه الشيخ فيصل مولوي في كتابه: (السلام على أهل الكتاب) الذي ضمنه بحثاً شاملاً لكل جوانب التحية في الإسلام ومقاصدها مع إيراده آثاراً عن السلف الصالح في إبتداء السلام[٢].

وأما رد التحية التي يبدأها غير المسلم فالأصل فيها الوجوب، وهو ما صرح به ابن القيم[٣] لقوله تعالى: ﴿عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾[٤]. ولكن إذا كان الآخر قد بدأ بتحية سيئة فالواجب ردها بمثلها وليس بأحسن منها ولا بأسوأ منها، لما روت عائشة رضي الله عنها قالت (دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا السام عليكم. ففهمتها، فقلت: عليكم السام واللعنة. فقال رسول الله عليه السلام: مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله: فقد قلت وعليكم)[٥]. وللحديث الذي يرويه ابن عمر عن النبي ﷺ قوله (إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السام عليكم، فقل وعليك)[٦]. وقالت طائفة: لا يجب الرد عليهم كما لا يجب على أهل البدع وأولى، والصواب الأول، والفرق أنا مأمورون بهجر أهل البدع تعزيراً لهم، وتحذيراً منهم، بخلاف أهل الذمة[٧].

من جميع ذلك ندرك أن المعايشة والمصاحبة لأهل الكتاب أمر مشروع، وقد يكون لا بد منه، إذا أن الإسلام لا يكرههم على الدخول فيه،ورضي منهم دفع الجزية، وأن يبقوا

---

(١) القرطبي، **تفسير القرطبي**: ج١١،ص٧٦

(٢) مولوي، **السلام على أهل الكتاب**: ص ٥١-٥٧.

(٣) ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**:ج ١،ص٢٠٠.

(٤) سورة النساء: الآية ٨٦.

(٥) أخرجه البخاري كتاب الإستئذان،باب باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام، برقم ٦٢٥٦، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**:ج ١١،ص٥١.

(٦) أخرجه البخاري كتاب الإستئذان، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام برقم ٦٢٥٧، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،ج١١،ص٥١.وأخرجه مسلم في الصحيح،كتاب السلام باب النهي عن إبتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف الرد عليهم، حديث رقم ٥٦١٧، **صحيح مسلم بشرح النووي**: ج٤١،ص٣٧٠.

(٧) ابن القيم، **زاد المعاد**:ج٢،ص٤٢٥.

متعايشين مع المسلمين، وعند ذلك لا بد من قيام التعامل بينهم وتبادل المنافع، وسيرة النبي عليه السلام وصحابته شاهد على ذلك كما تقدم.

المبحث العاشر: صلتهم والإحسان إليهم والتصدق عليهم

إننا نجد في تشريعات الإسلام وآدابه، ما يكرس حالة الإنسجام والتعايش بين المتنوعين دينياً، فالتمايز الديني لا يؤثر في التكافل الإجتماعي والإحترام المتبادل.

فالفقير والمحتاج يستحقان المساعدة من المجتمع، دون النظر إلى عقيدته، حيـث تحـل الصدقة أيضاً على فاسق وكافر من يهودي أو مجوسي ذمي أو حربي لقوله تعـالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [١]، ومعلوم أن الأسير قد يكون حربياً، فعن ابن عباس إن الأسير من المشركين، حيث روى أنه عليه السلام كان يبعث الأسارى من المشركين ليحفظـوا وليقـام بحقهم، وذلك لأنه يجب إطعامعهم إلى أن يرى الإمام رأيه فيهم[٢].

فقد روى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ (تصدق صدقة على أهل بيت من اليهـود، فهي تجري عليهم) [٣]، أي بعد وفاته ﷺ، وعن يزيد بن المهاد أن صفية زوج النبي ﷺ تصدقت على ذوي قرابة لها، فهما يهوديان، فبيع ذلك بثلاثين ألفاً[٤].

وروى أن سيدنا عمر رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبيـر ضـرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزيةُ والحاجةُ والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب إلى خازن بـين المـال فقال: انظر هذا وضربائه ، فوا لله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذلـه عنـد الهـرم (إنمـا الصدقات للفقراء والمساكين) فالفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[٥].

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٨.
(٢) الرازي، **التفسير الكبير**:ج٣٠، ص٢١٧.
(٣) أبو عبيد، **الأموال**: ص٦٤٣.
(٤) المصدر نفسه: ص٦٤٣.
(٥) أبو يوسف، **كتاب الخراج**: ص ٤١٣ .

وعلى هذا كانت وصية عمر بن عبد العزيز لعامله في البصرةعدي بن أرطأة" أما بعد: فانظر من قبلك من أهل الذمة، من قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولّت عنه المكاسب، فـأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه"[١]

ويشرح القرافي معنى البر الذي أمر الله به إليهم، فيقول:

(الرفق بضعيفهم، وسد خلّة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القـول لهـم على سبيل اللطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذّلة، واحتمال أذيتهم في الجوار، مـع القدرة على إزالته، لطفاً منا بهم لا خوفاً ولا تطيعاً، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهـل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم، في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبـتهم، إذا تعـرض أحـد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يغاثوا على دفـع الظلم عنهم، وإيصالهم إلى جميع حقوقهم)[٢].

المبحث الحادي عشر : بناء العلاقات الاقتصادية

الأصل في تعامل المسلمين مع غيرهم، من أهل الكتاب والذمة والمـستأمنين، قـول الله تبارك وتعالى ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [٣].

وقد قالت الحنفية أن الذمي كالمسلم في إلتزامه أحكام الإسلام فيما يرجع إلى المعاملات، لأنه من أهل دارنا[٤].

وإن الذميين في المعاملات والتجارات، كالبيوع وسائر التصرفات، كالمسلمين، إلا مـا أستثني[٥].

وقد روى البخاري: أن النبي ﷺ مات، ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين، يعني صاعاً من شعير[٦].

ولسائل أن يسأل كيف يكون هذا؟ وأين عبد الرحمن بن عوف؟ وعثمان بن عفان؟ وأين سائر أغنياء الصحابة؟ ... غير أن الجواب الحاسم في القضية أنه التشريع والبيـان عـن الله،

---

(١) أبو عبيد **الأموال**: ص ٥٦.
(٢) القرافي، أحمد بن إدريس، (ت:٦٨٤هـ)، **الفروق**،م٣،عالم الكتب، بيروت:ج ٣،ص١٥.
(٣) سورة الممتحنة: الآية: ٨.
(٤) السرخسي **المبسوط**، باب توظيف الخراج: ج١٠،ص٨٤.
(٥) الجصاص، **أحكام القرآن**:ج ٢،ص٥٤٥.
(٦) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب وفاة النبي برقم ٤٤٦٧، **فتح الباري، شرح صحيح البخـاري**، ج٨، ص١٩٠.

وكأن رسول الله يرسم لنا منهجاً عملياً في مثل هذا التصرف، ليكون مثلا في التسامح وحسن المعشر، والتعامل المشروع ليكون بذلك قدوة لأمته.

وروى البخاري رحمه الله في كتاب البيوع، عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كنا مع النبي ﷺ ثم جاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها، فقال ﷺ بيعاً أم عطيه – أو قال: أم هبة؟ فقال، لا بيع، فاشترى منه شاة(١).

وقد قضى القاضي شريح بالشفعة لذمي على مسلم، فكتب إلى عمر بذلك فأجازه، وكان ذلك بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم، فيكون إجماعاً(٢). ولهم الحق في البيع والشراء في حدود الشرع، وقد قالت الحنابلة، في باب إحياء الموات–وهي الأرض التي لا مالك لها من الناس، ولا ينتفع بها أحد، ولم تكن قريبة من العمران أن الذمي يملك بالإحياء كالمسلم، وعللوا ذلك بأنه من أهل دار الإسلام، فتجري عليه أحكامها(٣).

يقول الشيخ القرضاوي :(لغير المسلمين حرية العمل والكسب، بالتعاقد مع غيرهم، أو بالعمل لحساب أنفسهم، ومزاولة ما يختارون من المهن الحرة، ومباشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادي، شأنهم شأن المسلمين)(٤).

يقول آدم ميتز: (ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكانت قدمهم راسخة في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة، وتجاراً، وأصحاب ضياع، وأطباء بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم، بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة في الشام مثلاً يهوداً، على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى، وكان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة، وكان رؤساء اليهود وجهابذتهم عنده) (٥).

ولقد رأينا أن أموال أهل الكتاب مصونة وجميع ما يملكون، فلقد كان رسول الله ﷺ في تعامله معهم، وفي إعطائه العهد والذمة لهم يتعهد بصون دمائهم وأموالهم، كما يتعهد بصون دمائهم، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة النبي ﷺ، على أموالهم وملّتهم وبيعهم، وكلّ ما تحت أيديهم من قليل أو كثير"(٦).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، برقم ٢٢١٦،**فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ج٤،ص٩٧.

(٢) الكاساني، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**: ج٥،ص١٥٣.

(٣) ابن قدامة، **المغني:ج** ٦،ص١٥٠-١٥١.

(٤) د. يوسف القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**: ص ٢١.

(٥) آدم ميتز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمه: د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج١، ص ٨٦، نقلاً عن **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، د. يوسف القرضاوي: ص ٢٢.

(٦) أبو يوسف، **كتاب الخراج**، ص ٢٩٤، وانظر: وفد نصارى نجران في **فتح الباري، شرح صحيح البخاري**: ج٨، ص١١٩. وابن القيم، **زاد المعاد**:ج ٣، ص٦٢٩.

من السابق نرى منهج الإسلام في رسم ما يجب أن يتبع من البيع والشراء وما يتعلـق بهما بين المسلمين وأهل الكتاب بل حتى مع الكافرين، ولقد قال ابن تيمية رحمه الله: "إذا سـافر الرجل إلى دار الحرب ليشتري منها جاز عندنا، دل عليه حديث تجارة أبـي بكـر فـي حيـاة الرسول ﷺ إلى أرض الشام وهي حينئذ دار حرب"[١].

(١) ابن تيمية، **إقتضاء الصراط المستقيم** : ص ٢٢٩.

الفصل الثالث: نتائج المنهج النبوي في دعوته للنصارى وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: الإسلام المبكر لأغلب نصارى العرب والمناطق المحيطة

المبحث الثاني: حسن استقبال النصارى للفاتحين المسلمين وسهولة التعامل معهم

المبحث الثالث: مشاركة العديد من الشخصيات النصرانية في بناء الحضارة

المبحث الرابع: إدراك واجب المسلمين نحو النصارى اليوم

الفصل الثالث: نتائج المنهج النبوي في دعوته للنصارى

المبحث الأول: الإسلام المبكر لأغلب نصارى العرب والمناطق المحيطة

إن من المعلوم من السيرة وكتب التاريخ أن بعض الضاربين حول مكة، كانوا قد وفدوا عليها، ليروا خبر هذه الدعوة الجديدة، وأن بعضهم أسلم وعاد داعياً إلى قومه، وبعد أن هـاجر النبي ﷺ وفدت عليه الوفود وكثرت وتتابعت. وكانت سنة تسع من الهجرة تسمى بعـام الوفـود حيث وفدت الوفود التي كان منها على النصرانية أو على الشرك، وكان عدد هذه الوفود يزيـد على الستين، اجتهد كُتّاب السيرة في حصرها، ولكن ذلك لا يهمنا بقدر ما يهمنا منهـا دلالتهـا على إنتشار الإسلام في أطراف الجزيرة العربية، وخضوع القبائل، على ما كـان بينهـا فـي الجاهلية من مصادمات ومفاخرات، إلى رياسة دينية واحدة، صهرتها جميعها في بوتقة الإيمـان بإله واحد ورسول واحد، هو خاتم المرسلين ونبي العالم كله.

ولقد كانت السرعة في إنتشار الإسلام (في الماضي والحاضر) نقطـة الإعجـاز فـي التاريخ، فإن أية دعوة من الدعوات لم تحظ بما حظيت به دعوة الإسلام في مثل هـذه الفتـرة الوجيزة التي حيرت مؤرخي العالم الغربي. فإن الدين الذي جاء به موسى عليـه الـسلام لـم يجاوز إنتشاره أسرة إسرائيل، ولا يزال في الحدود التي كان عليها من يـوم وجـوده، والـدين المسيحي بقي نحو ثلاثة قرون محصوراً في طوائف مبعثرة، لم تقم له دولـة، إلـى أن تـولى الإمبراطورية الرومانية قسطنطين الأول، وكانت أُمه قد ربته على المسيحية، فحمل قومه علـى النصرانية. وجعل النصرانية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية (٢٧٤-٣٣٧) ومن ذلـك الحين قام النصارى بإرسال بعثات للتبشير في البلاد النائية استُعمل فيها الإجبار والقهر[١].

ولابد من الإشارة إلى أن وفود النصارى وصلت مكة منذ فجر الدعوة الإسلامية في مكة حيث علمنا في فصل سابق من هذه الدراسة أن فريقاً من النصارى واليهود في مكة، وجدوا صفات النبي ﷺ مطابقة لما في أيديهم من أسفار التوراة والإنجيل فآمنوا به واتبعوه ونصروه فاستحقوا التنويه الذي احتوته الآية[٢} ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ

---

(١) عطية صقر، (١٩٦٥م)، **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**، مؤسسة الصباح: ص ٤٣٤.

(٢) سورة القصص الآيات: (٥١-٥٤)، وكذلك سورة الإسراء، الآيات: (١٠٩-١٢٧)، والأحقاف، الآية: ١٠، والرعد:الآية ٣٦.

ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ [1].

ولقد ذكرت روايات السيرة وكتب التراجم أسماء كثيرة من الكتابيين الذين اندمجوا في الدعوة في مكة تحمل طابع الأسماء النصرانية، كما أن بعض الروايات ذكرت قدوم وفد نصراني إلى مكة بعد البعثة مستطلعاً نبأ النبي العربي وأعلن إيمانه به[2].

ولقد قرأنا في كتب السيرة أن الإسلام المبكر لقبائل العرب النصرانية كان حتى من أشدهم إعراضاً واستكباراً، (فهذا ذو الكلاع الحميري، وكان حاكماً على بعض مناطق اليمن والطائف، وكان ملكا على قبيلة حمير القوية، وكان يدعي أنه إله، وكان يأمر الناس بالسجود له، ولما أسلم أعتق في يوم واحد ثمانية عشر ألفاً من العبيد، وفي عهد عمر الفاروق تخلى من نفسه عن الحكم وقدم إلى المدينة حيث عاش فيها حياة كلها زهد وتقوى[3].

ولقد كانت النصرانية في جزيرة العرب مجزأة إلى شيع متعادية منهمكة في المجالات العقيمة فلا عجب إذا بقي الإسلام بعيداً عن هذه المناقشات البيزنطية حول العقائد، فقد صار النصارى يضطهد بعضهم بعضاً في سبيل معنى إحدى الكلمات . والعلماء يصرون على مجادلاتهم الكلامية، والخرافات تفسد الجمهور بفضل العدوى[4].

والعرب موحدون بالفطرة فلا ينسجمون مع ما كان يدور من مناقشات وحوارات حول المسيح وطبيعته، والصلب والفداء، إذ أن متانة أصول الدين وسماحة شريعته، ووضاءة ما دعا إليه من أخلاق وآداب، فإذا صادفت الدعوى ذا فطرة سليمة وعقل راجح، فنظر فيما يدعو إليه من عقائد وأحكام وآداب، لم يلبث أن يتقبل دعوته ويصير إلى إيمان لا تزلزله عواصف التضليل. في خطاب العلاء الحضرمي عند دعوة المنذر ابن ساوى ملك البحرين (وكان المنذر

---

(١) محمد عزة دروزه، **عصر النبي وبيئته قبل البعثة**: ص ٧٥٢.

(٢) يقول الطبري والماوردي في قوله: (ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ) القصص: ٥٢، أنها نزلت في عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي أسلموا فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها، قاله قتادة. وقيل نزلت في أربعين رجلاً من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبي عليه السلام قبل مبعثه، اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب وقت قدومه وثمانية قدموا من الشام. فهم بحيرا وأبرهمة والأشرف وعامر وأيمن وإدريس ونافع فأنزل الله فيهم هذه الآية والتي بعدها إلى قوله تعالى (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)، قال قتادة :بإيمانهم بالكتاب الأول وإيمانهم بالكتاب الآخر. انظر الطبري، **تفسير الطبري**،ج ١،ص٨٥، وانظر الماوردي،أبو الحسن علي بن علي (ت:٤٥٠) **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**، ط٢، تحقيق السيد عبد المقصود مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ج٤، ص٢٥٧. وقدوم هؤلاء في بداية العهد المكي فيه دلالة على سرعة الإستجابة وسهولتها.

(٣) القاضي محمد سليمان المنصور فوري، **رحمة للعالمين**، ط١، الرياض، دار السلام: ص ١٥١.

(٤) د. عماد الدين خليل، (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)،**دراسة في السيرة،**(ط٣)، عمان، دار النفائس: ص ٢٧٩، نقلاً عن درمنغم (حياة محمد).

نصرانياً قبل إسلامه، إذ كان قومه من عبد القيس نصارى) "هذا النبـي الأمـي الـذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه ليته أمر به، أو ليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه، إذ كل ذلك منه على أمنية العقل، وفكر أهل البصر".

وكذلك قال المنذر في جواب العلاء: "قد نظرت في الأمر الذي في يدي فوجدته للـدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت"(١).

إننا نلحظ سهولة التوجه للإسلام وسرعته، (فأول ما واجه الإسلام خارج بلاد العـرب بعد وفاة النبي ﷺ، المسيحيين الضاربين في الشام وعلى شواطئ الفرات، فأسلم من قبيلة غسان النصرانية كثيرون، وبقي على ديانتهم آخرون، لم يستمروا طويلا حتى دخلوا في الإسلام، وبعد هزيمة الفرس في القادسية بقيادة رستم، وفـد المسيحيـون الضاربون على ضفاف الفرات إليه مسلمين، ومن بقي منهم على دينه كانت مشاعره مع المسلمين، لقد إنضم من قبل مدد مـسيحي من (طي) إلى المثنى بن حارثة، وساعده على تخليص جيشه من موقعه الجسر"(٢).

ويقول أرنولد:" إن الإسلام المبكر بين المسيحية من الإغريق سببه أيضاً فـساد العقيـدة التي فرضتها الكنسية عليهم، فانصرف عدد كبير عنها، بعد أن ملّوا المناقشات التـي لا تنتهـي حول مسائل مذهبية عويصة، كالانبثاق المزدوج لروح القدس، وكاستخدام الخبز أو الفطير فـي القربان، وتقبلوا بصدور رحبة تعاليم الإسلام الواضحة المفهومة التي تقوم على الوحدانية، وقـد إنتهت إلينا الأخبار عن طوائف كبيرة من الناس أسلموا ولم يكونوا بسطاء عامتهم فحسب، بـل كانوا من العلماء على إختلاف طبقاتهم وحالاتهم"(٣).

إن مجموع ما تعامل به ﷺ مع نصارى عصره، من تسامح إنصاف وحريـة اعتقـاد، وحوار بالحسنى، وروائع قرآن ترسم للمسلمين الطريق الأسمى للتعامل مع الآخـرين، وعـدل مطلق، هو الذي جعل نصارى العـرب والمنـاطق المجـاورة يبكّرون في دخـول الإسـلام، (وينحازون إلى الإسلام ديناً، ويتخلّـون طـوعاً عن أديانهم، وينحـازون إلى نبـي الإسـلام نبياً ورسولاً، وحاكماً وقائداً، ويتخلّـون عـن حكامهم القُدامى، بالرغم من الصعوبة البالغة التي

---

(١) ابن الأثير، **أسد الغابة**: ج٤،ص٤٩١، وانظر نور الدين الحلبي، **السيرة الحلبية**:كج ٣،ص٣٥٣.
(٢) عطية صقر، **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**: ص ٤٣٧.
(٣) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام:** ص ١٨٦.

يعانيها حيث يتخلى عن دينه ودين آبائه وأجداده الذي شب وشاب عليه، وبالرغم من التخلي عن أكبر دولة عالمية في حينه مضمونة العواقب[1]إلى حكم جديدغيرمعروف ولا مضمون) [٢].

ولقد كان من منهجه ﷺ في دعوته لنصارى العرب والمناطق المجاورة التـي تحتويهـا العشيرة الواحدة أنه ﷺ (لم يفرض على القبائل التي أسلمت متطلبات ثقيلة أو قيوداً شديدة فبقيت العشائر محتفظة بكيانها وديارها ورؤسائها ونظمها، وكذلك المدن والقرى ما دامت لا تتعارض مع مبادئ الإسلام الأساسية، وبقيت التنظيمات القديمة وروابطها سواء كانـت بـين العـشائر والقبائل، أو بين أبناء القرى والمدن، أو بين الجماعات التي كانت في كل من هذه المجموعات، وأبقى للنسب مكانته كرابط بين الجماعات، وتابع تقدير كثير من المثل الأخلاقيـة التـي كـانوا يقدرونها كالعناية بالأقربين وبتوثيق صلة الرحم، ورعاية الجار، وإغاثـة الملهـوف، والوفـاء بالعهد، وتقدير الكرم والشجاعة غير أن السمات القبلية بدأت تتحول بما فرض فوقها من روابط أوسع تقوم على العقيدة والفكرة تعززها مثل جديدة، وأساليب جديدة لتحقيق مصالح الأمة وليس لمجرد مصالح العشيرة أو رئيسها[٣].

ولابد من القول إن حرص العربي على الإسلام إذا دخل عقله وقلبه سـواء كـان مـن النصارى أو المشركين أمر لا ينكر وربما كان في إبقاء العشيرة ونظامها بما ينسجم مع العقيدة الجديدة مَحفزاً وعاملاً مسارعاً للدخول في الإسلام في بداية الأمر لاحظه الرسول ﷺ من هنـا وجدنا أن أفراداً هم في قومهم رؤساء يدخلون في الإسلام ويدخل معهم قومهم ويضعهم رسـول الله ﷺ أمراء في قومهم ويظهر هذا في وفود نصرانية ومشركة وفدت على رسول الله ﷺ مسلمة ومعلنة لإسلامها.

يقول الشيخ عطية صقر: (إن أصول الإسلام جلبت للإنسانية خيراً لم تعهده من قبل في أي دين، ولا في أي نظام اجتماعي آخر، فإن الأقوام الذين كانوا يسكنون بلاد العـرب والـشام وبلاد الفرس وما إليها، وبلاد ما وراء النهر إلى الصين، كلها خرجت من وثنيـة منحطـة ذات

---

(١) ومثال ذلك، إسلام فروة بن عمرو الجذامي فور وصول رسول الله عليه السلام إليه، حيث كان فروة حاكماً عربياً من قبل الروم على عمان من أراضي البلقاء أو على معان وكان من جوابه لرسول الله عليه الـسلام "إني مقر بالإسلام مصدق به أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أنت الذي بشر بك عيسى بـن مريم عليه السلام".

(٢) محمود شيت خطاب، **السفارات النبوية**: ص ١٥٩.
ولما علم ملك الروم بإسلام فروة الجذامي استدعاه وطلب منه الرجوع عن دين محمد عليه السلام ويعيـده إلى مكة فقال فروة: "لا أفارق دين محمد وإنك لتعلم أن عيسى قد بشر به ولكنك تضن بملكك فحبـسه ثـم أخرجه فقتلـه وصـلبه". انظـر ابـن الأثيـر، **أسـد الغابـة**،ج ٤،ص٥٦، وانظـر البيهقـي، **دلائـل النبوة**،ج٥،ص٤٠٩.

(٣) د. صالح أحمد العلي،(١٩٨٨م)، **الدولة في عهد الرسول عليه السلام**، بغداد: مطبعـة المجمـع العلمـي العراقي: ص ٣٧.

أصول جاهلية، إلى دين هو أرقى ما يمكن أن يتصوره العقل، نالوا بسببه مزايا إجتماعية وأدبية لا تحصى، فبعد أن كانت القبائل العربية لا تعرف الوحدة ولا تدين إلا للقوة، وكانت الحـروب بينها دائمة التسعر، تآخت في دين الله وسادها النظام، ورحل كثير منها إلى الممالك التي فتحهـا الإسلام، وساهمت في بناء مجد المسلمين) (١).

إن أصول الإسلام الكريم التي تجلب للإنسانية خيراً عميما آمن بها رجال صـدقوا مـا عاهدوا الله عليه، وراحوا ينشرونها بين الناس في كل اتجاه، بكل إسـتقامة وتقـوى وحـرص وأمانة، زهد في دنيا، وعدل في قضاء، وجد في عبادة، فكانوا دعاة للإسلام بـسيرتهم قبـل أن يدعوا إليه بألسنتهم وهذا مما جعل الآخرين ينتبهون ويتعظون ويسلمون منذ فجر الـدعوة إلـى يومنا هذا ...

المبحث الثاني: حسن استقبال النصارى للفاتحين المـسلمين الأوائـل وسـهولة التعامل معهم

إن مما ينبغي ملاحظته أن معاملة المسلمين الكريمة لأهل الكتاب جعلت كثيـراً مـنهم يرحبون بالفتوحات الإسلامية، ويعتبرونها مخرجاً من الظلم والاستبداد من قبـل أبنـاء ديـنهم ويفضلون حكم المسلمين على حكم المسيحيين، بل إن بعضهم اعتنقوا الإسلام.

ومن الشواهد على ذلك أنه لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز، وفد إليه قوم من أهـل سمرقند، فرفعوا إليه أن قتيبة قائد الجيش الاسلامي فيها دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين غـدراً بغير حق، فكتب عمر إلى عامله هناك أن ينَصِب لهم قاضياً ينظر فيما ذكر، فإن قضى بإخراج المسلمين من سمرقند أُخرجوا. فنصب لهم الوالي (جميع بن حاضر الباجي) قاضياً في شكواهم، فحكم القاضي وهو مسلم، بإخراج المسلمين على أن ينذرهم قائد الجيش الإسلامي بعـد ذلـك، وينابذهم وفقاً لمبادئ الحرب الإسلامية، حتى يكون أهل سمرقند، على استعداد لقتال المـسلمين فلا يؤخذوا بغته، فلما رأى ذلك أهل سمرقند، رأوا ما لا مثيل له في التاريخ من عدالة تنفـذها الدولة على جيشها وقائدها! قالوا: هذه أمة لا تحارب، وإنما حكمها رحمة ونعمة، فرضوا ببقـاء الجيش الإسلامي، وأقروا أن يقيم المسلمون بين أظهرهم(٢).

ويقول أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام): ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في (فحل) كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلـى العـرب المـسلمين

(١) عطية صقر، **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**: ص :٤٣٤.
(٢) د. مصطفى السباعي، **من روائع حضارتنا**: ص ٨٧ بتصرف.

يقولون: يا معشر المسلمين: أنتم أحب إلينا من الروم وإن كان الروم على ديننا، أنتم أوفى بنـا، وأرأف بنا، وأكفّ عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا.

وكذلك غلّقَ أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل وأبلغوا المسلمين أن ولايـتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم[١].

إن حالة التسامح والإنصاف بين المسلمين وأهل الكتاب كانت سبباً في سهولة التعامـل والانسجام بين الفريقين، يذكر أرنولد أن ثمة تفاهم ومودة بين المسيحيين في مصر وعمرو بـن العاص لأن القبط في مصر نجوا من الاضطهاد الديني الذي ينزله الروم على مخـالفيهم فـي المذهب إذ كانت تقسو عليهم لم ينسها أعقابهم حتى اليوم، فكان بعضهم يعذب ثم يلقى بهم فـي النهر، وقُتل منهم نحو مائتي ألف في الإسكندرية بأمر من الإمبراطور جستنيان فلا غرابة فـي أن تعاطفوا مع عمرو بن العاص، لأنه كفل لهم الحرية الدينية التي كانوا يبتغوها، ولم يحدث في عهده ولا عهود من بعده بعد أن ضغط على أحد منهم ليرتد عن دينه[٢].

ويتحدث أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام عن صور من استقبال النصارى للفـاتحين العرب وسهولة التعامل معهم، وحالات الإنسجام بل يقدم أرنولد حالات إسلام جماعية بسبب ذلك التعامل المتسامح من الفاتحين المسلمين، ويقدم أحياناً أسباباً متعددة للإنسجام ودخول الإسلام.

يقول أرنولد: "إن سياسة التسامح الديني التي أظهرها هؤلاء الفـاتحون نحـو الديانـة المسيحية كان لها أكبر الأثر في تسهيل استيلائهم على هذه البلاد"[٣].

يقول: (ويظهر أن أخلاق صلاح الدين وحياته التي انطوت على البطولة، قد أحدثت في أذهان المسحيين في عصره تأثيرا سحرياً خاصاً، حتى إن نفراً من الفرسان المسيحيين قد بلـغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم المسيحية، وهجروا قومهم، وانضموا إلى المـسلمين، وكذلك كانت الحال، عندما طرح النصرانية مثلاً، فارس إنجليزي من فرسان المعبـد، ويـدعى روبرت أوف سانت ألبانس في سنة ١١٨٥م، واعتنق الإسلام ثم تزوج بإحدى حفيدات صـلاح الدين) [٤].

يتضح لنا أن المسلمين يلتزمون بأخلاق دينهم وهم يتعاملون مع غيرهم حتى في سـاحة المعركة مما يلمسه أعداؤهم، فيرون في ذلك صورة العدالـة والـصدق والتـسامح فيتـأثرون ويسلمون أو ينسجمون مع الفاتح الجديد.

---

(١) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام:** ص ٧٣.
(٢) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، بتصرف: ص ١٢٣.
(٣) المصدر نفسه :ص١٢٥
(٤) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**: ص ١٢٣.

المبحث الثالث: مشاركة العديد من الشخصيات النصرانية في بناء الحضارة

إن من ثمرة منهج الإسلام في تسامحه وإنصافه للمسحيين وحالـة المـودة والرأفـة أن استوعبهم في مجتمعه وجعلهم متفاعلين، واستُثمرت طاقات بعضهم فيما يخدم المجتمع فظهرت تلك المشاركات المتنوعة في بناء الحضارة والتي نقرؤها في كتب التاريخ.

وقد جاءنا العالم "ميز" في باب التسامح الإسلامي بتفاصيل أشد غرابة حيث قال: "إن من أعظم بواعث الإستغراب كثرة عدد غير المسلمين من رجال الأمر في الدولة الإسـلامية، وقـد شوهد المسلم في بلاده يحكم عليه النصارى، وحدث مرتين في القرنين الثالث للهجرة أن كـان من النصارى وزراء حرب، وكان على القواد حماة الدين أن يطيعوهم وينفذوا أمرهم[١].

ومع اتساع بقعة العالم الإسلامي وكثرة مجالات الأعمال لم يحظ أهل الكتاب فـي ظـل المسلمين بالإحترام والتسامح السلبي فقط، بل خُصص لهم المناصب المشرفة ففي العهد الأموي أسند معاوية بن أبي سفيان الإدارة المالية لأسرة مسيحية توارثت أبناؤها الوظائف لمدة قرن من الزمان، ومن أفرادها القديس والمؤرخ يوحنا الدمشقي المعاصر لمعاوية وولده يزيد، كما أسـند معاوية إلى طبيبه ابن آثال جباية خراج حمص، وهي وظيفة مالية لم يسبق لنـصراني قبلـه أن وصل إليها[٢].

وكان عبد الملك بن مروان قد اختار عالماً مسيحياً من مدينة الرها يـدعى "أثناسـيوس" كمؤدب لأخيه عبد العزيز، ورافق تلميذه إلى مصر عندما عين والياً عليها، وهناك جمع ثـروة طائلة قيل إنه امتلك أربعة آلاف من العبيد، كما ملك كثيراً من الورود والبساتين،وكان الـذهب والفضة عنده كأنه الحصى[٣].

وكان في خدمة الخليفة "المعتصم" أخوان مسيحيان بلغا منزلة سامية عند أمير المؤمنين، أحدهما يدعى "سلموية" ويظهر أنه كان يشغل منصب أشبه بمنصب وزير في العصر الحـديث، وكانت الوثائق الملكية لا تتخذ صفة التنفيذ إلا بعد توقيعه عليها، على حين عهـد إلـى أخيـه "إبراهيم" بحفظ خاتم الخليفة، كما عهد إليه بخزانة بيوت الأموال في البلاد، وكان المنتظر من طبيعة هذه الأموال وتصريفها أن يوكل أمر الإشراف عليها إلى رجل من المسلمين[٤].

---

(١) محمد الراوي، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، **الدعـوة الإسلامية دعـوة عالميـة**، (ط١)، الريـاض: مكتبـة العبيكان:ص ٥٣٥.

(٢) فيليب حتى، **تاريخ العرب**:ج ٢،ص٢٥٩.

(٣) توماس **أرنولد، الدعوة إلى الإسلام**: ص ٨٢.

(٤) المصدر نفسه: ص ٨١.

لقد نال أصحاب الأديان الأخرى من حرية التفكير الديني، وحرية العمل في ديار الإسلام؛ ما جعلهم يتبوأون أكرم المنازل وأرفع المناصب في دولة الإسلام.

فقد كان مستشار عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) أبا القديس يوحنا الدمشقي.

وفي عهد المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) كان عمر بن يوسف والي الأنبار مسيحياً. وعهد الموفق، بأمر تنظيم الجيش إلى مسيحي يدعى إسرائيل، بل كان كبير وزراء عضد الدولة البويهي (٣٣٧-٣٧١هـ) مسيحياً يدعى نصر بن هارون وقد حكم العراق وجنوبي فارس(١).

وإذا ما نظرنا إلى الوظائف العامة فإننا نجد المسلمين والمسيحيين، يشتركون فيها، ويعملون في ميادين واحدة، ويخدمون الوطن جميعا في كل مجال مقدرته وتخصصه. كان الأخطل الشاعر النصراني هو شاعر الخليفة عبد الملك بن مروان وشاعر الدولة الرسمي(٢).

وقد ذكر السير توماس أرنولد أسماء بعض الوزراء والولاة المسيحيين في الدويلات الإسلامية، وأسماء الأطباء والعلماء المقربين إلى الخلفاء، ثم إن المسيحيين أحرزوا ثروات ضخمة، وتمتعوا بنجاح عظيم في عصور الإسلام الأولى، بفضل ما كفل لهم الإسلام من حرية العقيدة والملك، حتى لقد كان منهم أصحاب نفوذ في قصور الخلفاء(٣).

إن إعطاء الوظائف للمستحق الكفء بقطع النظر عن عقيدته ومذهبه، حتى في عالم الأطباء فقد كان الأطباء المسيحيون في العهد الأموي والعباسي محل الرعاية لدى الخلفاء، وكان لهم الإشراف على مدارس الطب في بغداد ودمشق زمناً طويلاً، وكان الطبيب جرجيس بن بختيشوع مقرباً من الخليفة المنصور واسع الحظوة عنده، وكان سلمويه بن نبان النصراني طبيب المعتصم، ولما مات جزع عليه المعتصم جزعاً شديداً(٤).

وبعد سرد الوقائع التاريخية عن مدى إكرام المسلمين لأهل الكتاب، وتولي كثير من المسيحيين مناصب وزارية في الدولة الإسلامية تساءل الشيخ محمد الغزالي قائلاً:" ونحن نتساءل في أي عهد من التاريخ المسيحي استوزر الملوك المسيحيون يهوداً أو مسلمين؟ بل في أي عهد استوزر الكاثوليك بروتستانتياً أو العكس؟"(٥).

ويضرب المؤرخ ترتون مثلاً لتسامح العباسيين مع أهل الذمة واستلام أهل الذمة مناصب رفيعة في الدولة الإسلامية مثلاً، فيقول:

---

(١) محمد الراوي، **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**: ص ٥٣٥.
(٢) المرجع السابق: ج ٨،ص٢٨٨.
(٣) أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**: ص ٨٢-٨٣.
(٤) د. يوسف القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**: ص ٥٢.
(٥) محمد الغزالي، **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**: ص ٥٣.

"يمكن إتخاذ إبراهيم بن هلال مثالاً لما قد يصير إليه الذمي من بلوغ أرفع المناصب في الدولة، فقد تقلد إبراهيم الأعمال الجليلة، فامتدحه الشعراء، وعرض عليه عز الدولة باختيار بن معز الدولة البويهي أن يوليه الوزارة إن أسلم فامتنع، وكان إبراهيم بن هلال حسن العشرة مع المسلمين عفيفاً في مذهبه، وكان بينه وبين الصاحب إسماعيل بن عباد، والشريف الرضي مراسلات ومواصلات رغم إختلاف الملل، وكان إبراهيم حافظاً للقرآن"(١).

ولابد من الإشارة إلى أن العلماء بينوا أن هناك وظائف لا يصح أن يقوم بها غير المسلم فلأهل الذمة أن يتولوا وظائف الدولة اللهم إلا ما كان منها ذا صبغة دينية إسلامية، أو ما كان من مهمة صاحبها الدفاع عن الإسلام، مثل رئاسة الدولة، والإمارة على الجهاد، وذلك لأن رئاسة الدولة، أو كما يعبر عنها الفقهاء الإمامة، هي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به(٢).

فمن البدهي أن لا يتولى هذا المنصب إلا من يدين بالإسلام، أما الجهاد، والقتال من أنواعه، وهو يقوم على معنى ديني، فمن البدهي أن لا يكلف به ولا تناط أعماله إلا لمن يدين بالإسلام، ومع ذلك فإذا رغب الذمي في الاشتراك به كان له ذلك ولكن لا يكون أميراً فيه(٣).

ولقد أجاز علماء الفقه الإسلامي أن يكون الوزير من أهل الذمة، على أن يكون من وزراء التنفيذ لا من وزراء التفويض(٤).

ووزارة التنفيذ كما قال الفقهاء يبلغ أوامر الإمام ويقوم بتنفيذها ويمضي ما يصدر عنه من أحكام وقرارات أما وزارة التفويض فهي التي يكل فيها الإمام إلى الوزير تدبير الأمور السياسية والإدارية، والاقتصادية بما يراه(5).

ولم ينه الإسلام إلا عن تولية من أبدوا من أهل الذمة العداء للمسلمين، وفي ذلك يقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (٦).

---

(١) د. أ. س ترتون، **أهل الذمة في الإسلام**، ط٢، مصر، دار المعارف: ص ١٩٣.
(٢) ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**،ج ١،ص٢٠١-٢٠٢، انظر الماوردي، **الأحكام السلطانية**: ص ١٣.
(٣) د. عبد الكريم زيدان، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م)، **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، (ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة: ص ٤٤١.
(٤) الماوردي، **الأحكام السلطانية**: ص ٣٣.
(5) المصدر السابق: ص ٣٦ بتصرف.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

فهذه الآية تنهى عن اتخاذ بطانة ممن أظهر للرسول ﷺ عداءه من أهل الذمة، وخانوا العهد، كبني النضير الذين حاولوا قتل الرسول ﷺ، فذلك النهي كما يتبين من الآية لا يشمل غير هؤلاء ممن أبدوا الخيانة والعداء(١).

وهذا ما فهمه الخلفاء الراشدون ومن تبعهم من الخلفاء من هذه الآية، كما مر معنا من تولية أهل الذمة بعض المناصب، فسيدنا عمر جعل رجال دواوينه من الروم، كذلك كان شأن الخليفتين عثمان وعلي، وخلفاء بني أمية إلى أن نقل عبد الملك بن مروان الدواوين من الرومية إلى العربية(٢).

إن هذه الصور التي مرت معنا ومثلها كثير لتدل على رحابة صدر الإسلام العظيم، فهو دين يزرع الألفة والمحبة، وهو دين الإنسانية الذي يستوعب الآخرين، ويستثمر كل ما يملكون من طاقة، ثم بعد ذلك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وفي التاريخ شواهد كثيرة على أن كثيراً من أهل الذمة ممن شغل مناصب وأعمالاً في مجتمع المسلمين قد أسلم وحسن إسلامه.

المبحث الرابع: إدراك واجب المسلمين نحو النصارى اليوم

لقد أكرم الله عز وجل هذه الأمة بخير رسالة أرسلها إلى البشر، ضمن فيها سبحانه وتعالى كل ما يكفل للإنسان العيش السعيد الآمن في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣). هذه الرسالة عندما استمع إليها نفر من الجن أدركوا قيمتها العظيمة، وفهموا المقصد من نزولها، فسارعوا إلى قومهم ليخبروهم بما علموا ... فماذا قالوا لهم؟

﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٤).

---

(١) محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**:ج ٤،ص٦٩.
(٢) البلاذري، **فتوح البلدان**: ج١،ص٢٣٠.
(٣) سورة يونس، الآية: ٥٧.
(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٣٠-٣١.

ولم يكن هؤلاء النفر من الجن وحدهم هم الذين أدركوا قيمة القرآن، ففي تاريخنا أسطر من نور تقص علينا أن جيلاً كاملا قد أحسن إستقبال القرآن، وتعامل معه على أنه منهج حيـاة جاءهم من عند مالك الحياة – رحمة منه وفضلاً – ليعينهم على السير فيها بما يحقق لهم السعادة في دنياهم وأخراهم.

فهم الصحابة – رضوان الله عليهم – المقصد العظيم من نزول القرآن، فتعاملوا معه هذا المنطلق، وأتوه من أوله، فأعطوه عقولهم وقلوبهم وأوقاتهم، فأحسن القرآن وفادتهم، وأكـرمهم بكرمه البالغ، وأعاد صياغتهم من جديد، لِيخَرجوا من مصنعة أناساً آخرين، لم تشهد البشرية لهم نظيراً لهم فدانت لهم الأرض، وسادوها في سنوات معدودة.

ولقد وصف الله تعالى الأمة الإسلامية بأنها خير أُمم الأرض، لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (١).

وأكد هذه الخيرية رسول الله ﷺ، فقد روى الترمذي – رحمه الله – بإسناده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعـالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله(٢).

لهذا كله راح الصحابة الكرام ينشرون دين الله في أرجاء المعمورة إستجابة لقوله تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (٣).

ولقد وردت آيات كثيرة توجب الدعوة إلى الله تعالى، منها ما تخاطب النبي ﷺ، فتـدخل أمته في الخطاب تبعاً له، ومنها ما تخاطب الأمة مباشرة.

فمن الآيـات التـي تخاطـب النبـي ﷺ قولـه تعـالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.
(٢) رواه الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، باب ٤ من سورة آل عمران، رقـم الحـديث، ٣٠٠١ ص: ٧٩٨. وقال عنه: هذا حديث حسن.
(٣) سورة النحل : الآية١٢٥
(٤) سورة القصص:الآية ٨٧.

يقول الدكتور عبدالكريم زيدان: (وهذه الآيات يدخل فيها المسلمون جميعاً، لأن الأصـل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول أمته فيه إلا ما استثنى، وليس من هذا المستثنى أمر الله تعـالى له بالدعوة إليه، ومعنى ذلك أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشـرفها أن أشـركها مـع رسوله الكريم في وظيفة الدعوة إليه)(١).

وقدم رسول الله ﷺ من حياتـه وسيرته العملية قدوةً وأُنموذجاً وأُسـوةً لهـذا المـسلم، فكأنه ﷺ يدعو إلى الله بدءاً من عشيرته الأقربين إلى أهل مكة داخلها وخارجهـا، ذهـب إلـى الطائف بنفسه، وهاجر من مكة إلى المدينة، وراسل وخاطب ملوك وأمراء زمانه من النصارى داخل الجزيرة العربية وخارجها إدراكاً منه لضرورة توصيل صوت الحق لكل المعمورة وفـي هذا رد على أجناس (جولد تسهير) الذي زعم باطلا أن أفق محمد ﷺ الجغرافي لم يتعد جزيـرة العرب(٢).

وكان ممن شملتهم دعوة الإسلام النصارى الذين يعيشون في مكة والمدينة والجزيرة العربية وخارجها ويوجه الحق دعوته إليهم بقوله ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٣).

إن الذين طالبنا الله تعالى بإيصال الدعوة إليهم والهدى والرشاد هم قوم صـورتنا فـي أذهانهم مشوهة بفعل جهد كبير من الضخ الإعلامي المعادي فلا يعرفون ما عندنا من خير فنحن مطالبون أن نوصل إليهم ما عندنا من آيات بينات.

ولقد أمر الله رسوله الكريم إن جاء أحد المشركين يطلب الإجارة والأمـان، أن يجيـره ويسمعه كلام الله ويتم تبليغه فحوى الدعوى، ثم أن يحرسه حتى يبلغ مأمنه، هذا كله وهو مشرك وصدق الله ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

---

(١) د. عبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة** :ص ٢٩٨.
(٢) أجناس جولد تسهير، **العقيدة والشريعة** : ص ٣٩.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.
(٤) سورة التوبة: الآية ٥.

إنهم لا يعلمون عظمة القرآن والرسول الذي أنزل عليه القرآن لا يعلمون حقيقة ما هـم عليه من دين حرفت مبادئه وأركانه، فواجبنا تجاه أهل الكتاب أن نوصل إليهم صوت الحق إنهم لا يعلمون، تائهون ضائعون فيحتاجون منا خطوة بل خطوات منظمة لإيصال صـوت القـرآن والنور المبين.

وكم وكم من عالم في شتى ميادين العلم من غير أمة المسلمين إطلع على الآيات العلمية التي اشتمل عليها القرآن الكريم، ووجد العلم الحديثَ قد توصل إليها من جديـد، فهالـه الـسبق القرآني، فما وسعه إلا أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، لأنه أيقن تمـام اليقين بأن هذا القرآن ليس من صنع البشر، وإنما هو كلام العليم الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إن واجبنا تجاه النصارى وغيرهم أن ندعوهم إلى الله تعالى بكل وسيلة ممكنة

الخاتمة

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، والصلاة والسلام على خير الأنام.

وبعد هذه الجولة في رحاب كتاب الله تعالى يدعو الناس إلى توحيد الله، ويـردهم إلـى الصواب ويرسم لهم صورة العلاقة التي يمكن أن تكون بينهم وبين غيرهم فإننا توصلنا إلى عدد من النتائج والتوصيات، وهي:

١- تُعد العقيدة في الإسلام هي الجوهر واللّب والمضمون الأساسي لهذا الدين، وهـي الهويـة الحقيقية التي تميز بين المنتمين إليه والخارجين عنه أو منه.

٢- الإصلاح العقدي، هو مقدمة المشاريع الإصلاحية، التي جاءت الرسالات السماوية جميعـاً بها، فمن إعادة ترتيب التصورات العقدية عن الله والكون والحياة وبنائها إنطلق الأنبيـاء والرسل في تغيير واقع البيئات التي ظهروا فيها وإصلاح أحوالها، فكان كل واحد مـنهم يدعو قومه لنبذ الشرك، والإيمان بالله وعبادته وحده، كما دل على ذلك القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. وكان البعد العقدي هو ركيزة المشروع التغييري، الذي جاءت الدعوة الإسلامية به لكي تصلح أوضاع الإنسان عامة على إمتداد الزمان والمكان.

٣- الدعوة الإسلامية باعتبارها خاتمة الجهد النبوي، جاءت مستوعبة لما تفرق في غيرها من الكتب السابقة، ومستوفية لعناصر الديمومة والخلود والصلاحية لكل زمان ومكان.

٤- ينبغي أن يغلب أسلوب دعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة، ونهيهم عـن العقيـدة الفاسـدة، أسلوب الموعظة الحسنة على أسلوب المجادلة، وأسلوب الإشفاق والرحمة بالمدعوين على أسلوب الإنكار والتشنيع عليهم، فيختار لذلك الأسلوب المحبب، واللفظ المؤدب، فلا ينادى الكافر عند دعوته إلى الإسلام بلقب الكافر، ولا يخاطب الضال والمبتدع بلقـب الـضال والمبتدع.

٥- ضرورة التعرف على معالم منهج الرسول ﷺ في تعامله مع النـصارى خـصوصاً ومـع المخالفين عموماً في زمان إنتشرت فيه الكلمة عبر وسائل الاتصال السريعة والمتنوعة.

٦- لقد وضع الإسلام الأسس التي تؤدي إلى إقرار السلام وذلك برسم الطريقة المثلـى لتعـيش الإنسانية متجهة إلى غايتها من الرقي والتطور والإزدهار.

٧- لقد وضع الإسلام مبادئ سماوية تُنظم علاقات الأفراد والمجتمعات وتصف طرق التعامـل بين الناس على أسس أخلاقية ومبادئ تعد أصلاً لكثير من القوانين الوضعية الدولية فهـو

دين العقل والمنطق حتى مع مخالفيه فهو لا يمثّل أو يتَشَفى فيهم إذا ظفر بهم بل يحافظ على أموالهم وأعراضهم وحياتهم وجميع حقوقهم الإنسانية.

٨- إنه من الثابت تاريخياً أن المسلمين هم أقدر الناس على التعايش السلمي والإيجابي مع المخالفين لهم في الدين ما داموا ملتزمين بإسلامهم الحنيف، ونظراً لطبيعة التبادل بين الأطراف المتعايشة يكون مستوى هذا التعايش متماشياً مع مدى تحقيق سيادة الإسلام في المجتمع.

٩- لابد أن يتصدى لدعوة النصارى من لديه إلمام بلغتهم، ومعرفة بعاداتهم، ومعرفة ببعض الأناجيل وتناقضاتها، ومن لديه إطلاع على كيفية مقارنة الأديان والحديث حولها.

١٠- التفريق بين دعوة النصارى والحوار معهم، والتعامل بالحسنى، وبين مودتهم ومحبتهم وموالاتهم.

١١- إغتنام سرعة الاستجابة للحق، وترشيد هذه الاستجابة، وتوظيفها لصالح المسلمين، وتوجيهها التوجيه الصحيح، وهذا يحتاج لدعاة على قَدرٍ من الحكمة والفهم.

١٢- ضرورة معرفة أنه لا يجوز مطلقاً التنازل عن شيء من دين الإسلام، ولا مجاملة أحد في شيء منه لأجل دعوته ومحاورته وهدايته.

١٣- إن التوراة والإنجيل قد بشرتا برسول الله ﷺ، وبالرغم من تحريفهما، إلا أنه لا يزال فيهما إشارات وإيماءات يفْهم منها البشارة برسول الله ﷺ مع العلم أن ما نقله علماء سلفنا الصالح أمثال الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من بشارات عن التوارة والإنجيل أشد صراحة نجده الآن فيهما، مما يدل على أنهما قد دخلهما تحريف جديد من زمنهم إلى يومنا هذا، وقد شهد القرآن بهذه البشارات، وشهد بتحريف التوراة والإنجيل.

١٤- كان مضمون جميع الرسائل التي وجهها رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء دعوة إلى التوحيد وإعلان الإسلام (لا إله إلا الله ومحمد رسول الله)، وفيها إشارة إلى عالمية الإسلام.

١٥- كان النبي ﷺ من خلال رسائله ينظر بمنظار النبوة والرسالة إلى المستقبل، وإلى الأرض، وإلى الناس.

- كان ينظر إلى الأرض أين ستكون حدود دعوة الإسلام، فيرى بنور النبوة أنها ستكون في جميع أنحاء العالم، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.
- وكان ينظر إلى الناس حيث ينظر إلى الملايين من الناس الذين سيدخلون في دين الله أفواجاً من خلال عالمية الإسلام، وينظر إلى آخرهم دخولاً قبل قيام الساعة.

- وكان ينظر إلى المستقبل إنه يوم القيامة، إنه يوم الحساب، إنه المستقبل الحقيقي الأبدي فيرى أنه أكثر الأنبياء أتباعاً، وأن أمته أول الأمم دخولاً إلى الجنة .

ولذا قرأ من قرأ في رسائل رسول الله ﷺ فأخذ أولوا البصائر والفهم من هذه الرسـائل أن النبي الكريم هورسول الله تعالى إلى كافة الناس ورحمةً وهدى للعالمين.

١٦- لقد كشف الله تعالى عن طوايا المشركين من أهل الكتاب ومن مشركي العرب ومـن هم على شاكلتهم من القياصرة والأكاسرة، وبالعموم عن طوايا جميع أعداء الإسـلام، مبيناً لهذا النبي الكريم ﷺ أن للإسلام زماناً ومكاناً وحضوراً فيهما!

١٧- كان طلب النبي ﷺ من الملك أو الحاكم، إذا أسلم أن يبقى في ملْكه وعلى سلطانه، لأن نظرة الإسلام أن يدين الُملك في ملكه لله، وأن يدين السلطان فـي سـلطانه لله، وأن يدين الحاكم وهو على كرسي الحكم لله، فهذه النظرة في الإسلام أعلى وأسمى بكثيـر من نظرة الحكام إلى سلطانهم بدون الإسلام.

١٨- بين النبي ﷺ للأمراء والحكام أن أمانة الحكم والسلطان تَقضي أن الحاكم أو السلطان يثاب على إسلام رعيته، ويؤثم إن تَركهم على الكفر والشرك .

١٩- أثمر منهج الرسول ﷺ في تعامله مع أهل الكتاب ببيان الحق وتَخليص عقيدتهم مـن صور الانحراف والتّعدي بما يجعلهم يسارعون إلى الدخول في الإسلام.

ولقد أثمر هذا المنهج النبوي في دخول أعداد كبيرة في الإسلام في الماضي والحاضـر بل وإسهاماتهم في بناء الحضارة الإسلامية.

والخلاصة فإن الحضارة الإسلامية قد قامت بدور كبير في مجال العقيدة فيما يلي:

- الدعوة إلى التوحيد القائم على اليقين والإقناع المستنير.
- الدعوة إلى إستعمال العقل وتحريره من الخرافات والأساطير.
- الدعوة إلى التخليص من سلطان التقليد الأعمى والكنيسة .
- الدعوة إلى تحرير الإنسان من العبودية لغير الله حتى يكون الإنسان عاملاً منتجاً في هذه الحياة مؤدياً رسالة الخير إلى العالم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

التوصيات

١- إن الهجمة الشرسة التي يتعرض له المسلمون اليوم عامة والإسلام خاصة تتطلب مضاعفة الجهود في إفهام الآخر مبادئ الإسلام السمحة في معاملة المسلم للمسلم وفي معاملة المسلم لغير المسلم، وهذا يأتي في إحدى الرسائل الجامعية التي تناقش أسباب هذه الهجمة وواقع المجتمع المعاصر،ووسائل الخروج من هذه الأزمة مع حث رجال الإصلاح على ضرورة مصاحبة القول الفعل ليتسنى للآخر رؤية الإسلام رؤية علمية من خلال رجاله الداعين إليه وأفراده العاملين به.

٢- لا سبيل إلى تغيير الواقع إلا بالعمل الجماعي المبني على رعاية حقوق الله تعالى وحقوق الآخرين، مع الأخذ بوسائل النهضة، وفتح الصدور والأفق لسماع الآخر، ومجادلته بالتي هي أحسن، ويقترح الباحث رسالة علمية تحوي التيارات الفكرية المعاصرة، وسبل الرد عليها في الإسلام ردا مبنياً على حجج عقلية تقنع الآخر وتجعله يدين لمبادئ الإسلام ويقر بأنه الدين الحق طوعية لا إكراه.

قائمة المراجع

- الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت:١٢٧٠هـ) **روح المعاني**، (ط١)، م١٥، دار الفكر، بيروت.
- ابن الأثير علي بن أبي الكرم، (٦٠٦هـ)، **الكامل في التاريخ**، م١٣، دار صادر، بيروت ١٩٨٢م
- ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت:٦٠٦هـ)، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، (ط٢)، م٨، (تحقيق شعيب الأرنؤوط)، دار الفكر، بيروت.
- الآلوسي، لأبي البركات نعمان خير الدين، (١٨٨٩م)، **الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح**، (ط١)، م١، لاهور، المطبعة الإسلامية.
- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد الجزري، (ت:٦٣٠هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، (ط١)، م٦، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ هـ.
- الأندلسي، عبدالله الترجمان الأندلسي، **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب**، (ط٣)، م١، دار المعارف، القاهرة.
- أحمد، إبراهيم خليل، **محمد عليه السلام في التوراة والإنجيل والقرآن**، (ط٥)، م١، مكتبة الوعي العربي، الرياض.
- أسد محمد، (١٩٧٧م)، **الإسلام على مفترق الطرق**، (ط٩)، م١، دار العلم، بيروت.
- آرنولد سيرتوماس، (١٩٤٧م)، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة حسن إبراهيم إسماعيل النحراوي، القاهرة، مكتبة النهضة.
- أنيس إبرهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، (ط٢)، م٢، دار الأمواج، بيروت، ١٩٨٧م.
- أ.د.أمحزون محمد، (٢٠٠٣م)، **منهج النبي في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة**، (ط٢)، م١، القاهرة، دار السلام .
- أمين،أحمد (١٩٦٥م)، **فجر الإسلام**، (ط١٠)، م١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
- البلاذري، أحمد بن يحى بن جابر، (٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان**، (إعتنى به صلاح الدين المنجد)، مكتبة النهضه المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (ت: ٤٥٨هـ)، **دلائل النبوة**، (ط١)، م٧، (خرج أحاد يثه عبد المعطي قلعجي)، دار الريان، القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- البيهقي، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)، **السنن الكبرى**، (ط١)، م١١، دار المعرفة، بيروت ١٣٥٦هـ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت: ٥١٦هـ)، **معالم التنزيل**، (ط٣)، م٤، (تحقيق خالد العك مروان سوار)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ابن بلبان، علاء الدين علي الفارسي، (ت: ٧٣٩هـ)، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، (ط١)، م١٦، (تحقيق وتخريج شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.
- البيضاوي، أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت:٧٩١هـ)، **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (ط١)، م٣، (تحقيق محمد حلاق ومحمد الطرش)، دار الرشيد، دمشق ١٤٢١هـ.
- البهوتي، بن منصور بن يونس، (ت:١٠٥١هـ)، **كشاف القناع عن متن الإقناع**، (ط١)، م٦، (تحقيق محمد إسماعيل الشافعي)، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٧م.
- البيروتي، محمد بن طاهر التنير، **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، (ط١)، م١، دار الصحوة، القاهرة،١٤١٠هـ.
- بينز، نورمان، (١٩٥٧م)، **الإمبراطورية البيزنطية**، (ط٢)، م١، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة.
- بوكاي، موريس،(١٩٩٧م)، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، (ط٤)، م١، دار المعارف.
- برغوث، الطيب، (١٩٩٦م)، **منهج الرسول في حماية الدعوة**، (ط١)، م١، فرجينيا، المعهد العالي للفكر الإسلامي.
- أ.ل.بتشر، **تاريخ الأمم القبطية وكنيستها**، (ط١)، م١، مطبعة مصر، القاهرة.
- بني عامر، محمد أمين، (٢٠٠٠م)، **خصائص الدعوة الإسلامية**، (ط١)، م١، عمان الدار العلمية.
- الألباني، محمد ناصر الدين، (ت:١٩٩٤م)، **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**، (ط٤)، م١، بيروت، المكتب الإسلامي.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة، (ت:٢٩٧هـ)، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، (ط١)، م١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (ت:٧٢٨هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،** (ط٢)، م٥، (تحقيق علي بن حسين بن ناصر وآخرون)، دار العاصمة الرياض، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (ت:٧٢٨هـ)، **إقتضاء الصراط المستقيم،** (ط١)، م١، دار الفكر.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (ت:٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى،** م٣٧، (جمع وترتيب عبدالرحمن قاسم).
- د. أ .س، ترتون، **أهل الذمة في الإسلام،** (ط٢)، م١، مصر، دار المعارف.
- الجصاص، أبو عبدالله بن علي الرازي، (ت: ٣٧٠هـ)، **أحكام القرآن،** (ط١)، م٢، دار الكتاب العربية، ١٣٣٥ه.
- الجصاص، أبو عبدالله بن علي الرازي، (ت: ٣٧٠هـ)، **أحكام القرآن،** (ط١)، م٤، (خرج أحاديثه عبالسلام شاهين)، دار الكتب، بيروت، ١٩٩٤م .
- ابن الجوزي، جمال الدين بن علي بن محمد أبي الفرج (ت:٥٩٧هـ)، **صفة الصفوة،** (ط١)، م٢، (تحقيق حامد الطاهر)، دار الفجر، القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ابن الجوزي، جمال الدين بن علي بن محمد أبي الفرج (٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير،** (ط١)، م٨، (تحقيق محمد بن عبدالله)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن الجوزي، جمال الدين بن علي بن محمد أبي الفرج (ت: ٥٩٧هـ)، **تاريخ عمر،** (ط١)، م١، (تحقيق علي محمد علي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت:٨١٦هـ)، **كتاب التعريفات،** (ط١)، م١، (تحقيق عادل خضير)، دار المعرفة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- جرجس، مجدي، **القضاء القبطي في مصر،** (ط١)، م١، القاهرة. سيريت للنشر.
- جينبر، شارل، **المسيحية نشأتها وتطورها،** م١، ترجمة عبدالحليم محمود، بيروت المكتبة العصرية.
- جوافيكسي، أليكسي، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، **الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم،** (ط٢)، م١، (ترجمة خلف جرار)، بيروت، دار الفكر المعاصر.
- جولد تسهير، أجناس**،** (١٩٧٨م)، **العقيدة والشريعة،** (ط٢)، م١، ترجمة محمد يوسف متولي القاهرة، دار الكتب الحديثة.

- ابن حنبل، أحمد، (ت:٢٤١هـ)، **المسند**، (ط١)، م٣٨، (تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعة)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م .
- ابن حنبل، أحمد، (ت:٢٤١هـ)، **المسند**، (ط١)، م٢٠، شرحه أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، (ت:٤٥٦هـ)، م٩، **المحلى**، (تحقيق أحمد شاكر)، دار الفكر.
- ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد، (ت:٤٥٦هـ)، **الفصل في الملل والنحل**، (ط٢)، م٣، (وضع حواشيه أحمد شمس الدين) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٠هـ-١٩٩٠م.
- ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد، (ت:٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، (ط١)، ٢م، (تحقيق عبدالسلام هارون)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.
- الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله (ت:٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، (ط١)، م٤، طهران، ١٩٦٥م.
- ابن حجر، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ط١)، م١٥، (تحقيق عبدالعزيز بن باز)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام الرياض، دار الفيحاء، دمشق، ١٩٩٧م .
- ابن حجر، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ)، **الاصابة في معرفة الصحابة**، (ط١)، م٤، دار العلوم الحديثة.
- الحطاب الرعيني، محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، (ت: ٩٥٤هـ)، **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**، (ط١)، م٧، (ضبط زكريا عميرات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- الحلبي، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم (ت: ١٠٤٤هـ)، **السيرة الحلبية**، (ط٢)، م٣، (ضبطه وصححه عبدالله الخليلي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- حسن، السيد محمد صديق، (ت: ١٢٥٣هـ)، **الدين الخالص**، (ط١)، م٤، (ضبطه محمد هاشم)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- حتي، فيليب، وآخرون، **تاريخ العرب**، م٣، دار الكشاف.

- حميدالله، محمد، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، (ط١)، م١، بيروت، دار النفائس.
- الحاج، محمد أحمد، (٢٠٠٢م)، **النصرانية من التوحيد إلى التثليث**، (ط٢)، م١، القلم، دار القلم.
- الحمد، عبدالقادر شيبة، (١٩٩٩م)، **قصص القرآن**، (ط١)، م١، الرياض، مكتبة المعارف.
- حمزة، عبد اللطيف (١٩٧٨م)، **الإعلام في صدر الإسلام**، (ط٢)، م١، دار الفكر العربي.
- ابن خلدون، عبدالرحمن، (ت: ٨٠٨هـ)، **تاريخ ابن خلدون**، (ط١)، م٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
- الخرشي، محمد بن عبدالله بن علي، (ت:١١٠١هـ)، **حاشية الخرشي على مختصر خليل**، (ط١)، م٧ (ضبط زكريا عميرات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- الخطيب، عبد الكريم، (١٩٦٥م)، **المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل**، (ط١)، م١، القاهرة، دار الكتب الحديثة .
- خطاب، اللواء محمود شيت، (١٩٨٩م)، **السفارات النبوية**، (ط١) م١، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- خالد، الشيخ حسن، (١٩٨٦م)، **موقف الإسلام من الوثنية والنصرانية**، (ط١)، م١، بيروت، معهد الإنماء العربي .
- الخياط، د عبدالعزيز، (١٩٧٢م)، **المجتمع المتكافل**، (ط١)، م١،عمان مؤسسة الرسالة.
- الخلف، د سعود بن عبد العزيز، (١٤١٤هـ)، **دراسات في الأديان**، م١، المدينة المنورة مكتبة العلوم والحِكم.
- خليل، عماد الدين، (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، **دراسة في السيرة**، (ط٣)، م١،عمان، دار النفائس
- الخضري، حنا جرجس، **تاريخ الفكر المسيحي**، م١، دار الثقافة المسيحية.
- دروزه، محمد عزة، (١٣٦٧هـ)، **سيرة الرسول سيرة مقتبسة من القرآن**، (ط٢)، م١، بيروت، مطبعة الإستقامة.

- دراز، محمد عبدالله، (١٩٨٩م)، **مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي مقارن،** (ط١)، م١، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية .
- ديدات، أحمد، (١٩٨٩م)، **هل الكتاب المقدس كلام** الله، (ط١)، م١، القاهرة، دار المنار.
- دينيه، ناصر الدين، (١٩٢٩م)، **أشعة خاصة بنور الإسلام،** (ط١)، م١، المطبعة السلفية.
- داود د.الأب عبدالأحد، (١٩٩٧م)، **محمد عليه السلام كما ورد في كتاب اليهود والنصارى،** (ط١)، م١، الرياض، مكتبة العبيكان.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت:١٣٧٤هـ)، **سير أعلام النبلاء،** (ط١)، م٢٥، (تحقيق أحمد شاكر)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ابن رشد أبو الوليد الجد، (ت:٥٢٠هـ) **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة،** (ط١)، م٢٠، (تحقيق محمد صبحي)، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ابن رشد، أبو الوليد الجد، (ت:٥٢٠هـ)، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد،** (ط٦)، م٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- الرازي، محمد بن أبي بكربن عبدالقادر، (ت:٥٣٨هـ)، **مختار الصحاح،** (ط١)، م١، (تدقيق عصام الحرستاني)، دار عمار، عمان، ١٩٩٦م.
- الرازي، فخر الدين محمد بن الحسين (ت:٦٠٤هـ)، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،** (ط٢)، م١٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٢م.
- الرافعي، عبد الكريم بن محمد، (ت:٦٢٣هـ)، **شرح الوجيز،** (ط١)، م١٣، (تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- رضا، محمد رشيد، (ت: ١٩٣٥هـ)، **تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار،** (ط٢)، م١٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٣٥م.
- روسو، جان جاك، (١٧٧٨م)، **العقد الإجتماعي،** م١، ترجمة عبد الكريم أحمد، القاهرة، مطبعة سعد.
- رستم، أسد، (١٩٥٥م)، **الروم في سياستهم وحضارتهم،** (ط١)، م٢، بيروت، دار المكشوف.

- ريبوني، إنريكو، (٢٠٠٤م)، **الإلحاد وأسبابه "الصفحة السوداء للكنيسة "**، (ط١)، م١، (ترجمة د. زينب عبد العزيز)، دمشق، دار الكتاب العربي.
- الراوي، محمد، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**، (ط١)، م١، الرياض، مكتبة العبيكان.
- الزمخشري، جار الله محمد بن عمر بن محمد، (ت: ٥٨٣هـ)، **الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل**، (ط١)، م٤، (رتبه وضبطه وصححه محمد عبدالسلام شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ-١٩٩٥م .
- الزمخشري، جار الله محمد بن عمر بن محمد (ت: ٥٨٣هـ)، **أساس البلاغة**، (ط٣)، م٢، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، ١٩٨٥م.
- الزركلي، محمد خير، (ت:١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، (ط١٠)، م٢٦، دار العلم للملايين، بيروت.
- زرزور، وآخرون، **الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات**، (ط٢)، م١، قطر، دار الفتح.
- أبو زهرة، محمد، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، **محاضرات في النصرانية**، (ط٣)، م١، القاهرة، دار الفكر العربي.
- أبو زهرة، محمد، (١٩٣٤م)، **تاريخ الجدل**، (ط١)، م١، مطبعة دار العلوم، القاهرة.
- أبو زهرة، (١٤٠٠هـ)، **محمد خاتم النبيين**، م٢، الدوحة، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة.
- الزرقا، مصطفى، (١٩٩٩م)، **فتاوى مصطفى**، (ط١) م١، إعداد مجد مكي، دمشق، دار القلم.
- زيدان، عبدالكريم، (١٩٧٦م)، **أصول الدعوة**، (ط٣)، م١، بغداد، دار الإمام.
- زيدان، عبدالكريم، (١٢٤٦هـ)، **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، (ط١)، م١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- زاهر، د. رفقي، (١٩٨٠م)، **دراسة تاريخية مقارنة**، م١، القاهرة، دار الكتب.
- زيادة، نقولا، **المسيحية والعرب**، (ط٤)، م١، سوريا، قدمس للنشر.
- الزعبي، محمد سعيد، (١٩٧٣م)، **السيد المسيح يلوح بالأفق**، (ط١)، م١.

- السرخسي، شمس الدين (ت:٤٨٣هـ)، **المبسوط**، (ط٣)، م٢٦، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- السرخسي، شمس الدين (ت:٤٨٣هـ)، **المبسوط**، (ط١)، م٢٦، (تحقيق محمد بن إسماعيل الشافعي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- السجستاني، أبي سليمان الأشعث الأزدي، (ت:٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود، صحيح سنن أبي داود**، (ط١)، ١٤٠٩هـ، م٤، (صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني)، بيروت، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١٨م.
- السهيلي، أبي القاسم عبد الرحمن (ت: ٥٨١هـ)، **الروض الأنُف**، (ط١)، م٤، (تعليق عمر السلامي)، دار إحياء التراث،١٤٢١هـ.
- السيوطي، جلال الدين، وآخرون، (ت: ٩١١هـ)، **ترتيب أحاديث "صحيح الجامع الصغير وزيادته"**، ط١، م٤، (رتبه وبوبه عوني الشريف، وشرح غريب الفاظه: علي عبدالحميد)، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٧م.
- الساعاتي، عبدالرحمن البنا، **الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد**، م١٦، دار شهاب، القاهرة .
- السقا، الدكتور أحمد، (١٤٠٩هـ)، **البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل**، (ط١)، م١، بيروت، دارالجيل .
- السباعي، مصطفى (١٩٧٥م)، **من روائع حضارتنا**، (ط١)، م١، مطبعة النور النموذجية.
- السامرائي، فاضل صالح، (١٤٠٣هـ)، **نبوة محمد بين الشك واليقين**، (ط٢)، م١، بغداد، مكتبة القدس.
- سعادة، د خليل مترجم (١٣٢٦هـ)، **مقدمة إنجيل برنابا**، القاهرة .
- السيستاني، السيد علي الحسيني (٢٠٠٠م)، **الفقه للمغتربين**، (ط٣)، م١، بيروت، دار المؤرخ العربي.
- الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس (ت:٢٠٤هـ)، **الأم**، (ط٢)، م٥، دار الفكر بيروت١٩٨٣م.
- الشهرستاني، محمد عبدالكريم بن أحمد أبو الفتح، (ت:٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، (ط١)، م١، (تقديم عبداللطيف محمد العيد)،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، ١٩٧٧م.

- الشيرازي، أبو إسحاق (ت: ٦٧٦هـ)، **المهذب،** (ط١)، م٢٣، مطبوع مع مجموع شرح المهذب للنووي بتكملة محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، ١٩٨٠م
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (١٨٥٠هـ)، **فتح القدير،** (ط١)، م٤، دار الخير بيروت، ١٩٦٥م .
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (١٨٥٠هـ)، **نيل الأوطار،** (ط٢)، م٥، (عناية وهبة الزحيلي)، دار الخير، بيروت، ١٩٩٨م .
- الشربيني، محمد الخطيب، (ت: ٩٧٧هـ)، **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج،** (ط١)، م٤، (عناية محمد عيتاني)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.
- شلتوت، محمود، **الفتاوى الكبرى،** (ط١٧)، م١، دمشق، دار الشروق.
- شلتوت، محمود، (١٩٥٩م)، **الإسلام عقيدة وشريعة،** القاهرة، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر.
- الشعراوي، محمد متولي، **قصص الأنبياء والمرسلين،** (ط١)، م١، بيروت، المكتبة العصرية.
- الشيباني، محمد شريف، (١٩٨٨م)، **الرسول في الدراسات الإستشراقية المنصفة،** (ط١)، م١.
- شنودة، زكي، (١٩٦٨م)، **تاريخ الأقباط،** (ط٢)، م١.
- شلبي، أحمد، (٢٠٠٠م)، **المسيحية،** (ط٢)، م١، القاهرة، مكتبة النهضة.
- شلبي، متولي يوسف، (١٩٨٦م)، **أضواء على المسيحية،** (ط١)، م١، الكويت، الدار الكويتية
- شلبي، رؤوف، **يا أهل الكتاب تعالوا،** م١، دار التوحيد.
- شبير، محمد عثمان، (٢٠٠٠م)، **القواعد الكلية والضوابط الفقهية،** (ط١)، م١، عمان، دار الفرقان.
- الشال، يوسف عبدالهادي (١٩٧٢م)، **الإسلام وبناء المجتمع الفاضل،** القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية.
- الصنعاني، أبو بكر عبدالرزاق بن همام (ت: ٢١١هـ)، **المصنف،** (ط٢)، م١٢، (تحقيق حبيب الأعظمي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م .

- الصنعاني، محمد بن إسماعيل (ت: ١١٨٢هـ)، **سبل السلام شرح بلوغ المرام**، م٤، دار الأرقم، دمشق.
- الأصفهاني، الراغب، (ت: ٤٢٥هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ط١)، م١، (تحقيق صفوان عدنان داوودي)، دار العلم، دمشق، ١٩٩٢م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت : ٤٣٠هـ)، **دلائل النبوة**، (ط٢)، م١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند)، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.
- صفوت، أحمد زكي، **جمهرة رسائل العرب**، (ط١)، م٣، القاهرة.
- صلواتي، د ياسين، (٢٠٠١م)، **الموسوعة العربية الميسرة**، (ط١)، م٩، موسوعة مؤسسة التاريخ العربي.
- صقر، عطية، (١٩٦٥م)، **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**، (ط١)، م١، مؤسسة الصباح
- الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، **تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)**، (ط٢)، م٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥٦م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، **تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن**، (ط١)، م١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٢هـ -١٩٩٢م) .
- الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، (ت:٣٢١هـ)، **مشكل الآثار**، (ط٢)، م١، (ضبطه وصححه محمد شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- الطحاوي، علي بن علي بن محمد أبي العز، (ت: ٧٩٢هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، (ط٢)، م١، (تحقيق عبدالله التركي، شعيب الأرناؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.
- الطبراني، أبو القاسم بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ)، **المعجم الكبير**، (ط٢)، م٢٨، (تحقيق حمدي السلفي)، دار التراث، وزارة الأوقاف العراقية، ١٤٠٥هـ-١٩٥٨م .
- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، (ت: ٥٨٠هـ)، **سراج الملوك**، م٢ (تحقيق محمد فتحي)، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- الطنطاوي، علي، (ت: ٢٠٠١م)، **فتاوى علي الطنطاوي**، (ط٥)، م٢، (جمع مجاهد ديرانية)، جدة، دار القلم.
- طعيمة، د صابر، (١٩٨٥م)، **الأسفار المقدسة قبل الإسلام**، (ط١)، م١، بيروت، عالم الكتب.

- الطهطاوي، محمد عزت، **النصرانية والإسلام**، (ط٢)، م١، القاهرة، دار الأنصار.
- الطهطاوي، محمد عزت، **الميزان في مقارنة الأديان**، (ط١)، م١ دمشق دار القلم.
- أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ)، **كتاب الأموال**، (ط١)، م١، (تحقيق خليل هراس)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن محمد، (ت: ٤٦٣هـ)، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد**، (ط١)، م١٨، (تحقيق محمد عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن محمد، (ت: ٤٦٣هـ)، **الإستذكار**، (ط١)، م٩، (تعليق سالم عطا ومحمد معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م .
- ابن عبد ربه، طلحة بن محمد، (ت:٦٥٢هـ)، **العقد الفريد للملك السعيد**، (ط١)، مطبعة الوطن، القاهرة.
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن محمد (ت: ٥٤٣هـ)، **أحكام القرآن**، (ط١)، م٤، (خرج أحاديثه محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ابن عابدين، محمد أمين (١٢٥٢هـ)، **رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**، (ط١)، م١٤، (تحقيق عادل عبدالموجود وعلي معوض)، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م .
- علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (ط١)، م١٠، (إعداد نديم مرعشلي)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣م.
- عبد الوهاب، أحمد، **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**، (ط١)، م١، القاهرة، مكتبة وهبه.
- العلي، صالح أحمد، (١٩٨١م)، **محاضرات في تاريخ العرب**، (ط١)، م٢، الموصل، جامعة الموصل.
- العلي، صالح أحمد، (١٩٨٨م)، **الدولة في عهد الرسول عليه السلام**، م١، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- علوان، عبدالله ناصح، (١٩٨٤م)، **معالم الحضارة في وأثرها في النهضة الأوروبية**، (ط٢)، م١، دار السلام.
- العقيلي، د محمد أرشيد، (١٤٠٦هـ)، **السفارات النبوية**، (ط١)، م١، بيروت، دار إحياء العلوم.

- العقاد، عباس محمود، **مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية**، (ط١)، م١، القاهرة، مكتبة دار المعرفة.
- عبد الحميد، د عرفان، (١٤٢٠هـ)، **النصرانية وأصول عقائدها**، (ط١)، م١، عمان، دار عمار.
- العايب، د سلوى بالحاج صالح، (١٩٩٧م)، **المسيحية العربية وتطورها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي**، (ط١)، م١، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- د عبدالملك، بطرس، وجون الكسندر، وإبراهيم أحمد، (١٩٩٤م)، **قاموس الكتاب المقدس**، (ط٩)، م١، بيروت، دار الثقافة .
- الغزالي، أبو حامد، (ت :٥٠٥م)، **القسطاس المستقيم**، (ط١)، م١، (صححه مصطفى الدمشقي)، مطبعة الترقي، مصر، ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م.
- الغزالي، أبو حامد، (ت :٥٠٥م)، **المستصفى في علم الأصول**، (ط١)، م١، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ١٩٣٧م.
- الغزالي، محمد، (١٩٩٧م)، **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**، م١، القاهرة، دار النهضة.
- الغزالي، محمد، (١٩٦٣م)، **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة**، (ط١)، م١، القاهرة، مطبعة السعادة .
- الغزالي، محمد، (١٩٩٠م)، **جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج**، (ط٣)، م١، القاهرة، مكتبة وهبة .
- الغزالي، محمد، **الحق المر**، (ط١)، م١، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي.
- الغضبان، منير، (١٩٩٨م)، **المنهج الحركي في الإسلام في عهدها المكي**، (ط١)، م١، المنصورة، دار الوفاء .
- د غازي، ياسين، (١٩٩٥م)، **الدبلوماسية الإسلامية مقارنة بالقانون الدولي الحديث**، (ط١) م١، الشركة الجديدة .
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، (ت:٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، (ط١)، إعتنى محمد معوض، وفاطمة أصلان، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠١م
- الفوري، القاضي محمد سليمان المنصور، **رحمة للعالمين**، (ط١)، م١، الرياض، دار السلام.

- الفرت د محمد الغيظ، وقلعه جي، (١٩٨٣م)، **العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة**، (ط١)، م١، الكويت، دار البحوث العلمية.
- فاضل، سيف الله، محقق، **إنجيل برنابا**، الكويت، دار القلم.
- فاضل، داود، (٢٠٠٠م)، **أصول المسيحية**، (ط١)، م١، دار زهران.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المصري، (ت:٧٧٠هـ)، **المصباح المنير**، (ط٢)، م٢، المطبعة الكبرى، مصر، ١٩٠٦م.
- الفيومي، د إبرهيم، (١٩٧٩م)، **في الفكر الجاهلي قبل الإسلام**، (ط١)، م١، القاهرة، عالم الكتب.
- فروخ، د عمر، (١٩٨٤م)، **تاريخ الجاهلية**، (ط٢)، م١، بيروت، دار العلم للملايين.
- القرشي، يحيى بن آدم (ت: ٢٠٣هـ)، **الخراج**، (ط١)، م١، (صححه وشرحه أحمد شاكر)، المكتبة العلمية، لاهور باكستان،١٣٩٥هـ .
- أبي القاسم، عبد الرحمن بن عبد الحكم، (ت: ٢١٤هـ)، **فتوح مصر وأخبارها**، (ط١)، م١، (تحقيق محمد الحجيري)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ه-١٩٩٦م .
- القزويني، أبي عبدالله محمد بن يزيد، (ت:٢٧٣هـ)، **صحيح سنن ابن ماجه**، (ط٣)، م٣، (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني)، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ، بيروت، ١٩٨٦م .
- القزويني، أبي عبدالله محمد بن يزيد، (ت:٢٧٣هـ)، **سنن ابن ماجه**، (ط١)، م٦، (حققه وخرج أحاديثه بشار عواد)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م .
- القاسمي محمد جمال الدين، (ت:٣٣٢هـ)، **محاسن التأويل**، (ط١)، م١٠، (تعليق محمد فؤاد عبدالباقي)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
- ابن قدامة، موفق الدين (ت: ٦٣٠هـ)، **المغني**، (بعناية جماعة من العلماء)، م١٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢-١٩٧٢.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت: ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي**، (ط٢)، م١٠، (تحقيق سالم البدري)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.
- القرافي، أحمد بن إدريس المالكي (ت: ٦٨٤هـ)، **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة**، (ط١)، م١ (تحقيق بكر عوض)، ١٩٨٦م .

- القرافي، أحمد بن إدريس المالكي، (ت: ٦٨٤هـ)، **الفروق،** (ط١)، م٣، عالم الكتب، بيروت،١٩٢٥م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود النصارى،** م١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م .
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد،** (ط١٤)، م٥، (تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، **أحكام أهل الذمة،** (ط١)، م١، (تحقيق صبحي الصالح)، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦١م .
- القادري، محمد بن حسين بن علي الطوري، **تكملة البحر الرائق كنز شرح الدقائق،** (ط١)، م١٢، (ضبط زكريا عميرات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- قطب، سيد، (١٩٨٢م)، **في ظلال القرآن،** (ط١٠)، م٦، بيروت، دار الشروق.
- القرضاوي، يوسف، (١٩٩٤م)، **مدخل لمعرفة الإسلام،** (ط١)، م١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- القرضاوي، يوسف، (١٩٩٤م)، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي،** (ط٦)، م١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- القرضاوي، يوسف، (١٩٩٣م)، **من هدي الإسلام "فتاوى معاصرة"،** (ط٢)، م٢، المنصورة، دار العرفة.
- الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود (ت: ٥٨٧هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،** مطبعة الإمام، القاهرة .
- ابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت:٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم،** (ط٢)، م٤، (تحقيق عبد الرحمن المرعشلي)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م .
- ابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت:٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية،** (ط٢)، م٨، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م .
- كرد، محمد علي، (١٩٥٠م)، **الإسلام والحضارة العربية،** (ط٢)، م٢، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة.
- لوريمر، جون، (١٩٩٩م)، **تاريخ الكنيسة،** (ط١)، م١، القاهرة، دار الثقافة.

- لوبون، جوستاف، (١٩٥٦م)، **حضارة العرب**، (ط٣)، م١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.
- المزني، إسماعيل بن يحى، (ت: ٢٦٤هـ)، **مختصر المزني**، دار الشعب، القاهرة .
- المحلي، جلال الدين، (ت: ٢٦٤هـ)، **شرح منهاج الطالبين مع حاشيتي القليوبي**، ط٣، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، القاهرة، ١٣٥٧هـ - ١٩٥٦م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت: ٤٥٠م)، **النكت والعيون (تفسير الماوردي**، (ط١)، م٦، (تحقيق السيد عبد المقصود)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت:٤٥٠م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، م١، (تحقيق سمير مصطفى)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- مسلم، بن الحجاج، (ت: ٦٧٦هـ)، **صحيح مسلم**، (ط١)، م، (تحقيق يحى إسماعيل)، دار الوفا، مصر، ١٩٩٨م، مطبوع مع شرح القاضي عياض.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن كارم (ت: ٧١١م)، **لسان العرب**، (ط١)، م١٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ)، **إمتاع الأسماع**، (ط١)، م١٥، (تحقيق محمد النميسي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ)، **الخطط**، م٢، مكتبة الأداب، القاهرة.
- ابن مفلح، محمد، (ت:٨٨٤هـ)، **الآداب الشرعية**، (ط٢)، م٢، (تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر قيام)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م .
- المرداوي، علي بن سليمان بن أحمد (ت: ٨٨٥م)، **الإنصاف في معرفة الراجح على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، (ط١)، م، (تحقيق محمد إسماعيل)، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧م.
- المتقي، علاء الدين بن حسام (ت:٩٧٥هـ)، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، (ط١) م١٦، (ضبطه وفسر غريبه بكري حياني وصفوة السقا)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م. حديث رقم ٣٦٠١٠ ج٦٦٠/٢.

- المتطبب، نصر بن يحى، **النصيحة الإيمانية في نصيحة الملة النصرانية،** (ط١)، م١، (تحقيق محمد عبدالله الشرقاوي)، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٦هـ .
- المراغي، أحمد مصطفى، (١٩٩٨م)، **تفسير المراغي،** (ط١)، م١٠، تحقيق باسل عبود، بيروت، دار الكتب العلمية.
- المودودي، أبو الأعلى، (١٩٨٠م)، **الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة،** (ط٤) م١٤، الكويت دار القلم.
- محفوظ، علي، **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة،** م١، بيروت، دار المعرفة.
- د ملكاوي، محمد، (١٩٩٢م)، **اليهودي شاؤول بولص الطرطوشي،** (ط١)، م١، عمان، دار الإسراء .
- مجمع اللغة العربية، (١٣٩٢م) **المعجم الوسيط،** (ط٢)، م٣، (إخراج إبراهيم مصطفى وآخرون)، المكتبة العلمية.
- مولوي، فيصل، (١٩٩٩م)، **السلام على أهل الكتاب،** (ط١)، م١، بيروت، المؤسسة الإسلامية.
- محمود، د.علي عبدالحليم، (١٩٧٩م)، **عالمية الدعوة الإسلامية،** (ط٢)، م٢، جدة، دار عكاظ.
- المبارك، محمد، (١٩٦١م)، **نحو إنسانية سعيدة،** دمشق، مطبعة جامعة دمشق.
- النيسابوري، أبي عبدالله الحاكم، (ت :٤٠٥م)، **المستدرك على الصحيحين،** ط٢، م٥، (تحقيق مصطفى عطا)، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٢م
- نظام، الشيخ، (ت: ٢٩٥هـ)، **الفتاوى الهندية في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان،** (ط١)، م٦، (ضبط عبد اللطيف عبدالرحمن)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م
- النووي، محي الدين (ت: ٦٢٦هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،** (ط٦)، م١٠، (تحقيق خليل مأمون شيحا)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م.
- النووي، يحي بن شرف (ت:٦٧٦هـ)، **روضة الطالبين،** م١٠، (تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- النووي، يحي بن شرف (ت:٦٧٦هـ)، **الأذكار،** (ط١٥)، م١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م .

- الأنصاري، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت: ٩٣٧هـ)، **كتاب الخراج**، (ط١)، م١، تحقيق محمد المناصير، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠٠٩م .
- الندوي، أبو الحسن، (٢٠٠١م)، **السيرة النبوية**، (ط١)، م١، دمشق، دار القلم .
- الندوي، أبو الحسن، (١٩٥٩م)، **ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين**، (ط٤)، م١، بيروت، دار الجيل.
- النحلاوي، عبدالحمن، (١٩٨٣م)، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، (ط٢)، م١، دمشق دار الفكر.
- ابن هشام، أبو محمد عبدالملك، (ت:٢١٨هـ)، **سيرة النبي عليه الصلاة والسلام**، م٤، (تحقيق محي الدين عبدالحميد)، دار الفكر، ١٩٨١م.
- الهمذاني، القاضي عبد الجبار، (ت: ٤١٥هـ)، **تثبيت دلائل النبوة**، م٢، (تحقيق عبدالكريم عثمان)، دار العربية، بيروت، ١٣٨٦هـ-١٩٩٦م .
- الهيثمي، نور الدين علي بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، (ط١)، م١٢، (تحقيق محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الهندي، رحمة الله (١٤٢٦هـ)، **إظهار الحق**، (ط١)، م١، إعتنى به عادل بن سعد، القاهرة، دار ابن الهيثم.
- هارت، مايكل، (١٩٨٩)، **الخالدون مائة أعظمهم محمد عليه السلام**، (ط٧)، م١، القاهرة، للإعلام العربي.
- ابن الوردي، زيد الدين عمر بن الوردي، (ت: ٧٤٩)، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، (ط١)، م٢، (تحقيق أحمد رفعت البدراوي)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.
- وافي، د. علي عبدالواحد، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، م١، القاهرة، دار نهضة مصر.
- ويل، ديورانت، (١٩٦٥م)، **قصة الحضارة**، م١، القاهرة، جامعة الدول العربية الإدارة الثقافية.
- وصفي، محمد، **في حقيقة المسيح**، (ط١)، م١، القاهرة، مكتبة وهبة.
- اليحصبي، عياض بن موسى، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، م٢، (تحقيق محمد أمين قره علي وآخرون)، دار الفارابي، دمشق.

- يحى أحمد إسماعيل (١٤٣٣هـ)، **الإسلام بين الواقع والتحديات والمستقبل**، (ط١)، م١، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب .
- ياسين، محمد نعيم، (١٩٨٧م)، **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه**، (ط5)، م١، عمان، مكتبة الرسالة.

مواقع الإنترنت

- القرضاوي، يوسف، فتوى **(زيارة مقابر الأقارب من غير المسلمين)** مطبوع على موقع www . islamonlin. net
- القرضاوي، يوسف، فتوى **(حدود التعامل مع النصارى تهنئتهم في أعيادهم)** www . islamonlin. net
- صديقي، مزمل، فتوى بعنوان **Hallween**، على الإنترنت www. islamonline. net بالمير، إدريس فتوى بعنوان، **Hallween**، على نفس الموقع.
- عطية صقر فتوى **(الإحتفال بالأعياد المختلفة)**، على موقع www. islamonline. net
- مولوي، فيصل، من حوار، بعنوان **(فتاوى أسرية)** موقع www. islamonline. net بتاريخ ٢٠٠١/٣/٢٢م.
- الحانوتي، محمد، فتوى بعنوان**celebratinq non-muslim holidays**، على موقع، www. islamonline. net
- سعيد عبد الستار فتح الله بعنوان **(هل يجوز تهنئة النصارى في أعيادهم)** على موقع، www. islamonline. net

المجلات والدوريات:

- هويدي، فهمي، (١١- ١٧ /٣/ ٢٠٠٠م)، **حزمة فتاوى أوروبية لمتطلبات التعايش المفروض**، مجلة المجلة، لندن، عدد (١١٠٠)، ص٣٤-٣٥.
- هويدي، فهمي، **نداء إلى مسلمي الغرب باحترام القوانين وفاء بعهد الأمان**، مجلة المجلة، لندن، عدد ١٠٩٩، ٤-٢٠٠١/٣/١٠م، ص:٣٦-٣٧.
- البري، زكريا، **الإسلام وحقوق الإنسان**، عالم الفكر، مجلد أول، (العدد٤).

المراجع الإنجليزية:

- **Contemporary publishinq group**, Case's ٢٠٠٠Calender of Event, USA,

الرسائل الجامعية :

- الحوالي، سفر بن عبدالرحمن، (١٩٩٨م)، **العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية**، رسالة ماجستير منشورة جامعة أم القرى، مكة المكرمة .
- التركي، إبراهيم (١٤٠٢هـ)، **أهم عوامل إنحراف النصرانية،** رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.
- البكري، وهيب (١٤٠٥هـ)، **بولس وتأثيره في المسيحية**، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية.
- جستِنيه، بسمة أحمد، (٢٠٠٠م)، **تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه**، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، دمشق، دار القلم.
- السباتين، راجح، (٢٠٠٨م)، **المسيحية البروتستنية**، وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.
- الصمادي، عبد الرحمن، (٢٠٠٠م)، **موقف الغزالي من عقائد النصارى من خلال كتابه الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل**، وهي رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن.

THE METHODOLOY OF PROPHET MOHAMMAD PBUH IN CALLING THE CHRISTIANS OF HIS TIME TO ISLAM
(A FAITH BASED STUDY)

By

Sari M.S. Al- Droos

Supervisor

Dr. Muhammad A. Al-Khatib, Prof.

(Abstract)

The thesis aims to clarify the methodology of the Quran and Prophetic tradition in dealing with Christians and laying the principles of this topic through the practices of the prophet peace be upon him.

It is to show the Quranic methods of debating with them about the controversial issues such as the claim of the “Son of God” and the various means in showing the evidence in this case. The thesis came in introduction and three section.

It started with showing the background of Christianity and it situations in pre-Islamic Arabia, and then it dealt with the glad tidings of prophethood of Muhammad in the Bible, and finally the main principles which organize the relationship between Muslims and Christians.

The research concluded that the Islamic method in dialogue is unique and it can be the solution to solve the problems of terrorism in the contemporary time.